

الآداب والجنبية

مجلة فصلية يصدرها اتحاد الكتاب العرب
العدد ٦٥ السنة السابعة عشرة - خريف وشتاء ١٩٩٠

عدد خاص:

الأدب الإسلامي في جنوب شرق آسيا

الهند، باكستان، بنغلادش

الآداب الأدبية

مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب المتربي دمشق

العدد ٦٥ السنة السابعة عشرة خريف وشتاء ١٩٩٠

المدير المسؤول:

علي عقلة عسان

رئيس التحرير:

عدنان بفتحي

أمينة التحرير:

د. بشينة شعبان

هيئة التحرير:

د. ناديا خوست

د. عبد الله عبود

علي عصيفور

رفقت عطفة



مكتبة لسان العرب

www.lisanarb.com

رابط بديل lisanerab.com

الاداب الاجنبية

مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق

الاشتراك السنوي

داخل قطر ١٠٠ ل.س
الاقطان العربية للأفراد ٢٠٠ ل.س
او ١٠ دولارات اميركية
خارج الوطن العربي ٣٠٠ ل.س
او ١٥ دولار اميركي
الدوائر الرسمية داخل قطر ٢٠٠
ليرة سورية
الدوائر الرسمية في الوطن العربي ٣٥٠
ل.س او ٢٠ دولاراً اميركياً
الدوائر الرسمية خارج الوطن العربي ٥٠٠ ل.س او ٢٥ دولاراً اميركياً
اعضاء اتحاد الكتاب ٥٠ ل.س

الراسلات

باسم امانة التحرير
الادارة
اتحاد الكتاب العرب
دمشق - اوستراليا
ص. ب ٤٤٣
٢٤٤٣٢٩
٢٤٤٣٩٩

«الاداب الاجنبية»

مجلة فصلية تصدر كل ثلاثة اشهر تعنى بنشر المقالات المترجمة من الادب افيلي في مجالات الشعر والقصة والمسرح وغيرها من صنوف الادب الابداعي وكذلك في مجالات النقد والبحث، الادبي.

* توجه جميع الرسائل باسم امانة التحرير.

* استثنى هيئة التحرير عن نشر اية مادة لا تتوفر فيها شروط النشر.

* المقالات المنشورة في المجلة لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

* المواد التي يلتقطها المجلة لا ترد زواياها سواء نشرت ام لم تنشر.

كلمة التحرير

سأنا نفينا لماذا تتجه دائما نحو الغرب ولا تتجه نحو الشرق الذي يجمعنا معه تداخل الجذور الثقافية والاشتراك في التشابه في الدين والعادات والتقاليد وتاريخ مشترك منذ قرون طويلة ، بل ومصائر مشتركة في الحاضر والمستقبل . لماذا لأنعزز او اصر المعرفة والصداقه معه التي كانت وتبقى اكثراً تكافؤاً واتزاننا من علاقتنا مع الغرب ؟ لابد وان الثقافة والفهم المشتركيين يجعلان مثل هذه العلاقة اسلام وأغنى . ولا شك ان ميلنا للغرب وتجاهلنا للشرق هو نتاج فكرة غير بريئة قد منها تفتیت واضعاف حضارة وثقافة غنية ورائدة . فالى متى نمثل مثل هذه الفكرة ؟ ، والى متى نتجاهل ما يجب ان نعمل جاهدين على تقويتها وتشييئ جذوره في اذهان اجيالنا .

من هذا المنطلق اتي عدتنا هذا « الادب الاسلامي في جنوب شرق آسيا » كمحاولة لاستكشاف بعض عناصر هذا الادب وميزاته واتجاهاته . ومن الواضح ان مساحة كالمتاحة هنا لا يمكن لها ان تغطي غنى ذاك الادب وعراقته وامتداده . ولذلك كان علينا ان نكتفي بمختارات من هنا وهناك . وبسبب صعوبة الحصول على المادة واختلاف تجاوب بعض المعنيين فقد

أتى العدد لتناول الادب الاسلامي في الهند والباكستان وبنغلاديش دون أن نتمكن من تغطية افغانستان وذلك لتعذر الحصول على أي مادة من الابداع الادبي هناك . وبهذا الصدد لا بد لي من أن أوجه الشكر الى السفارة الباكستانية التي تعاونت معنا بشكل حميمي وفعال يبشر بتعاون ثقافي أفضل في المستقبل وأخص بالشكر السيد عصمت حسن ، السفير الباكستاني في دمشق . كما أتوجه بالشكر ايضا للسفارة الهندية التي لم تأل جهدا في تقديم مالديها من مواد وأخص بالذكر السيد سوري الذي عمل جاهدا لانجاح هذا العدد .

وقد حرصنا على أن يضم هذا العدد مقالات للتعریف بروح الثقافة الاسلامية وجزورها التاريخية المشابكة مع الادب العربي وتاثير هذه الثقافة في الموسيقى والعادات والتقاليد وال موقف من المرأة .

كما ضم مقالات تعرف وتقييم الشعر العربي هناك وتطوره وتطور العلاقة التاريخية بين ما هو اسلامي وما هو عربي وتحاول استكشاف آفاق هذه العلاقة ومستقبلها . وقدمنا ايضا مختارات من الشعر والقصة والدراسات حاولنا من خلالها أن نقدم لقارئنا مادة كافية تعطيه فكرة موضوعية عن اتجاهات هذا الادب وأهم الكتاب والكتابات وأرجو أن تكون قد وفقنا في ذلك .

والله من وراء القصد

أمينة التحرير
د. بشينة شعبان

نَحْنُ وَإِخْوَتُنَا وَالشَّرْقُ

علي عقلة عرسان

لفت انتباهي ما أشار اليه الدكتور عبد العزيز كامل في حديث له مع أحد كبار المسؤولين المسلمين في الشرق الاقصى ، حيث قال له ذلك المسؤول :

« عند استقلالنا نظرنا اليكم ، فوجدناكم تنظرون الى غيرنا في الغرب ، فاضطربنا الى أن نظر الى غيركم . وعندما نظرتم علينا ، كانت انظارنا هناك . وقد آن الاوان ان ينظر بعضنا الى بعض » وربما لشخص هذا علاقة عامة بين الامة العربية من جهة ، وبقية البلدان الاسلامية من جهة اخرى في جميع المجالات وعلى الصعد كافة . ولكن التدقيق في العلاقات الثقافية يكشف عن صورة اشد قتامة ، ويضع المهتمين والمعنيين أمام وضع يستدعي التفكير والتدارك والمعالجة .

اذ انه في الوقت الذي تستند فيه الثقافة العربية – الاسلامية إلى قاعدة عقائدية مشتركة بين العرب والمسلمين، قوية ووطيدة ، هي الاسلام ، وتنهل قيمها من مصدر رئيس فيها هو القرآن ، وتستمد تلك القيم والافكار

□ نحن وآخوتنا والشرق □

والتعاليم من حواله اللغة العربية التي تنهض بذلك بكل اعزاز وجذارة، نجد ان التواصل والتتفاعل الثقافيين بين العرب والمسلمين محدودان ويقادان يكونان معدومين ، ونلمس ذلك أكثر ما نلمسه في مجال الادب بوجه عام.

فلمعظم الاقطاع علاقات موصولة ، بل وراسخة ، مع بلدان أوريا وأميركا وحتى مع اليابان والصين ، ولكن ليس لهذه البلدان علاقات مماثلة مع باكستان وبنغلادش واندونيسيا وماليزيا وتركيا والهند والفلبين من دول آسيا ، وليس لها علاقات بالدول الإسلامية في إفريقيا أيضا .

ونلاحظ انه حتى لو قامت بعض العلاقات التجارية والسياسية ، فان العلاقات الثقافية تبقى محدودة او معدومة . وકأنما هناك شبه اقتناع بتنفيذ ما غرسه الاستعمار وأسس له ونما وجوده في بعض النقوس، من إحداث قطيعة بين العرب والمسلمين ، والوصول الى ضرب عرب المسلمين ، و المسلمين بعرب كلما لاحت الفرصة ، وليست حرب العراق وايران بعيدة عنا ، ولا نتائجها بخافية علينا ، ولا أغراض الاستعمار والصهيونية وأعوانهما الرامية الى وضع العروبة في مقابل الاسلام لاضعافهما معا ، بفائية عن الموقدين وصادقي الانتماء للارض والتاريخ والحضارة والعقيدة في وطن العروبة والاسلام . فالعمل المنظم والحديث لتفتيت الارضية الثقافية المشتركة واضعافها ، من أجل التأسيس لاحداث فراغ ثقافي يملأ بالثقافة الغازية التي أعدت لها العناصر البشرية القادرة على القيام بتلك المهام ، سواء من المستشرقين بانتماءاتهم او من تلامذتهم من ذوي الولاء التام للثقافة الاوربية ، غربية كانت أم شرقية ، ذلك العمل كان وما زال مستمراً .

ومنذ بدأت حركة تقهقر مد اللغة العربية والثقافة العربية في القرن الثامن عشر وبلغت تلك الحركة اوجها في النصف الاول من القرن العشرين، بنبذ كثير من الدول الإسلامية للحرف العربي في الكتابة ، وولادة دعوات استعمارية ، حملها علماء وتلامذة للاستعمار ، ومبهرون بقوته ونفوذه ،

ممثلون وممثلون لسيادته وسلطته، دعوات لنبذ اللغة العربية الفصحى، والكتابة بالعاميات واعتماد الحرف اللاتيني في الكتابة ، أقول منذ ذلك الوقت ، والوطن العربي منصرف الى ثقافة الغرب ، متبع لها مأخذ بها ، ومقلد ، في أكثر الأحيان ، لمذاهبها ومدارسها وأساليبها وأعلامها ، ومستهلك للفت والثمين من انتاجها . وهو ، إبان ذلك وبتأثير منه ، يتناءى عن تراثه وتاريخه العظيمين ، وعن واقعه ومحیطه وبیئته الحضارية الفنية، وعن صلاته ومجالات تفاعله المشرّم، مع التربة الشاسعة التي تشكل عمقه الاستراتيجي في المجال الثقافي ، إن صح التعبير ، أعني العمق الاجتماعي والسكاني للمسلمين . وهو في تنايه ذاك كان مسبباً لضعف قوة تأثيره في مناخه الثقافي الإنساني ، ولانصراف الشعوب الإسلامية الى التعلق بشقاقة الاستعمار ، وايديولوجياً القحط الروحي والإفلات الفكري، التي ذرت قرناً في أرجاء عالمنا لفترة من زمن ، والحقت خراباً بالقيم والعقائد والنفوس والعقول ، الامر الذي انعكس سلبياً على ثقافتنا العربية ومداراتها الواسعة ، وعلى أولئك الذين كانوا يساهمون على مدى التاريخ في غنى هذه الثقافة، والذين مازالوا إمكانية رائعة وأكثر من محتملة، لاغنائهما . وكان ثقافتنا العربية التي حققت بالإسلام وله «انتصاراته الباهرة» من خلال ثورة ثقافية أعطت هدفاً جديداً للحياة، وأعطت حياة جديدة للكتل البشرية التي كانت تسكن الإمبراطوريات المضمحة، ذلك الوقت – وقت انتشاره «كما يقول روبيه غارودي»، كان تلك الثقافة تنازلت عن دورها، وأرتأحت من «عناء» المجد لفترة طالت ، وجرّت على العرب وثقافتهم والمتعلّقين بتلك الثقافة تخلفاً وتمزقاً وضبابية رأي ورؤى .

وإذا نظرنا اليوم الى علاقاتنا الثقافية بوجه عام ، والى الأدب والإبداع من مجالات تلك الثقافة بوجه خاص ، والتمسناً نوعاً من التواصل وظلاّلاً من التفاعل ، هنا اضمحلال ذلك وضموره ، ولادركتنا كم نحن مقصرين بحق آخوتنا وإنفسنا ، وبحق أدبنا وابداعنا وثقافتنا ، ولو قفنا

أمام ما يفرضه علينا ذلك التقصير ، وعلى ما يفرضه الوضع المتأكل الذي ينطوي على خلل كبير ، من ضرورة إجراء مراجعة وتصحيح مسارات عمل وتوجه ، واستدراكه لما يمكن استدراكه في مجال التواصل والتفاعل الثقافي بين العرب والمسلمين من غير العرب .

يقول شاعر الباكستان العظيم محمد اقبال « ليس للمسلم وطن غير الاسلام» وليس الاسلام تضاريس أرض بعينها، بوهادها وسهولها وأنهارها، وإنما هو وطن الروح والقيم والثقافة ، ولن يكون ذلك على خير وجه وخير تجل له الا في اللغة العربية ، حيث تتحقق امكانات «المواطنة » في تجليات ابداعها وخلاصها واتقان أدائها لمهامها ومعاناتها ورسالتها . وإذا استطاع أبناء العربية على وجه التخصيص ، أن يستعيدوا لأنفسهم وبأنفسهم ، زمام المبادرة لتأخذ الفتهم وبالتالي ثقافتهم مكانتها وتثبت حضورها وتمارس فعاليتها في الاوساط التي تتعلق بها وتتطلع إلى التواصل معها ، فإنهم يهيئون بذلك مناخا جديدا للابداع في الثقافة العربية – الاسلامية ، ولن يكون ذلك دون ردم هوة تقوم بينهم وبين أبناء عقيدتهم ، تتمثل في هذا الانقطاع المخيف في التبادل الثقافي وغياب أي شكل من اشكال التنسيق والتعاون والتعارف الثنائي بطرقه المختلفة .

ونحن حين نصل ولو متأخرین نسبيا الى هذا الميدان نشعر بأن امكانية تلافي التقصير موجودة نظرا لان الطريق الطويلة تبدأ بخطوة . وها نحن أولاء نقدم هذا العدد من مجلتنا هذه مشتملا على انتاج ادبی اسلامی من جنوب شرق آسيا ، ولا نزعم حين نقدمه أننا جلونا صورة الساحة الادبية هناك ، وقدمنا ما ينبغي أن نقدمه منها وعنها ، ولا ندعى أن امكانات الاختيار كانت واسعة لدينا ، فالتواصل الضعيف ترك أمامنا فرصة ضيقة . ولكننا تؤكد أن رغبتنا كبيرة ومستمرة في مد جسور اتصال ، سواء عن طريق الترجمة ، او تبادل الوفود واقامة علاقات مباشرة لنتعرف

على ما يجري هناك ، ولنقوم بواجبنا تجاه قرائنا لنعترف لهم على مجالات ابداع أدبي يهمهم أن يتعرّفوا عليها .

وستكون خطوطنا هذه بداية طريق كما أسلفت تتبعها خطوات أخرى لاصدار اعداد خاصة عن الادب في بلدان محددة ، أو عن اتجاهات في مناطق اقلية . ولا يعني هذا انفلاقا في اتجاه ، فقد أصدرنا في اتحاد الكتاب العرب ، ومن هذه المجلة بالذات ، اعداداً خاصة عن الادب في بلدان كالهند واليابان والصين واستراليا وسوهاها . ونجده أن من الطبيعي جداً والمنطقي أيضاً أن تلتفت التفاتة خاصة إلى الشرق الذي طال انصارافنا عنه وانصرافه هنا ، جراء عملية الاستقطاب الثقافي ، أو قل المغزو الثقافي ، فترة الاستعمار المباشر أو تلك التي تلتها ، على هذه المناطق من العالم . وأنه من الطبيعي والمنطقي أن يكون تواصلنا مع ثقافة تجمعنا بها أصول مشتركة ، متينا إلى حد كبير ، وأن يقوم ذلك التواصل على أساس ثابتة ، وأن يتم في الاتجاهين معاً ، بين العربية وأبنائهما من جهة ، وبين لغات تلك البلدان وأبنائهما من جهة أخرى .

ونجد أن هذا التوجه يفرض علينا أن نهيء هناصر بشرية متمكنة من اللغات التي يكتب بها الادب في البلدان والمناطق الاقليمية المقصودة حتى نتخلص من الترجمة من لغة وسيطة ، يحجبنا التعامل معها ومن خلالها ، عن كثير من الابداع الادبي من جهة وعن التفاعل مع نصوص ولفة تعبير أصيلة تحمل حرارة الواقع ودروح المبدع وتكون أكثر تعبيراً من شخصية الاديب والمفكر واسلوب كل كاتب وشخصه من جهة أخرى ، ان جداً خاصاً ومتميزة لا بد أن تبذل الجهات المعنية والمسؤولية عن التبادل الثقافي بين بلدانا وثقافاتنا ، وهذا الجهد ينبغي أن ينصب بالدرجة الاولى على تكوين القدرات البشرية المتمكنة من التعامل بوعي واقتدار مع معطيات تلك

المناطق ، لاسيما مع اللغة ، ومطلعة على الثقافة ، ومتخصصة في مجالات ادبية بعینها ، لتكون قادرة على اقامة جسور تواصل حقيقة بين المبدعين وتيارات الابداع ، بين المفكرين ومدارس الفكر ومذاهبه ، فضلا عن مسؤولية الجهات المعنية عن القيام بتمتين الروابط وعقد اتفاقيات التعاون والتبادل الثقافيين على المستوى الثنائي من جهة ، وعلى المستوى الاقليمي ، والعربي الاسلامي العام من جهة اخرى .

ونحن نعرف جيداً أن شيئاً من هذا الجهد يقع على منظمة التربية والثقافة (استكوا) التي تعمل في اطار المؤتمر الاسلامي ، ولكن جهودها المشتكورة لا يمكن أن تكون شاملة لجميع المجالات ، ولا يمكن أن تكون بديلاً للجهد الذي تقع مسؤولية بذله على عاتق كل بلد وكل مجموعة عمل معنية في مجال اهتمامها واحتضانها .

ومن هذا المنطلق فاننا نجد الفرصة سانحة لنعرب عن استعدادنا للقيام بكل ما يمكن القيام به من تعاون وتبادل ثقافيين في مجالات الادب ومبادرات الابداع الفكري مع اخوتنا في البلدان الاسلامية ، ونعتقد ان الفائدة ستكون كبيرة جداً يوم نقدم لادبائنا وكتابنا ولقرائنا أيضاً مادة ثقافية وأدبية من افريقيا وآسيا بالدرجة الاولى ، ومن قارات الارض كلها بشكل عام ، تقوم على ارضية فكرية مشتركة ، وتنطلق من قيم ومعايير واحدة ، أو متقاربة .

ان فرصة نادرة للاطلاع على تجليات التفاعل الثقافي وتجسداته ، وعلى الابداع الذي يحمل خصوصيات الناس وخلاصات معاناتهم وتعايشهم في بيئات وظروف حياة ومناخات مختلفة ، وهم يتظرون الى الدنيا والكون والموت وما بعد الموت ، وإلى علاقات الانسان بالانسان وبالوجود وال الموجودات ، من منظور عقدي واحد ، اقول : ان فرصة نادرة سوف تتاح لنا ولثقافتنا

ومثقفينا ، وكذلك للثقافات والمثقفين الذين تتوالى وتتفاعل معهم ، فرصة نمارس خلالها فعل المثقفة بابداع ، ونعني ابداعنا بالتواصل بين آدابنا ومبدعينا على مستوى واسع ، وبتعمق كبير ، اذا ما تم ذلك بصورة مناسبة .

ان ما يعرضه علينا المفكر والفيلسوف الشاعر محمد اقبال في بحثه المنشور في هذا العدد ، من فكر ورأي ، وما يفتنه من مزاعم وآراء لمفكرين غربيين حاولوا أن تلحق أبحاثهم تشويبها بثقافتنا وعقيدتنا ، او أن يفرضوا ، في أحسن الاحوال ، فيما ، قاصراً ومشوهاً عليهم ، ان ذلك يبين الى أي حد هو قريب منا ومتمثل لحالات التصدي والمواجهة ، ولنماخ التحدى الذي ما زالت تخوضه الثقافة العربية – الاسلامية ويغوص غماره مثقفوها ، ويرينا أيضاً الى أي حد يمكن أن يغنى معرفتنا ويعزز مواقفنا اسهام المفكرين الذين تجمعنا معهم أرضية مشتركة ، عالم الفكر والثقافة والابداع في هذه المساحة من حضارة العالم عبر امتداد الزمان والمكان . وان وقفة على الابحاث المتعلقة بالشعر والوانه وأصوله واهتماماته وعروضه ، وكذلك على الاعلام الكبار في ميادين معرفية وابداعية مختلفة ، في جنوب شرق آسيا كفيلة بجعلنا نشعر بأولئك الذين نسبت واياهم على ساق معرفية وثقافية واحدة ، كما يجعلنا نعرف شيئاً عن تاريخنا الثقافي وامتداداته وتفاعلات الشرق معنا وتفاعلاتنا معه في اطار من الافكار والقيم الروحية والعرفانيات والاشراقات التي تحمل خصائص الشرق والاسلام والعروبية ، من وجهة نظر بعض التيارات الفلسفية والفقهية والمعرفية في هذا العالم الفني .

وحين نقرأ نماذج من الشعر النضالي لفازى نظر الاسلام الشاعر المتمرد والثائر ضد الاستعمار والبؤس وأنواع القهر ، مواطن طاغور ونظيره . او حين نقرأ لفيض احمد فيض – ويعرفه قراء العربية اكثر بفائز احمد فايز خطأ – ونقف على نماذج من شعره بالاوردية ونلبس

□ نحن وآخوتنا والشرق □

احترامه لاصالة الشعر في تلك البقاع التي تستمد نسغها في الموسيقا
والبعد الروحي من شعرنا العربي أو تنهل واياه من تربة واحدة ، أقول
حين نقف على نماذج من شعره مترجمة ، وهو الذي قضى عمره يكافع
مع الطبقات الفقيرة ولاجلها وصولا الى تجديد روح الحياة ، ووجهه
الباكستان ، وحين نمعن النظر في تدفق نهر الالم والغرابة في شرائينه وهو
ساكن صابر مكابر يردد :

« الليل شديد العتمة

ولكن من همتته تلك

يظهر جدول من الدم

هو صوتي

ويلمع في ظلاله المد الذهبي

* * *

الذي هو رؤياك . »

« فجر الوجوعين والمصابين

لم يعد في السماء

هنا افق الفجر الشفاف

حيث تكون أنا وانت . »

أقول حين نقرأ شعرا لمبدعين كبارين أمثال نظر الاسلام وفيض
أحمد فيض ، أو نطلع على النماذج المتاحة في هذا العدد ، نجد أن هناك
إمكانية حقيقة لمكافحة بناءة ونماذج من العطاء ، لاتنمو ظلالها في خطوط
متوازية لالتقى ، بل ان أشعتها التي تنير مقطعا ضخما من ارض البشر ،
تنطلق من مركز واحد ، وتتلاقى في مصاب قيم وابداع تتقطع وتنكملا .
أسماء عديدة قدمها هذا العدد المتواضع في مجال الشعر ، وما قدمه
لها كان قليلا جدا ، ويكاد أكثرها لا يعرف على الاطلاق من قبل قراء
العربية عدا « فيض احمد فيض » نسبيا .

واسماء أخرى في مجال القصة القصيرة ، قدمت قصصها نماذج من البنية الفنية ، والانشقاقات والاهتمامات العامة ، وبعض جوانب المعاناة ، ومناحي التفكير ، وما يمكن أن ينم عن مشاعر قطاعات من الناس ، وكل ذلك يلقي ضوءاً ضئيلاً ، حبيباً وخجولاً ، على عطاء جم وتجارب كثيرة ومتعددة ، لمبدعين في مجالات الانتاج الادبي والفنى في جنوب شرق آسيا ، لأنعرف عنهم شيئاً ، ولم نتداول من اسمائهم ، بله انتاجهم الادبي والفنى والفكري ، سوى اسم أو اثنين أو ثلاثة .
فهل حين نعرف كل هذا التقصير ، وحين نتعرف على بعض ما في تلك البقاع من ابداع ، أقول هل نملك سوى الاعتراف بأن هناك عالماً قريباً جداً منا أدرنا له ظهورنا ، وان هناك مسؤولية تجاه مانحه وما نحن مسؤولون عنه أمام شعوبنا ، وأمام تاريخنا ومستقبل أجيالنا ، تلقى ظلالها وأثقالها علينا ، الامر الذي يتطلب منا التفاتاً واعيناً الى ذلك المناخ الجديد الذي كان قريباً منا ويعيدها علينا في آن معاً .

ان هذا الجهد المتواضع جداً الذي نقدمه في هذا العدد يفتح أمامنا أبواباً كثيرة ، كلها تكشف عن أمرين هامين :

— مدى تقصيرنا في التواصل مع اخوتنا في الشرق عادة وفي الاسلام خاصة ، ومدى تغريتنا عنهم واغترابنا عن « انفسنا » وبيئتنا وخصوصيتنا ، منذ أن استتبّتنا الثقافة الغربية — الاستعمارية ، الامبرialisية وغير الامبرialisية .

— ومدى توقدنا للتفاعل الخلاق مع محيط ثقافي واجتماعي غني وعريلق ، يحمل خصوصية وتنوعاً ، ويفنى في الاغتراب والفرقة من شدة المعاناة ، وشدة الرغبة للعيش في أصالته وتربيته وبيئته ، يستنطقهما دروساً ويجسد تواصله معها ، ومع الحياة انطلاقاً منها ، ابداعاً .

ولا أجد مناصا من القول بمسؤولية أخوتنا في الشرق ، وفي الإسلام أيضا عن شيء من التقصير حيال ثقافة هي لنا ولهم لحمة وسدى، وحيال عقيدة ولغة عقيدة ، هي لنا ولهم أيضا خير منقذ وخير دارة تواصل ودار ابداع واشراق ، وحرية واعتناق .

وعلني لا أدعو دعوة ذات صيغة قاصرة أو طبيعة نافرة ، إذا أكدت أهمية قول روجيه غارودي ودعوته أذ يقول :

« لقد استطاع الإسلام في صورته الأولى أن يدمج ثقافات جميع الشعوب من بيزنطة إلى اليونان إلى بلاد فارس إلى الهند . وقد تم ذلك بطريقة فيها ابتكار وحسن اختيار ، وفي نفس الوقت انتقاد لكل مالا يتفق مع الإسلام . ولكن يبقى الإسلام حيويا في هذا القرن لا بد أن ينهج نفس النهج ، علينا نحن المسلمين أن نقوم بنفس المجهود الابتكاري الذي قام به أجدادنا » .

ان غارودي الذي تصلع من ثقافات متنوعة ، ونهل من مشارب فكرية متعددة ، وقادته بصيرته ومعرفته ، كما قاده عقله وعلمه ، من المسيحية إلى الالحاد الشيوعي، ثم إلى نبذ الايدلوجيا واعتناق الإسلام، انه يجد نفسه وارثاً منا ، ووارثاً مثلنا ، لثقافة قادرة على تجديد الحياة واستعادة الحيوية لثقافات عالم اليوم ، اذا ما أتيح لها جهد ابتكاري يوظف على منهج واضح ، وهدي قويم ، وهدف معلوم ، تتمكن الذين ساروا قدیما على مثله أن يفنوا ثقافتهم ويدخلوا حيوية وازدهارا إلى ثقافة البشرية كلها ، في إطار من الاحترام التام للآخر بكل ما يمثله، وانتقاد موضوعي لكل ما يتعارض مع المفاهيم والأصول والقيم والمعتقدات التي تنبع منها تلك الثقافة العربية - الإسلامية وما تمثله وتدافع عنه .

□ نحن وآخوتنا والشرق □

ولا أقل من أن ينطبق هذا على الكتاب ورجال الأدب فيما يعنيهم من أمور المثقفة والإطلاع في حدود خصائص الأدب ومقوماته وقيم بنائه ومعايير تقويمه وارتقاءه، فليس المقصود ولا المطلوب أن يصبحوا دعاةً أو أن يسروا في طريق الدعاة على الإطلاق ، وإنما المقصود أن يتعمق كل منهم في معرفة ما حوله والمعطيات الابداعية والفكرية القريبة منه والمرتبطة على نحو ما بهويته وخصوصيته ومناخه الحيوي ، ليكون أكثر ثراءً وأكثر معرفة بأوجه الغنى والتنوع في الثقافة الإنسانية وهو يتبع مسيرة التقدم والمثقفة والتواصل المعرفي مع الآخر ، ويستشرف لنفسه ولأمته ولابداع أمه ، آفاق المستقبل . ويبحث عن الهوية والاصالة والتأصيل، ذلك الذي يثبت وجوده وخصائصه وحضوره بينما يخوض بعقل مفتوح ووعي وبصيرة ، خضم الصيرورة مدى حياة الفرد والجبل ، ومدى حيوية الثقافة والأدب على مر الزمن .

وبعد فهل تراني ، فيما ذكرته ودعوت إليه ، جاوزت مادعا إليه ذلك المسؤول المسلم من الشرق الأقصى الذي اشترط إلى قوله في مطلع كلمتي هذه ؟ !

وهل هناك مخرج مما نحن فيه ، لاسيما بعد أن تراجعت السياسة عن خلافاتها وحروبها الساخنة والباردة في ساحات أوربا وأميركا ، وأخلت الميدان للثقافة والابداع والفكر في ظل السلام والتعاون ، هل هناك من مخرج نحو النور سوى أن نتعارف ونتعاون ونجدد ونبعد في اثبات الوجود لاعلاء شأن الإنسان والحضارة ؟! وهل هناك ما يمنعنا من أن يلتفت بعضنا إلى بعض ، وإن يغرن كل منا مسيرة الآخر ؟ !

إنني أقول بوضوح إن الغرب يتفق على ما فيه مصالح الغرب ، وللغرب ثقافة وشخصية وحضور ومناخ ، يمتد فيه ويتفاعل معه ويكون

□ نحن وآخوتنا والشرق □

فاعلاً فيه . ولنا نحن في الشرق عامة ، وفي العالم الإسلامي الذي تكون الثقافة العربية نواهه وجواهر ثقافته ، لنا شخصية متماسكة وخصوصية وحضور ومناخ يمتد فيه عطاؤنا وينهل منه ابداعنا ، ويتمثل طمماً ولونا وتكوننا وتكويننا ، في انتاجنا ، ولا حرج علينا ، ونحن ننسى أن تكون حملة لخصوصيتنا وثقافتنا وهي بتنا ، في أن نتفاعل مع الثقافات الأخرى من موقع مشترك مع أولئك الذين يكونون جزءاً من شخصيتنا الثقافية ، وإن نsem معها في ازدهار الحضارة وبناء عالم الفد لكل البشر ، بشقة وامن وشراكة تامة في ظل العدل والتآخي والسلام .

ان الغرب قد لا يسمع للآخرين بالنمو الحر التمايز السليم ، قياساً على تجربته سابقة وطويلة معه ، وإذا كان كذلك كذلك ، فهو يعزز الدعوة لأن يكون لنا حضورنا الثقافي وحيوتنا وتماسكنا وتواصلنا الفعال ، الذي يمكننا من الثبات والمواجهة والتحدي المبدع في ساح المعافة البناء ، والدفاع عن الوجود المتمثل في حضور الشخصية الثقافية وتماسكها ، بدل مفهومها الرئيسة ، ومنها اللغة والدين .



محمد اقبال:

تجديد التفكير الديني في الإسلام

روح الثقافة الإسلامية

« صعد محمد النبي العربي الى السموات العلی ثم رجع الى الارض
قسما بربی او اني بلفت هذا المقام لما عدت ابدا » .

هذه كلمات لولي مسلم عظيم ، هو عبد القدوس الجنجوهي . ولعله من العسير ان نجد في الادب الصوفي كله ما يفصح في عبارة واحدة منه عن مثل هذا الادراك العميق للفرق السيكولوجي بين الوعي النبوی والوعي الصوفي . فالصوفي لا يريد العود من « مقام الشهدود » ، وحتى حين يرجع منه – ولا بد له أن يفعل – فان رجعته لا تعني الشيء الكثير بالنسبة للبشر بصفة عامة . أما رجعة النبي فهي رجعة مبدعة اذ يعود ليشق طريقه في موكب الزمان ابتغاء التحكم في ضبط قوى التاريخ وتوجيهها على نحو ينشئ به عالما من المثل العليا جديدا . « فمقام الشهدود » عند الصوفي غاية تقصد لذاتها . لكنه عند النبي يقظة لما في

اعماقه من قوى سيكولوجية تهز الكون هزا ، وقد قدر لها أن تغير نظام العالم الانساني تغييراًاما . ورغبة النبي في أن يرى رياضته الدينية قد تحولت الى قوى عالمية حية رغبة تعلو على كل شيء . ولهذا كانت رجعته ضرباً من الامتحان العملي لقيمة رياضته الدينية . فارادة النبي ، في عملها الانشائي ، تقدر قيمتها هي كما تقدر عالم الحقائق المحسوسة التي تحاول أن تتحقق وجودها فيه . وعندما يتفلل النبي فيما يواجهه من أمور مستعصية وينفذ الى اعماقها ، تتجلى له حينئذ نفسه فيعرفها ، ويزيح القناع عنها فتراها أعين التاريخ . ولهذا كان من بين ما يحكم به على قيمة دعوة النبي ورسالته ، البحث في نوع الرجولة التي ابتدعها والفحص عن العالم الثقافي الذي انبعث عن روح دعوته . وسأقصر بحثي في هذه المحاضرة على الامر الاخير وحده . ولست اريد ان أضع امام انظاركم وصفاً لما حصله الاسلام في ميدان المعرفة ، بل الاخرى اتنى اريد ان اركز انتباهم في بعض الاراء الاساسية في ثقافة الاسلام لنرى ما في ثناياها من حركة فكرية ، ولنلمع بصيصاً من الروح التي عبرت عنها هذه الافكار .

على أنه قبل أن اتناول هذا البحث ينبغي أن نفهم اولاً القيمة الثقافية لأحدى الفكر الاسلامية العظيمة وأعني بها فكرة خاتم النبوة (١) .

قد يقال في تعريف النبوة أنها ضرب من الوعي الصوفي ينزع ماحصله النبي في مقام الشهود الى مجاوزة حدوده ، وتلمّس كل سانحة للتوجيه قوى الحياة الجمعية توجيهاً جديداً ، وتشكيلها في صورة مستحدثة .

(١) « ما كان محمد اباً احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبّيين » سورة الحزب : آية ٤٠ .
المترجم)

فالمركز المتناهي من شخصية النبي يغوص أغوارا لا نهاية ليطفو ثانية مفعما بقوة جديدة تقضي على القديم وتكشف عن توجيهات للحياة جديدة. وهذا الاتصال بأصل وجوده ليس خاصا بالانسان بأي حال من الاحوال.

وفي الحق أن الطريقة التي استعمل بها القرآن لفظ « الوحي » تبين أنه يعتبر الوحي صفة عامة من صفات الوجود ، وان كانت حقيقته وطبيعته تختلفان باختلاف مراحل التدرج والتطور في الوجود . فالنبات الذي يزكي طليقا في الفضاء ، والحيوان الذي ينشئ له تطوره عضوا جديدا ليتمكنه من التكيف مع بيئه جديدة ، والانسان المستلهم للنور من أعماق الوجود ، كل أولئك أحوال من الوحي تختلف في طبيعتها وفقا لحاجات مستقبل الوحي ، أو لحاجات نوعه الذي ينتمي اليه ، وفي طفولة البشرية تتطور القوة الروحانية الى ما أسميه الوعي النبوى ، وهو وسيلة للاقتصاد في التفكير الفردي والاختيار الشخصي وذلك بتزويد الناس بأحكام وخيارات وأساليب للعمل أعدت من قبل . ولكن الوجود أخذ بمولد العقل وظهور ملكة النقد والتمحيص ، تكتب الحياة ، رعاية مصلحتها ، التكوين والنمو لاحوال المعرفة التي لا تعتمد على العقل ، والتي فاضت القوى الروحانية خلالها في مرحلة مبكرة من مراحل تطور الإنسانية . والانسان محكوم أساسيا بالعاطفة والفرizia . أما العقل الاستدلالي ، وهو وحده الذي يجعل الانسان سيدا لبيئته فأمر كنبي فإذا حصلناه مرة وجب أن ثبت دعائمه ونشد من أزره ، وذلك بكتاب أسلوب المعرفة التي لا تعتمد عليه ، وليس من شك في أن العالم القديم قد أخرج للناس بضعة مذاهب فلسفية عظيمة عندما كان الانسان على الفطرة الاولى نسبيا يكاد يحكمه الایحاء . ولكن يجب الا ننسى أن قيام هذه المذاهب في العالم القديم كان من عمل التفكير المجرد وهو لا يعندو أن يكون تنسيقا لمعتقدات دينية غامضة ولتقاليد اصطلاح عليها الناس ، دون أن يجعل لهم سلطانا على أوضاع الوجود المحسوس .

فإذا نظرنا إلى الامر من هذه الزاوية وجدنا أن نبي الاسلام يبدو انه يقوم بين العالم القديم والعالم الحديث . فهو من العالم القديم باعتبار مصدر رسالته ، وهو من العالم الحديث باعتبار الروح التي انطوت عليها . فللحياة في نظره مصادر اخرى للمعرفة تلائم تجاهلها الجديد . ومولد الاسلام ، كما أرجو أن أتمكن من اثباته لكم بعد قليل اثباتاً تطمئنون اليه ، هو مولد العقل الاستدلالي .

ان النبوة في الاسلام لتبلغ كمالها الاخير في ادراك الحاجة الى القاء النبوة نفسها . وهو أمر ينطوي على ادراكها العميق لاستحالة بقاء الوجود معتمداً الى الابد على مقود يقاد منه ، وان الانسان ، لكي يحصل على معرفته لنفسه ينبغي أن يترك ليعتمد في النهاية على وسائله هو .

إن إبطال الاسلام للرهبة ووراثة الملك ، ومناشدة القرآن للعقل وللتجرية على الدوام ، وإصراره على أن النظر في الكون والوقوف على أخبار الأولين من مصادر المعرفة الانسانية ، كل ذلك صور مختلفة لفكرة انتهاء النبوة .

على أن هذه الفكرة ليس معناها أن الرياضة الصوفية وهي لا تختلف من حيث الكيف عن النبوة قد انقطع وجودها الآن بوصفها حقيقة من حقائق الحياة

والحق أن القرآن يعد الانفس والأفاق مصادر للمعرفة^(١) . فالذات الإلهية ترينا آياتها في أنفسنا وفي العالم الخارجي على حد سواء . ولهذا وجوب على الإنسان أن يحكم على كفاية كل ناحية من نواحي التجربة في إفاده العلم . وعلى هذا ففكرة انتهاء النبوة ينبغي الا يفهم منها أنها تفترض أن

(١) « سررهم آياتنا في الأفاق وفي أنفسهم » سورة فصلت آية ٥٢ . (المترجم)

(١٠ - التفكير الديني)

□ تجديد التفكير الديني في الاسلام □

مصير الحياة في النهاية هو إحلال العقل محل الشعور إحلالاً كاملاً . فمثل هذا ليس ممكناً ولا مرغوباً إنما قيمة هذه الفكرة من الناحية العقلية هي في اتجاهها إلى خلق نزعة حرة في تمحيص الرياضة الصوفية إذ تجعل الإنسان يعتقد أن كل سلطان شخصي يزعم أن له أصلاً خارقاً للطبيعة قد فات أو وانه في تاريخ البشر . ومثل هذا الاعتقاد قوة سيكولوجية تحول دون نمو مثل هذا السلطان . وعمل هذه الفكرة هو أنها تفتح سبيلاً جديدة للمعرفة في ميدان الرياضة الروحية عند الإنسان . والقول بأن الآيات الدالة على الذات الإلهية تتجلى في الأنفس قد خلق روح النقد لعلم الإنسان بالعالم الخارجي ، ووطد أركانها بأن جرد قوى الطبيعة من الصبغة الإلهية التي أضفتها عليها الثقافات الأولى . وعلى هذا يجب على المسلم اليوم أن يعدَّ الرياضة الصوفية رياضة طبيعة تماماً ، مهما كانت أمراً غير عادي أو شيئاً غير مألف ، وأنها خاضعة للنقد والتمحيص ، شأنها في ذلك شأن غيرها من وجوه التجارب الإنسانية . وهذا واضح في موقف النبي نفسه من ابن صياد ومن أحواله الروحانية .

ولقد كانت وظيفة التصوف في الإسلام أن جعل الرياضة الصوفية طريقة منهج منسق ، وإن كان ينبغي أن نقرر أن ابن خلدون انفرد من بين المسلمين جميعاً بالبحث في التصوف على طريقة علمية خالصة .

غير أن رياضة الباطن ليست إلا مصدراً واحداً من مصادر العلم . والقرآن يصرح بوجود مصدرين آخرين هما الطبيعة والتاريخ . وروح الإسلام على أحسن صورها تتجلى في فتح طريق البحث في هذين المصادرين . فهو يرى آيات على الحق في «الشمس» و«القمر»^(١)

(١) «وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ» سورة فصلت : آية ٣٧ .

و « امتداد الظل »^(١) و « اختلاف الليل والنهار »^(٢) و « اختلاف الألسنة والألوان »^(٣) و « وتداول الأيام بين الناس »^(٤) بل ويرى هذه الآيات ماثلة في الكون كله كما يتكتشف في إدراكنا الحسي . فعلى المسلم أن يعتبر بهذه الآيات ، والا يمر بها أصم وأعمى^(٥) « ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً »^(٦) .

وهذه الدعوة إلى عالم الحس والاستشهاد به ، وما اقترن بها من إدراك مئذ لما يراه القرآن من أن الكون متغير في أصله ، متناه قابل للإزدياد ، كل ذلك انتهى بمفكري الإسلام إلى مناقضة الفكر اليوناني بعد أن أقبلوا في باكورة حياتهم العقلية على دراسة آثاره في شفف شديد . ذلك أنهم لم يغطّنوا أول الأمر إلى أن روح القرآن تتعارض في جوهرها مع هذه النظارات الفلسفية القديمة وبما أنهم كانوا قد وثقوا بفلسفة اليونان ، أقبلوا على فهم القرآن في ضوء الفلسفة اليونانية . وكان لا بد من إخفاقهم في هذا السبيل لأن روح القرآن تتجلى فيها النّظرة الواقعية ، على حين انمازت الفلسفة اليونانية بالتفكير النظري المجرد وإغفال الواقع

(١) « ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكناً » . سورة الفرقان : آية ٤٥ .

(٢) « إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والأرض لآيات لقوم يتقدون » . سورة يونس : آية ٦ .

(٣) « ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف السننكم والوانكم » : سورة الروم : آية ٢٢ .

(٤) « وتلك الأيام تداولها بين الناس » آل عمران . آية ١٤٠ .

(٥) « والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعياناً » . سورة الفرقان آية ٧٣ . (المترجم) .

(٦) سورة الإسراء : آية ٧٢ . (المترجم) .

المحسوس . ثم جاء على أعقاب هذا الأخفاق ما أظهر ثقافة الإسلام في روحها الحقيقة ووضع القواعد لثقافة حديثة في بعض نواحيها البارزة .

إن هذه الثورة العقلية على الفلسفة اليونانية لتتجلى في كل ميدان من ميادين الفكر . وإنني لا أخشى إلا أكون كفأاً لتناول الموضوع كما يتمثل في ميدان الرياضيات والفلك والطب . وهذه الثورة واضحة كل الوضوح في التفكير الفلسفـي للأشاعرة ولكنها تبدو على أوضـع ما يكون من التحديد وأوـفـاه في نقد المسلمين للمنطق اليوناني وقد كان هذا أمراً طبيعـياً لأن عدم الرضا عن الفلسفة النظرية البحثـة معناه التماـس طرـيقـة لـفـادة الـعلم على وجه أقرب إلى اليقـين . والنـظام (١) – فيما اظن – كان أول من قـرـر أن « الشـك » بـدـاـيـة لـكـل مـعـرـفـة ، ثم جاء الغـزالـي فـأـفـاضـ في ذـلـكـ في كتابـه « إـحـيـاء عـلـوم الدـيـن » ، ومـهـدـ السـبـيلـ لـمـنهـج دـيكـارتـ (٢) ، ولكن الغـزالـي ظـلـ على الجـملـةـ تـلـمـيـداً لـأـرـسـطـوـ فيـ المـنـطـقـ ، وـوـضـعـ فيـ كـتـابـهـ « القـسـطـاسـ » بـعـضـ حـجـجـ الـقـرـآنـ فيـ أـقـيـسـةـ مـنـطـقـيـةـ أـرـسـطـالـيـةـ (٣) وـفـاتـهـ أـنـ فيـ سـوـرـةـ الشـعـرـاءـ قـضـيـةـ تـقـرـرـ أـنـ الـعـقـابـ عـاـقـبـةـ الـمـكـذـبـيـنـ لـلـأـنـبـيـاءـ (٤) وـأـنـ هـذـهـ الـقـضـيـةـ قـامـتـ عـلـىـ أـسـاسـ السـرـدـ الـبـسيـطـ لـأـمـثـلـةـ مـنـ أـخـبـارـ الـأـوـلـيـنـ .

(١) إبراهيم بن سيار النظام رأس فرقـةـ منـ الفـرقـ الإـسـلامـيـةـ ظـالـعـ تـتـيراـ منـ كـتـبـ الـفـلـاسـفـةـ وـخـلـطـ كـلـامـ الـمـعـتـزـلـةـ وـانـفـرـدـ عـنـهـ بـأـرـاءـ مـعـيـنـةـ انـظـرـ المـلـلـ وـالـتـجـلـلـ لـلـشـهـرـ سـتـانـيـ حـ1 صـ72 « وـالـفـرـقـ بـيـنـ الـفـرـقـ » للـبـغـدـادـيـ صـ113 .

(٢) « رـينـيهـ دـيكـارتـ » (1696 - 1650) فـيـلـسـوـفـ فـرـنـسـيـ مشـهـورـ لهـ مـذـهـبـ فـلـسـفـيـ اـنـتـشـرـ فيـ أـورـبـاـ باـسـرـهـ وـلـهـ مـنـهـجـ مـعـرـفـةـ يـقـومـ عـلـىـ اـسـاسـ الشـكـ فيـ كـلـ شـيـءـ مـاعـدـاـ وجودـ الـفـكـرـ وـذـلـكـ لـلـتـمـهـيدـ إـلـىـ الـعـصـولـ عـلـىـ الـيـقـينـ .

انـظـرـ تـفـصـيلـ مـنـهـبـهـ فيـ تـارـيـخـ الـفـلـاسـفـةـ الـحـدـيـثـ صـ56 - 84 .

(٣) انـظـرـ مـنـاهـجـ الـبـحـثـ عـنـ مـفـكـريـ الـإـسـلامـ لـعـلـيـ سـاميـ النـشـارـ صـ125 .

(٤) « فـكـذـبـوـهـ فـأـهـلـكـنـاـهـ إـنـ ذـلـكـ لـذـيـةـ » سـوـرـةـ الشـعـرـاءـ آـيـةـ ١٣٩ـ فـكـذـبـوـهـ فـاخـذـهـمـ عـذـابـ يـوـمـ الـظـلـةـ » سـوـرـةـ الشـعـرـاءـ آـيـةـ ١٨٩ـ . (المـتـرـجمـ) .

ولقد كان الأشرافي وابن تيمية هما اللذان نهضا إلى نقد المنطق اليوناني نقدا علميا منظما . ولعل أبا بكر الرازي كان أول من نقد الشكل الأول عند أرسطو ، واعتراض عليه باعتراض جاء به في زماننا هذا جون ستيوارت مل ، فنظر إليه نظرة قائمة على روح التفكير الاستقرائي ، وصاغه في صورة جديدة .

وفي كتاب «التقريب في حدود المنطق» يؤكده ابن حزم أن الحس أصل من أصول العلم . وابن تيمية يبين في كتابه المسمى «نقد المنطق»^(١) أن الاستقراء هو الطريقة الوحيدة الموصولة إلى اليقين^(٢) . وهكذا قام المنهج التجربى القائل بأن الملاحظة والتجربة هما أساس العلم وأصله لا التفكير النظري مجرد . وكشف البرونى عما نسميه زمان الانفعال ، وكشف الكندي لتناسب الحس مع الدافع مثلان على تطبيق هذا المنهج التجربى على علم النفس . فالزعم بأن أوربا هي التي استحدثت المنهج التجربى رغم خاطئه . يقول دوهرنج (Duhring) «إن آراء روجر بيكون (Roger Bacon) في العلوم أصدق وأوضح من آراء سميت المشهور»^(٣) .

(١) ذكر السيوطى لابن تيمية كتابين في نقد المنطق أحدهما صغير لم يتيسر له الاطلاع عليه ، والأخر كبير واسمه «نصيحة أهل الإيمان في الرد على منطق اليونان» لخصمه السيوطى في كتابه «صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام» .

انظر مناهج البحث عند مفكري الإسلام على سامي النشار ص ١٧٧ .

(٢) «أن الجزيئات المعينة القائمة على الحس هي الحقائق الوحيدة المتحققة في الأعيان» المراجع السابق ص ٢٠٦ (المترجم) .

(٣) فرنسيس بيكون (١٥٦١ - ١٦٢٦) فيلسوف إنجليزي يعتبر همزة الوصل بين الفلسفة القديمة والفلسفة الحديثة نقد أوهام المقل ووضع منهج الاستقراء انظر تفصيل منهبه في تاريخ الفلسفة الحديثة لي يوسف كرم ص ٤٣ - ٤٩ .

ومن أين استقى روجر بيكون ما حصله في العلوم ؟ من الجامعات الإسلامية في الاندلس . والقسم الخامس في كتابه (Cepus Majus) الذي خصصه للبحث في البصريات هو في حقيقة الامر نسخة من كتاب المناظر لابن الهيثم^(١) . وكتاب بيكون ، في جملته ، شاهد ناطق على تأثيره بابن حزم .

لقد كانت أوروبا بطبيعة نوعا ما في إدراك الأصل الإسلامي لمنهجها العلمي ، وأخيرا جاء الاعتراف بهذه الحقيقة . وسألوا عليكم فقرة أو فقرتين من كتاب « بناء الإنسانية » (Making of Humanity) الذي ألفه بريغولت (Briffault) يقول بريغولت « أن روجر بيكون درس اللغة العربية والعلم العربي والعلوم العربية في مدرسة اسفورد على خلفاء معلميه العرب في الاندلس . وليس لروجر بيكون ولا لسميه الذي جاء بعده الحق في أن ينسب اليهما الفضل في ابتكار المنهج التجربى . فلم يكن روجر بيكون الا رسولا من رسل العلم والمنهج المسلمين الى أوروبا المسيحية ، وهو لم يمل قط من التصريح بأن تعلم معاصريه للغة العربية وعلوم العرب هو الطريق الوحيد للمعرفة الحقة . والمناقشات التي دارت حول واضعي المنهج التجربى ، هي طرف من التحرير الهائل لاصول الحضارة الأوروبية . وقد كان منهج العرب التجربى في عصر بيكون قد انتشر انتشارا واسعا ، وانكب الناس ، في لهف ، على تحصيله في ربوع

(١) أبو علي الحسن بن الحسن (أو الحسين) بن الهيثم من أعلام العرب في الرياضيات والطبيعتين ولد حوالي سنة ٣٥٤ هـ (٩٦٥ م) وتوفي بالقاهرة حوالي عام ٤٢٠ هـ (١٠٣٩ م) ذكر له ابن أبي اصيبيعة في كتابه عيون الآباء (ح ٢ ص ٩٠ - ٩٨) ما يقرب من مائتي كتاب ورسالة في الرياضة والفلك والطبيعتين والفلسفة والطب . ومن اهم كتبه كتاب المناظر الذي ترجم الى اللاتينية ونشر سنة ١٥٧٢ م . انظر دائرة المعارف الإسلامية المجلد الاول ص ٢٩٨ .

أوربا» . (ص ٢٠٢) . «لقد كان العلم أهم ماجادت به الحضارة العربية على العالم الحديث ، ولكن ثماره كانت بطئية النضج . إن العبرية التي ولدتها ثقافة العرب في إسبانيا لم تنبع في عنفوانها إلا بعد مضي وقت طويل على اختفاء تلك الحضارة وراء سحب الظلام . ولم يكن العلم وحده هو الذي أعاد إلى أوروبا الحياة ، بل إن مؤثرات أخرى كثيرة من مؤثرات الحضارة الإسلامية بعثت باكورة أشعتها إلى الحياة الأوروبية . (ص ٢٠٢) . «فإنه على الرغم من أنه ليس ثمة ناحية واحدة من نواحي الازدهار الأوروبي إلا ويمكن ارجاع أصلها إلى مؤثرات الثقافة الإسلامية بصورة قاطعة ، فإن هذه المؤثرات توجد أوضاع ماتكون وأهم ماتكون ، في نشأة تلك الطاقة التي تكون ما للعالم الحديث من قوّة متميزة ثابتة ، وفي المصدر القوي لازدهاره — أي في العلوم الطبيعية وفي روح البحث العلمي . (ص ١٩٠) » .

«إن ما يدين به علينا لعلم العرب ليس فيما قدموهلينا من كشف مدهشة لنظريات مبتكرة ، بل يدين هذا العلم إلى الثقافة العربية بأكثر من هذا ، إنه يدين لها بوجوده نفسه . فالعالم القديم ، كما رأينا ، لم يكن للعلم فيه وجود . وعلم النجوم عند اليونان ورياضياتهم كانت علوماً الجنبية استجلبوها من خارج بلادهم وأخذوها عن سواهم ولم تتأقلم في يوم من الأيام فتختلط أمتزاجاً كلياً بالثقافة اليونانية . وقد نظم اليونان المذاهب وعمموا الأحكام ووضعوا النظريات ، ولكن أساليب البحث في دأب وآناة ، وجمع المعلومات الإيجابية وتركيزها ، والمناهج التفصيلية للعلم ، والملاحظة الدقيقة المستمرة ، والبحث التجاري كل ذلك كان غريباً تماماً عن المزاج اليوناني ، ولم يقارب البحث العلمي نشأته في العالم القديم إلا في الإسكندرية في عهدها الهليني . أما ماندعوه العلم ، فقد ظهر في أوروبا نتيجة لروح من البحث جديدة ، ولطرق من الاستقصاء

مستحدثة لطرق التجربة ، والللاحظة والمقاييس ، ولتطور الرياضيات الى صورة لم يعرفها اليونان . وهذه الروح وتلك المناهج العلمية ادخلتها العرب الى العالم الاوربي » . (ص ١٩٠) .

فأول نقطة هامة نلاحظها في روح الثقافة الاسلامية هي أنها ، في سبيل الحصول على المعرفة ، يجعل المحسوس المتناهي نصب عينيها . واضح كذلك ان ظهور منهج الملاحظة والتجربة في الاسلام لم ينشأ عن توافق بين العقل الاسلامي والعقل اليونياني بل كان راجعا الى صراع عقلي طويل المدى . الواقع هو ان اليونان الذين وجهوا جل عنايتهم الى النظري المجرد دون الواقع المحسوس - كما يقول بريغولت - اتجه تأثيرهم على الاكثر الى حجب انظار المسلمين عن فهم القرآن ، ووقف حائلا بين المزاج العربي العملي وبين اثبات وجوده واستقلاله خلال قرنين من الزمان على الاقل . ولهذا فاني اود ان استأصل تلك الفكرة الخاطئة التي تزعم ان الفكر اليونياني شكل طبيعة الثقافة الاسلامية . وقد وقفت فيما سلف على بعض الادلة التي سقتها في هذا الصدد ، وسأضع امام انظاركم الان ما ياتي منها .

ان المعرفة يجب ان تبدأ بالمحسوس . وقدرة العقل على تحصيل المحسوس وسلطانه عليه هو الذي ييسر له الانتقال من المحسوس الى غير المحسوس يقول القرآن « يامعشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا ، لانتفذون الا بسلطان » سورة الرحمن آية ٣٣ .

ولكن الكون ، بوصفه مجموعة من موجودات متناهية يتمثل لنا كأنه جزيرة قائمة في خلاء بحت ، والزمان باعتباره سلسلة من لحظات منعزل بعضها عن بعض هو عدم بالنسبة الى الكون ولا تأثيره له فيه . واعتبار

الكون كذلك لا يؤدي بالعقل المتأمل إلى شيء . والتفكير في جعل حد للفراغ وللزمان المدركين يبعث في العقل الحيرة والتردد . فالمتاهي بوصفه متاهياً صنم معبود يعوق حركة العقل ، فيجب على العقل أن يتغلب على فكرة الزمان المتعدد وعلى الخلاء المطلق في الفراغ المدرك ، لكي يستطيع أن يتجاوز حدود المتاهي .

يقول القرآن : « وَإِن إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى »^(١) وهذه الآية تنطوي على فكرة من أعمق الفكر التي وردت في القرآن ، لأنها تشير على وجه قاطع إلى أن المنهى الأخير يجب الا يبحث عنه في حركة الأفلاك وإنما يبحث عنه في وجود كوني وروحي لانهائية له . ورحلة العقل إلى هذا المنهى الأخير رحلة طويلة وشاقة . وفي هذا المترع أيضاً يبدو أن التفكير الإسلامي قد اتجه اتجاهها مبادينا لاتجاه التفكير اليوناني كل المبادنة . فالمثل الأعلى عند اليونان ، كما يخبرنا شبنجلر (Spengler) ، هو التناسب وليس اللانهائيّة ولقد استغرق عقولهم وجود المنهى في الخارج بحدوده الواضحة المعينة . أما في تاريخ الثقافة الإسلامية فاننا نجد ان المثل الأعلى في مجال العقل المحسّن ، وفي ميدان علم النفس الديني ، وأعني بهذا المصطلح الأخير التصوف العالي الرفيع ، إنما هو تحصيل اللانهائيّ واسعاد النفس به . وثقافة لها نزعة كهذه تكون معضلة المكان والزمان فيما معضلة بالغة الأهمية . ولقد أبنت لكم في محاضرة سابقة كيف تمثلت معضلة الزمان والمكان للفكر الإسلامي وبخاصة عند الإشاعرة . وكان من الأسباب التي حالت دون أن تنتشر ، في العالم الإسلامي ، نظرية الجوهر الفرد التي قال بها ديمقريطس^(٢) أنها تتضمن القول بالخلاء المطلق ، ولهذا فإن

(١) سورة النجم آية : ٤٢ .

(٢) ديمقريطس (٤٧٠ - ٣٦١ ق.م) فيلسوف يوناني له مذهب مشهور قال بأن الموجود يتربّك من جواهر قردة غاية في الدقة بين كل منها خلاء - انظر تفصيل مذهبة في تاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم ص ٤١ - ٣٨ (المترجم) .

□ تجديد التفكير الديني في الإسلام □

الاشاعرة انساقوا الى استحداث نوع آخر من الجوهر الفرد وحاولوا حل معضلات الفراغ المدرك على نحو يشبه النظرية الحديثة في الذرة . وفي ميدان الرياضة ينبغي ان نذكر انه منذ أيام بطليموس (٨٧-١٦٥م) الى أيام نصير الدين الطوسي (١٢٠١ - ١٢٧٤م) ، لم يفكر أحد تفكيراً جدياً في صعوبة البرهنة على صحة بدئية إقليدس عن الخطين المتوازيين ، على أساس الفراغ المدرك . وكان الطوسي أول من أزعج هذا السكون الذي خيم على عالم الرياضيات ألف سنة . وفي محاولته لاصلاح نظرية إقليدس ادرك ضرورة العدول عن الفراغ المدرك ، وبهذا وضع أساساً وأن كان ضعيفاً لنظرية العيّز الزائد^(١) أو الفراغ الفوقي المأخذ بهما في عصرنا هذا.

ولما عرض البيروني للبحث في فكرة الدالة – وهي فكرة رياضية حديثة – رأى من ناحية علمية بحثة فساد الرأي القائل بثبوت الكون ، وفي هذا أيضاً افتراق واضح عن النظر اليوناني . وفكرة الدالة تدخل عنصر الزمان في تصورنا للكون ، وتجعل الثابت متغيراً ويرى الكون لافي حالة وجود ، بل في حالة صيورة الى الوجود .

يقول شبنجلر ان نظرية الدالة^(٢) الرياضية رمز لثقافة الغرب « لم تشر اليها أية ثقافة أخرى اشارة ما ». ولكن هناك ما يدحض هذا القول ، وهو ما أدخله البيروني على قانون نيوتن للاستكمال الخاص بالدوال المركبة على قواعد حساب المثلثات ، فقد عمد البيروني هذا القانون فجعله يشمل كل دالة أخرى .

(١) نظرية العيّز الزائد في الهندسة هي النظرية التي تصنف احداثياً رابعاً وهو الزمان الى الاحداثيات او الابعاد الثلاثة المأخذ بها في هندسة إقليدس . (المترجم)

(٢) يقال في الرياضة ان ص دالة س اذا كانت مشتقة منها او متوقفة عليها ، ففي حساب المثلثات اذا قيل ان ص = حاس فمعنى هذا أن ص دالة س .

اضف الى هذا أن التحول في نظرية اليونان عن الاعداد من حيث قيمتها العددية البحتة الى علاقتها ببعضها ببعض يدأ حقيقة بالتطور الذي أحدثه الخوارزمي بالانتقال من الحساب الى الجبر . وقد خطأ البيروني خطوة الى الامام نحو ما يسميه « شبنجلر » الاعداد الزمنية وهي التي تدل على انتقال العقل من الوجود الى الصيرورة ، والواقع هو ان وجهات النظر الحديثة في دراسة الرياضة في أوربا تتجه نوعا ما الى تجريد الزمان من صفتة التاريخية الحية وجعله مقصورا على تمثيل الابعاد الفراغية . ولهذا فان رأى هو يتهدى في النسبة أكثر اتفاقا مع ميول الباحثين المسلمين من رأى اينشتين الذي يتجرد فيه الزمان من صفة المضي والمرور ، ويترجم نفسه بطريقة خفية الى فراغ بحث .

كذلك نجد فكرة التطور تتکيف في التفكير الإسلامي جنبا الى جنب مع تقدم التفكير الرياضي . وكان الجاحظ أول من لاحظ التغيرات التي تحدثها الهجرات في حياة الطير . ثم جاء ابن مسکویه^(١) ، وكان معاصرًا للبيروني ، فصاغ هذه الملاحظة في صورة نظرية أكثر تحديدا وقررها في كتاب له في الفلسفة الالهية اسمه « الفوز الاصغر ». وسأذكر لكم خلاصة هذه النظرية لا لقيمتها العلمية ، ولكن لأنها تلقى ضوءا على الاتجاه الذي كان التفكير الإسلامي يسير فيه .

يقول ابن مسکویه ان النبات في أول مراتب تدرجه ينبع من غير زرع ولا بذر ، ولا يحفظ نوعه بالثمر والبذرة (ويکفيه في حدوثه امتزاج

(١) أبو علي احمد بن محمد بن يعقوب (توفي عام ٤٢١ هـ) فيلسوف ومؤرخ انصرف بداعيه الامر الى الفلسفة والطب والكميات ، وألف كتابا في التاريخ عنوانه « تجارب الامم » وعنى بدراسة الاخلاق عنابة خاصة وله فيها مؤلفات منها « تهذيب الاخلاق وتطهير الاعراق » وكان ابن مسکویه اثيرا عند السلطان عصفور الدولة ، وصاحب خزانته ، وتوفي عن سن عالية) انظر تاريخ الفلسفة في الإسلام ص ١٥٨ . ودائرة المعارف الإسلامية مأص ٢٧٧ - ٢٧٨ .

العناصر وهبوب الرياح وطلع الشمس ولذلك هو في أفق الجمادات وقرب الحال منها) (١) ويفارق النبات بحالته هذه الجماد بشيء يسير عن فضيلة النمو والحركة تزداد وتظهر في صورة متغيرة الى أن تتجلّى في امتداد الفروع وحفظ النوع بالبذرة ، ثم تقوى هذه الفضيلة فيه الى أن تصل الى شجر له سيقان وأوراق وثمار . وفي مرتبة أعلى من مراتب التدرج يحتاج النبات في نموه الى تربة خصبة ومناخ جيد ، ولا يزال النبات يشرف ويفضل بعضه على بعض حتى يصل افقه في شجر الكرم والنخيل التي تكاد تطالع أفق الحيوان . ويظهر في شجر النخيل تميز واضح بين الذكور والإناث ، ثم الى جانب ماله من جذور وألياف يحصل له في أعلى مراتبه أمور تشبه منح الحيوان يتوقف على سلامتها حياة النخيل وهذه أفضل مراتب النبات وتتصل بأفق الحيوان ولم يبق بينه وبين الحيوان الا مرتبة واحدة وهي الانقلاب من الارض (والسعى الى الغذاء) . وهذه جرثومة الحركة الشعورية وهي أول مرتبة الحيوان فيحصل له أولاً حس اللمس ، وآخر ما يحصل له حس البصر ، وتتدرج حواس الحيوان فتعطيه القدرة على الحركة كالدیدان والزواحف والنمل والنحل . ويبلغ الحيوان من ذوات الأربع كماله في الفرس والباز المعلم بين الطير ، ولا يزال يشرف ويتفاصل الى أن يصل اول مرتب افق الانساني في الفرد (وهذه غاية افق الحيوان التي ان تجاوزها وقبل زيادة يسيرة خرج بها عن افقه وصار في افق الانسان) فهو في مرتبة أدنى مباشرة من مرتبة الانسان في سلم التدرج . وما يحدث بعد ذلك من تدرج تحصل به التغيرات الجسمية ، وتتدرج قوة التمييز والعقل القوي الروحانية ، الى أن تنتقل الانسانية من الهمجية ، الى الحضارة والمدنية .

(١) ما بين القوسين اضافة الى الترجمة من نص ابن مسكوبه لا يضاهي المعنى انظر تهذيب الاخلاق لابن مسكوبه ص ٥٥ - ٥٧ .

على أن علم النفس الديني الذي نجده عند العراقي وخواجة محمد برصا هو الذي يجعلنا حقاً أقرب ممكناً إلى الطرائق الحديثة في النظر إلى معضلة المكان والزمان ولقد بينت فيما سبق رأي العراقي في مراتب الزمان وسأتحدث الآن عن خلاصة رأيه في المكان.

يزعم العراقي أن وجود نوع من المكان منسوباً إلى الذات الإلهية واضح في الآيات الآتية :

« ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ، ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو ربهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم ». سورة المجادلة آية ٧ .

« وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ، ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربكم من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين »
سورة يونس آية ٦١

« وقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس له نفسه ونحن أقرب إليه من جبل الوريد » سورة ق الآية ٦١

على أنه ينبغي إلا يفوتنا أن الفاظ القرب ، والاتصال ، والافتراق ، التي تنطبق على الأجسام المادية لا تنطبق على الذات الإلهية ، فوجود الله يتصل بالكون كله على مثال اتصال الروح بالبدن ، والروح لا هي داخل البدن ولا هي خارجه ، ولا هي قريبة منه ولا هي مفترقة عنه ، ولكن اتصالها بكل ذرة من ذرات البدن حقيقة واقعة ، ويستحيل أن نتصور اتصالها هذا إلا إذا افترضنا نوعاً من مكان يوائم رقة الروح ولطفها . وعلى هذا فوجود مكان بالنسبة إلى الذات الإلهية لا يمكن أن ينكر ، وإنما ينبغي التحوط في تعين نوع المكان الذي يمكن أن يسند إلى ذات الله المطلقة .

والمكان على ثلاثة أنواع : مكان الاجسام المادية ، ومكان الكائنات غير المادية ومكان الله . ومكان الاجسام المادية ينقسم كذلك الى ثلاثة أنواع : الاول مكان الاجسام ذات الجرم التي نصفها بأنها تشفل حيزا والحركة في هذا النوع من الاجسام تستفرق زمانا ، فكل جسم يشغل مكانه الخاص ويقاوم تخليته عنه .

الثاني : المكان الخاص بالاجسام اللطيفة كالهواء والصوت وهذه الاجسام يدفع كل واحد منها الآخر وتقاس حركته بالمقاييس الزمنية ، ولكن هذا الزمن الذي تقاس به يبدو مبaitنا لزمان الاجسام ذات الجرم فالهواء الموجود في أنبوة يجب اخراجه منها قبل دخول هواء آخر مكانه ، وزمان التموجات الصوتية يكاد يكون عندما اذا قورن بزمان الاجسام ذات الجرم .

الثالث : المكان الخاص بالضوء . ضوء الشمس يصل الى أقصى اطراف الارض في لحظة . وعلى هذا ففي سرعة الضوء والصوت يكاد الزمان يكون صفراء . ومن هذا يتبين أن مكان الضوء مبaitن لمكان الهواء والصوت . على أن هناك حجة أقوى من هذه . ضوء الشماعة ينتشر في جميع الاتجاهات في غرفة دون تخلية الهواء عنها . وهذا يبين أن مكان الضوء أرق من مكان الهواء الذي لا مدخل له في مكان الضوء ولشدة التقارب بين هذين المكانين لا يتيسر تمييز أحدهما من الآخر الا بالتحليل العقلي المحس والرياضة الروحية . وكذلك الحال في الماء الساخن فان الضدين ، اي النار والماء ، اللذين يبدو انهما يتخلل كل منهما الآخر ، لا يمكن ان يحلان في مكان واحد نظرا لطبيعتيهما المختلفتين ، وهذا امر لا يمكن تفسيره إلا بافتراض أن مكاني هذين الجوهرتين وان كانوا قريبين جدا أحدهما من الآخر ، فانهما مع ذلك متمايزان . ومع ان عنصر المسافة ليس معدوما

تماما ، فليس ثمة احتمال للمدافعة المتبادلة في مكان الضوء . فضوء شمعة يصل إلى نقطة مبنية فقط . وأضواء مائة شمعة تمتزج معا في نفس الحجرة دون أن يخلو أحدهما الآخر عن مكانه .

وبعد أن وصف العراقي أمكنته الأجسام الطبيعية التي تتفاوت كثافة ورقة ، على هذا الوجه ، تحدث في إيجاز عن الانواع الرئيسية للأمكنة التي تشغلهما مختلف الكائنات المجردة عن المادة كالملائكة مثلا . وهذه الانواع لا ينعدم فيها عنصر المسافة كلية لأن الكائنات¹ المجردة وإن كانت قادرة على اختراق الحيطان الحجرية في سهولة ويسر فإنها لا تستطيع أن تستفني عن الحركة استثناء تماما ، مما هو في رأي العراقي دليل على النقص في الروحانية ، وأعلى درجة في سلم الحرية المكانية هي الدرجة التي تصل إليها روح الإنسان ، وهي بجوهرها الفريد لا هي بالساكنة ولا هي بالمحركة .

وهكذا يستعرض العراقي أنواعا من المكان كثيرة إلى أن يصل إلى المكان الإلهي وهو مكان بريء من الأبعاد والمسافات براءة تامة ، وفيه يتلقى كل مالا يتناهى .

وترون من هذه الخلاصة لرأي العراقي كيف يفسر صوفي مسلم مستنير ادراكه الروحي للزمان والمكان تفسيرا عقليا في عصر لم يكن يعرف شيئا عن الآراء والنظريات الرياضية والطبيعية الحديثة . والعربي في الحقيقة يحاول الوصول إلى فكرة أن المكان مظهر متغير متحرك . ويظهر أن العراقي كان يكدر ذهنه ، في شيء من الفموض ، في معنى المكان بوصفه وحدة اتصال غير متناهية ولكنه كان غير قادر على ادراك كل ما يقتضيه تفكيره لأنه لم يكن رياضيا من ناحية ، ولأنه من ناحية أخرى كان لديه تعصب طبيعي لل فكرة الاستطاليسيّة التقليدية القائلة بثبتت الكون .

كذلك تداخل الـ « هنا » التي هي « فوق المكان والـ « آن » التي هي فوق الزمان » في الحقيقة القصوى يوحى بالفكرة الحديثة عن « الزمان المكان » التي يعدها الاستاذ الكزاندر في محاضراته التي بعنوان « المكان والزمان والإله » (Space Time, and Deity) مبدأ لجميع الموجودات . ولو أن العراقي تعمق في فهم طبيعة الزمان لادرك أن الزمان أعظم الاثنين أهمية ، وأن قول الاستاذ الكزاندر « الزمان عقل المكان » ليس استعمالاً مجازياً . ويتصور العراقي علاقة الله بالكون على مثال علاقة الروح الإنسانية بالبدن ، ولكنه بدلاً من أن يصل إلى هذا الرأي عن طريق التفكير الفلسفي بتمحيص الوجوه المكانية والزمانية للتجربة ، اكتفى بافتراض هذا الرأي على أساس رياضته الروحية ، وليس يكفي في ذلك أن يقتصر على رد الزمان والمكان إلى لحظة مكانية متلاشية . فان المنهج الفلسفي الذي يثبت الذات الإلهية بوصفها النفس الكلية انما ينهض على ادراك العقل الحي من حيث هو الأساس النهائي للزمان المكاني ولا شك في أن تفكير العراقي كان يتوجه الاتجاه الصحيح ، ولكن تعصبه للأراء الارستطاليسية وما اقترن به من نقص في التحليل المبني على علم النفس قد عاق تقدمه . ونظراً لقوله بأن الزمان الإلهي مجرد من التغير تجرداً تماماً - واوضح ان هذا القول قائماً على قصور في تحليل الحياة الشعورية - كان من المستحيل عليه أن يعرف العلاقة بين الزمان الإلهي والزمان المتجدد وان يصل عن طريق هذه المعرفة إلى نظرية اسلامية تقول بالخلق المستمر ، اي ان الكون ينمو ويزداد .

وهكذا فان جميع خطوط التفكير الاسلامي تتوجه إلى تصور الكون متغيراً . ولهذا التصور دعامة اخرى في نظرية ابن مسکویہ عن الحياة بوصفها حركة تطورية ، وفي رأي ابن خلدون في التاريخ .

وال تاريخ ، أو بتعبير القرآن ، أيام الله (١) هو ثالث مصادر المعرفة الإنسانية بناء على ما جاء في القرآن . فمن أهم أصول التعاليم التي جاء بها القرآن أن الامم تحاسب بمجملها ، وأن العذاب يجعل لها في الحياة الدنيا بما اكتسبت من سيئات ولكن يؤكد القرآن هذا المعنى فانه دائم الاشارة الى الامم الحالية ، داعيا الى الاعتبار بتجارب البشر في ماضيهم وفي حاضرهم .

« ولقد أرسلنا موسى بأياتنا أن أخرج قومك من الظلمات الى النور وذكرهم بأيام الله ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور » . سورة إبراهيم آية ٥ .

« ومن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون * والذين كذبوا بأياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون * واملئ لهم إن كيدي متين » سورة الأعراف آية ١٨٢ - ١٨١ .

« قد خلت من قبلكم سنن فسروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين » . من آل عمران آية ١٣٧ .

« ان يمسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس » سورة آل عمران آية ١٤٠ .

« ولكل أمة أجل » سورة الأعراف آية ٣٤ .

وهذه الآية الأخيرة مثل من أمثلة الأحكام التاريخية العامة يتجلى فيه التعيين والتحديد ، وهي في صيغتها البالغة الإيجاز توحى امكان دراسة حياة الجماعات البشرية دراسة علمية باعتبارها كائنات عضوية . وعلى هذا فمن يزعم أن القرآن يخلو من بعذور المذهب التاريخي يكون على ضلال مبين .

(١) يذكر القرآن « أيام الله » في موضعين : سورة إبراهيم آية ٥ ، وسورة العنكبوت آية ٤٥ .

والحقيقة أنه يبدو أن مقدمة ابن خلدون تدين بالجانب الأكبر من روحها إلى ما استوحاه المؤلف من القرآن ، بل هو مدین للقرآن إلى حد كبير حتى في أحكامه على الأخلاق والطبايع .

ومن الأمثلة الموضحة لهذا الفصل المستفيض الذي عقده عن أن « جيل العرب في الخلقة طبيعي » فليس ما كتبه ابن خلدون في هذا الموضوع الا تفصيلاً للآيات الآتية :

« الاعراب اشد كفرا ونفاقا . واجدر الا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم * ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مفرماً ويترخص بكم الدوائر ، عليهم دائرة السوء والله سميع عليم » الآياتان سورة التوبة ٩٧ ، ٩٨

على أن عنابة القرآن بالتاريخ بوصفه مصدراً من مصادر المعرفة الإنسانية تذهب إلى أكثر من مجرد الاشارة إلى تعليمات تاريخية ، فقد وضع لنا قاعدة من أعمق مبادئ النقد التاريخي . وبما أن التدقيق في روایة الحقائق التي تكون مادة التاريخ شرط لا غنى للتاريخ عنه بوصفه علماً وبما أن روایة الاخبار على وجهها الصحيح متوقفة على روايتها كل التوقف فان أول قاعدة من قواعد النقد التاريخي هي القاعدة التي تقرر أن أخلاق الراوي عامل هام في الحكم على روایته . وفي هذا يقول القرآن « يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنباً فتبينوا » سورة الحجرات آية ٦ .

ولقد كان تطبيق المنهج الوارد في هذه الآية على رواة الأحاديث النبوية هو الذي تطورت عنه بالتدرج قواعد النقد التاريخي . وان نمو الحاسة التاريخية في الإسلام لموضع رائع . فدعوة القرآن إلى تدبر تجارب الحياة ، ووجوب التثبت من نصوص الأحاديث النبوية ، والرغبة في

تزويد الخلف بمصادر دائمة للالهام – كل هذه العوامل أسرها مت في خلق مؤرخين من أمثال ابن اسحق ، والطبرى ، والمسعودى . على ان التاريخ من حيث هو فن يتوسع خيال القارئ ، ليس الا مرحلة من مراحل تطور التاريخ من حيث هو علم أصيل . ولا تتأتى كتابة التاريخ كتابة علمية الا لمن تجمعت لديه خبرة اوسع ، ونضج اتم في التفكير العلمي ، واخيرا تحقق اعظم لبعض الافكار الاساسية عن طبيعة الحياة والزمان . وترجع هذه الافكار في جملتها الى اثنين ، وكلتاهم اساس لتعاليم القرآن .

الفكرة الاولى : تقرر وحدة الاصل الانساني اذ يقول الكتاب الكريم « وهو الذي انشأكم من نفس واحدة » (١) . على ان ادراك الوجود بوصفه وحدة عضوية عمل بطيء ويتوقف على اشتراك الناس في موكب الحوادث العالمية . وهذه الفرصة ستحت للاسلام بازدهار امبراطوريته المترامية الاطراف ازدهارا سريعا .

ولا شك في أن المسيحية دعت الى المساواة بين الناس قبل الاسلام بوقت طويل ، غير ان رومة المسيحية لم تسم الى فهم معنى الانسانية بوصفها وحدة عضوية فهما تماما . ولقد صدق « فلنت » (Flint) اذ يقول: « لا يمكن ان يسند هذا الى اي كاتب آخر من كتاب ذلك العهد » ومن أيام الرومان يظهر ان هذه الفكرة لم تفدى الكثير من العمق والرسوخ في اوروبا اضف الى هذا ان نمو القومية الاقليمية، والاحاجها فيما يسمى بالخصائص القومية قد جنح الى قتل العنصر الانساني الشامل في الفن والادب في ربوع

(١) ترجم المؤلف الآية التي اقتبسها الى الانجليزية ترجمة حرفة اذ جاءت على هذا النسق : « نحن خلقناكم جميعا من نفس واحد من انفاس الحياة ». ولكن الوارد في القرآن هو الصيغ الآتية : « ... الذي خلقكم من نفس واحدة » النساء ، آية ١ او الاعراف ، آية ١٨٩ ، و « خلقكم من نفس واحدة » الزمر ، آية ٦ ، و « هو الذي انشأكم من نفس واحدة ، الانعام ، آية ٩٨ . [مهدي علام]

أوروبا . أما الاسلام فكان الامر فيه على خلاف هذا فهو لم يكن ينظر الى وحدة الانسانية على انها فكرة فلسفية او حلم من احلام الشعرا ، بل كان بوصفه حركة اجتماعية ، يهدف الى جعل هذه الفكرة عاملًا حيًّا في الحياة اليومية لكل مسلم ، وبهذا جعلها تعطي اكلها في صمت وخفاء .

والفكرة الرئيسية الثانية هي ادراك حقيقة الزمان ادراكاً دقيقاً ، وتصور الوجود . حركة مستمرة في الزمان وهذه الفكرة هي أبرز ما نجده في نظر ابن خلدون الى التاريخ ، مما يسوغ ما أضفاه عليه فلنت (Flint) من مدح وثناء اذ يقول : « ان افلاطون وأرسطو وأوجستين ليسوا نظراء لابن خلدون ، وكل من عداهم غير جدير حتى بان يذكر الى جانبه » .

ولست اريد من الملاحظات التي ابديتها فيما سلف أن الفى ظلالاً من الشك على اصالة ابن خلدون وابتكاره ، بل كل الذي اريد ان اقوله هو اننا اذا وضعنا موضع الاعتبار ما طالعتنا به الثقافة الاسلامية وجدنا ان المسلم وحده هو الذي كان يمكن ان ينظر الى التاريخ بوصفه حركة جماعية مستمرة ، بوصفه تطوراً في الزمان حقيقة لا محيد عنه .

وناحية الطرافه في النظر الى التاريخ على هذا الوجه هي الطريقة التي يدرك بها ابن خلدون حركة التغير . فتصوره لها باللغ الاهمية لما ينطوي عليه من ان التاريخ بوصفه حركة مستمرة في الزمان هو حركة مبدعة صحيحة ، وليس حركة قدرت خطواتها من قبل . وابن خلدون لم يكن من المشتغلين بالفلسفة ، بل كان من خصومها ، ولكن الطريقة التي تصور بها الزمان تبيّن لنا ان نعده سابقاً ليرجسون في هذا المضمار.

لقد تحدثت من قبل عن المقدمات العقلية التي سبقت هذا التصور في تاريخ الثقافة الاسلامية ، فنظرية القرآن في أن «اختلاف الليل والنهر» آية على الحق الذي هو « كل يوم هو في شأن » ، ونزوع الفلسفة الاسلامية الى اعتبار الزمان موضوعياً اي أمراً موجوداً في الخارج، ونظر

ابن مسكونيه إلى الحياة بوصفها حركة تطورية ، ووصول ال碧روني وصولاً لاشك فيه إلى مدخل لتصور الطبيعة حركة من الصيورة – كل هذا كان التراث العقلي لابن خلدون . أما فضلاته الأكبر فهي دقة ادراكه لروح الحركة الثقافية التي كان هو من أوضح ثمارها ، وفي عرضه لها على شكل مذهب منسق .

ولقد صور في كتابه العبرى الانتصار النهائى لروح القرآن المعارضه لعلوم القدامى (اليونان) . فالزمان في رأى اليونان اما لا وجود له في الخارج كما ذهب إليه أفلاطون وزينون ، وأما أنه يتحرك حركة دائريه كما قال هرقليلط والرواقيون . وإيا كان المقياس الذي يحكم به على تقدم حركة مبدعة ، فإن الحركة اذا فهمت بوصفها دائريه ، فقدت صفة الابداع ، اذ ان العدد الابدى ليس خلقاً ابدياً ، بل هو تكرار ابدي .

وقد بلغنا الآن موقفاً ترى منه المعنى الحقيقي للثورة العقلية التي ثارها الاسلام على الفلسفة اليونانية ، وتأصل هذه الثورة في موطن الدفاع عن الرأى الديني يدل على أن معارضه القرآن لعلوم القدامى أكدت وجودها بالرغم من أولئك الذين كانت رغبتهم في أول الامر هي تفسير الاسلام على ضوء التفكير اليوناني .

بقى علينا الآن أن نمحو خطراً نشأ عن كتاب واسع الانتشار وضعه شبنجلر (Spengler) وسماه « انحلال الغرب » (Decline of the West) ففي هذا الكتاب فصلان عقدهما المؤلف عن الثقافة العربية وعرض فيما معلومات هامة اضافت الشيء الكثير إلى تاريخ آسيا الثقافي ولكنهما يقumen على فهم خاطئ لحقيقة الاسلام بوصفه حركة دينية ، ولما نشأ عنها من نشاط ثقافي . وأساس نظرية شبنجلر هو أن كل ثقافة تركيب عضوي من نوع خاص لاصلة له بالثقافات التي جاءت قبله او الثقافات التي تجيء بعده . بل هو يرى أن كل ثقافة تنظر الى الاشياء بطريقة

خاصة لاتتيسر أبداً لاصحاب الثقافات المبائية لها . وحرص شبنجلر على إثبات هذه النظرية بسرد طائفة كبيرة من الحقائق والتآويلات أراد بها أن يبين أن روح الثقافة الأوروبية معادية في صميمها لعلوم القدامى وأن هذه الروح المعادية للقديم ترجع بتمامها إلى ما لاوريا من عبقرية اختصت بها، وليس إلى ما يمكن أن تكون قد استلهمته من ثقافة الإسلام ، التي يرى شبنجلر أنها ثقافة « مجوسيّة » بحث في روحها وفي طبيعتها . والرأي عندي أن رأى شبنجلر في الثقافة الحديثة قول سليم صحيح . ومع هذا فقد حاولت في محاضراتي هذه أن أبين أن خصومة العالم الحديث للآراء القديمة نشأت في الحقيقة عن ثورة الإسلام على التفكير اليوناني . ومن الواضح أن رأياً كهذا لا يمكن أن يرضى عنه شبنجلر ، لأنه اذا أمكن التدليل على أن ما في الثقافة الحديثة من روح معارضة للقديم انما يرجع إلى ما استلهمته من الثقافة التي سبقتها مباشرة ، تهافتت من أساسها نظرية شبنجلر التي تقول بأن كل ثقافة تستقل في نموها وازدهارها عن غيرها من الثقافات استقلالاً كاملاً متبادلاً . واني أخشى أن يكون ماطفى على شبنجلر من تلهف على اثبات نظريته قد أضلَه ضلالاً كبيراً عن فهم الإسلام بوصفه حركة ثقافية .

ويريد شبنجلر من قوله « ثقافة مجوسيّة » الثقافة المشتركة المترنة بما سماه « مجموعة الاديان الم giose » أي اليهودية ، والدين الكلدانى القديم ، وال المسيحية الاولى ، والزرادشتية والاسلام . ولست انكر أن غشاء من الم جوسيّة نما على ظاهر الاسلام ، بل لقد كان غرضي الاساسي من هذه المحاضرات هو أن أبين روح الاسلام محررة من غشاوة الم جوسيّة ، تلك الفشاوة التي أعتقد أنها ضلل شبنجلر فيما رأه . فهو يجهل جهلاً فاضحاً تفكير المسلمين في معضلة الزمان والاسلوب الذي أفصحت به الرياضة الدينية في الاسلام عن أن الذات أو الـ « أنا » محل التجربة طليق من كل قيد . وبدلًا من أن يتلمس الهدى من تاريخ التفكير

والتجربة في الإسلام ، آثر أن يقيم حكمه على أساس معتقدات العامة في بداية الزمان ومنتهاه .

تصوروا رجلاً فياض المعرفة يلتمس الدليل على الجبر المزعوم في الإسلام من عبارة مثل حكم الزمان ، أو « كل شيء له أوان » . على أنني قد تحدثت بما فيه الكفاية عن أصل فكرة الزمان وتطورها عند المسلمين وعن الذات الإنسانية بوصفها قوة حرة . واضح أن استيفاء البحث في تمحيص رأي شبنجلر في الإسلام وفي الثقافة التي نشأت عنه يحتاج إلى مجلد كامل .

بقيت ملاحظة عامة واحدة أضيفها إلى ما سبق بيانه : يقول شبنجلر « إن تعاليم النبوة مجوسية بمجرد ظهورها ». فشمة إله واحد – ليكن إسمه يهوا^(١) ، أو أهور مزدا^(٢) ، أو ماردونك بعل^(٣) فهو مبدأ الخير ، وكل ماعداته من آلهة فهو أما عاجز وأما شرير . واقترن هذه العقيدة بالامل في مسيح . أو مخلص منتصر وهو أمل على غاية ما يكون من الوضوح في ظهور عيسى ، ولكنه يظهر خلال القرون التي تلتة ، تحت ضغط ضرورات نفسية في كل مكان وهذه هي الفكرة الأساسية في المجوسية لأنها تتضمن فكرة الكفاح التاريخي في الكون بين الخير والشر ، فيسود الشر في منتصف الزمان ثم ينتصر الخير أخيراً في يوم الدينونة » فان كان شبنجلر يريد أن يطبق فكرته هذه على الإسلام ، فمن البين أنها تصوير خاطئ لا ينطبق عليه . فيجب أن نلاحظ النقطة الآتية : وهي أن المجوسي قد سلم بوجود آلة باطلة ، وإن كان لم يتوجه إلى عباداتها . أما الإسلام فينكر مجرد وجود هذه الآلة . وفي هذا المقام يتحقق شبنجلر في تقدير

(١) اسم الله عند اليهود .

(٢) اسم الإله الأسماي في الديانة الزرادشتية .

(٣) اسم الله من الدين البابلي .

ما لفكرة ختام النبوة في الاسلام من قيمة ثقافية . هذا الى أنه مما لا شك فيه أن أهم خصائص الثقافة المجرسوية في نزعة الترقب الدائم والتطلع الدائب لظهور أبناء زرادشت الذين لم يولدوا بعد ، أو ظهور المسيح المنتظر أو المغزى الذي قال به الانجيل الرابع^(١) ، ولقد بينت لكم فيما سلف الاتجاه الذي ينبغي أن يسلكه دارس الاسلام في طلب المعنى الثقافي لعقيدة تناهي النبوة في الاسلام . وهي عقيدة قد تعتبر علاجا نفسانيا لنزعة المجرسوية الى الترقب الدائم الذي يجعل الى اعطاء رأي باطل عن التاريخ .

ولقد سار ابن خلدون على هدى من نظرته الى التاريخ فأفاض نقاده، وقضى – فيما اعتقاد – قضاءا نهائيا ، على الاساس المزعوم لفكرة ظهور مخلص في الاسلام وهي فكرة شبيهة ، على أقل تقدير في آثارها السيكولوجية – بالفكرة المجرسوية الاصلية ، التي كانت قد ظهرت في الاسلام تحت تأثير الفكر المجرسي^(٢) .

(١) يذكر الانجيل شخصية «المعزى» في عدة مواضع ، منها إنجيل يوحنا ، الفصل الرابع عشر ، آية ١٦ ، والفصل السادس عشر ، آية ٧ . (مهدى علام) .

(٢) في مقدمة ابن خلدون فصل طويل يعنوان «فصل في أمر الفاطمي وما يذهب إليه الناس في شأنه وكشف الغطاء عن ذلك» عرض فيه للمشهور بين أهل الاسلام من ظهور رجل من أهل البيت يؤيد الدين ويظهر العدل ويسمى بالمهدي . وقد أورد الإحاديث الخاصة بهذا الامر «وما للمتكبرين فيها من المطاعن وما لهم في أفكارهم من المستند» ثم اتبع بمذكرة كلام المتصوفة . وانتهى من ذلك الى قوله «الحق الذي يتبقى ان يتفرد لديك انه لا تتم دعوة من الدين والملك الا بوجود شوكة عصبية تظهره وتدافع عنه من يدفعه حتى يتم أمر الله فيه» . . . وأما على غير هذا الوجه مثل أن يدعو فاطمي منهم الى مثل هذا الامر في افق من الآفاق من غير عصبية ولا شوكة الا مجرد نسبة في أهل البيت فلا يتم ذلك ولا يمكن أن يتم .

انظر مقدمة ابن خلدون .

الروح الثقافية للمجتمع الإسلامي في الأدب الهندي

بقام: محمد حسن

أستاذ الأدب في مركز اللغات الهندية - جامعة ماراثا، نورث بودلاري

ترجمة: الدكتورة براهميم بخي الشهابي

يوصف الأدب عادة بأنه ضمير الأمة ، فهو يعكس أرق مشاعر شعب ما وأرهف أحاسيسه ، ويسجل استجابات ذلك الشعب الحميمة للتحديات اليومية التي يواجهها أبناء ذلك الشعب . ولهذا فإن خير ما يمثل الروح الثقافية لمجتمع ما ربما كان الأدب عموماً والشعر خصوصاً .

ان المسلمين الهنود يشكلون جزءاً لا يتجزأ من الأمة الهندية بحيث لا يمكن تمييز دورهم البارز دون اعتبار السلسلة الكاملة للتراث الثقافي . ومن الناحية العملية يعد دور المسلمين في جميع اللغات الهندية الحديثة بارزاً ، اذ لا يمكن دراسة بنجالي « بمعزل » عن « نظر الاسلام » ، أو « بنجابي » بمعزل عن « واريس شاه » ، أو « كشميري » بمعزل عن « حبيه خاثون » ، أو « عوضي » بمعزل عن « جايسي » ، أو « بريج باشا » بمعزل عن « راحيمان » ، أو « ثاميل » بمعزل عن « عبد الرحمن » ، أو « مالابalam » بمعزل عن « ك.ت. محمد » ، أو حتى انه لا يمكن دراسة الأدب الهندي بمعزل عن « غالب » - والقائمة طويلة لاتنتهي .

ولننطلق منذ البداية . دخل الإسلام إلى الهند في القرن الثامن الميلادي ، وكان أوائل المسلمين الذين وفدو إلى البلاد من التجار العرب الذين نزلوا في « كيرلا » واستقبلهم « الزوموريون » أحر استقبال . ومما لا شك فيه أن تاريخ العلاقات الهندية – العربية يعود إلى ما قبل ظهور الإسلام بكثير . الا أن الدين الجديد الذي جاء به محمد (ﷺ) أكد على عقيدة التوحيد بقوة ، ودعا نتيجة لذلك ، إلى المساواة بين الناس على اختلاف أجناسهم وألوانهم وفئاتهم الاجتماعية . ومارس هذه المساواة عمليا ، الامر الذي جعل أعدادا كبيرة من الهند ينجذبون إلى رسالة المساواة هذه ويدخلون الإسلام الذي سرعان ما انتشر في جميع أنحاء القارة الهندية .

أما الاتصال الكبير الثاني فقد حصل في السند – ولكن ليس كتجار هذه المرة ، بل كفاتحين ، إذ قام محمد بن القاسم ، وهو صبي في الرابعة عشرة من العمر ، بفتح جزء من بلاد السند عام ٧١٢ م ، انتقاماً لعملية نهب سفينة حجاج عرب قام بها « رجا ضاهر » من بلاد السند وكان لهذا الاتصال ، رغم أنه سياسي ، أثر ثقافي على بلاد السند إذ ان أصول اللغة السندية وأدبها تعود إلى هذه الفترة . فاللغة السندية مازالت إلى يومنا هذا تكتب بشكل معدل من الحرف العربي وما زال الشعر السندي يحمل ملامح قوية من التأثير العربي والإسلامي في أسلوبه واتجاهاته (شكله ومضمونه) .

وهنا ألف عبد الطيف بيتأي أغاني الورع الصوفي والحب الإنساني . وبذلك الفتح بدأت حقبة جديدة – هي مرحلة الرواية الصوفية العالمية .

ومما لامراء فيه أن التصوف لم يكن حكراً على الإسلام ، لكن الوجود المكثف لجماعات من المتصوفين المسلمين ، بعد قرون من دخول الإسلام إلى الهند ، في أجزاء عديدة من شمال الهند جعل التصوف يكتسب

الصيغة الإسلامية ، اذ ما زال الهندوس وال المسلمين يجلون حتى يمنا هذا « خواجه معين الدين شيشي » الذي قدم من العراق في القرن الثاني عشر وأقام كمهاجر وحيد في « أجمير » ، وما زالت تأليفات أحد تلامذته « بابا فريد » تشكل جزءاً من كتاب المسيح المقدس - « غورو جرانت صاحب » فكلاهما يؤكدان على مفهوم المساواة بين الناس وكلاهما يتغنىان بالأنفاس الكل في الوجود الإلهي .

تلقى الناس هذه الفكرة فانتشرت بسرعة ونشاط في جميع لهجات اللغات الهندية ، واتخذت أشكالاً وصيغة مختلفة .

من هذه الأشكال والصيغ ، المجازية والرمزية . فقد رمز إلى الوجود الإنساني بأمرأة غارقة في الحب انفصلت عن حبيبها من غير قصد خلافاً لرادتها ورغبتها فأنشدت أغنيات الفراق عن حبيبها المقدس وتعطشها إلى العودة إليه . ومن ثم فقد صور الشاعر - أو الوجود الإنساني - امرأة عاشقة ، وصور الله زوجاً مفترقاً عن حبيبته .

واتخذت هذه الفكرة أيضاً شكل « باراماًسا » (الأشهر الاثني عشر) حيث تصف صبية مفاتن كل فصل شهراً بشهر ، وتتوسل إلى حبيبها أن يشفق عليها ويشاركها التمتع ببركة الوصول . إن أول « باراماًسا » متوفرة هي التي كتبها « أديمان » والذي يعتقد بأنه اعتنق الإسلام باسم عبد الرحمن . وربما كان ينتمي إلى المقاطعة الحدودية الشمالية الغربية NWFP والتي السند في القرن الثاني عشر الميلادي وفقاً لما ذكره « حزاري بarasاد دويفيدي » و « فيشوانت ثريباتي » وهما أول من ألف مقالة « سانديش رازاك » ويبعدوا أن هذه المقالة هي أول عمل أدبي ظهر في لغة « أوجات » التي تعد سلف اللغتين الهندية والاردية .

□ الروح الثقافية للمجتمع الإسلامي في الأدب الهندي □

وتعد هذه هي البداية العظمى في جميع اللغات الهندية الحديثة ، عمليا . وكانت مرحلة التصوف قد بدأت . ويرجع المؤرخ الهندي الشهير الدكتور طارا تشاند ، أصل الحركة الباكتية وتطورها في الجنوب ، ومن ثم انتشارها في الشمال إلى التأثير الإسلامي – حيث لعب الشعراء المسلمين ورجال الدين دورا كبيرا في ذلك.

وعلى سبيل المثال ، كان ظهور « أمير خوسراو » في الأدب الهندي ملحوظا ، حتى قبل ظهور الألوان الاربعة المشهورة من الشعر الباكتي وهي: « جيانا – كشري » ، و « بريم مارجي صوفي » ، و « رام باكتي » و « كريشنا باكتي » .

لقد كان « خوسراو » ، الشاعر الفارسي ، أساسا ، والمولود في « باثيالي » (عطار براديش) ، أو في دلهي كما يقول بعض العلماء ، صوفيا ورعا وتلميذا للورع المتتصوف نظام الدين غلبيا من دلهي ، وتعد أغاني الاعراس والاح�يات والمزدوجات (الدوبيتية) المتفرقات التي ألفها بدايات لشعر بلغة مزيج من البنية القواعدية للغة « خاري بولي » ومفردات تركية وفارسية وعربية . لقد أنشد مدائح لوطنه وامتزج بالاتسان العادي المعاصر له ليتمكن من التعبير الطليق وغير المقيد عن مشاعره بفرازه وعفوية .

وفيما بعد ، كتب « كنير » (الذي يعد الكثير من العلماء مسلما) وأتباعه شعرا ذا نزعة انسانية متمردة على التقاليد متميزة بفطرته السليمة القوية بأسلوب « جيانا – كشري » و « ينرغون باكتي » المتماثلين . في رفضهما لعبادة الأصنام وفي اعتقادهما في الطبيعة اللامادية للالله . وتعد « بادمات » لسيد محمد جابسي ، من جهة أخرى ، عرضا قصصيا مجازيا لسعى الإنسان وراء المجال الالهي ، وانكار الذات في هذا السعي

كما رويت بشكل محاولة فاشلة قام بها علاء الدين خلجي لقهر «بادميني» التي احرقت نفسها حتى الموت فنجت بذلك من الاستسلام . وكان اتباع فلسفة جايسي وعتقداته كثرا يزينون مراتب شعراء بريم مارجي الصوفيين بمن فيهم ملا داود وقطبان ومنجان.

ثم جاء الباكيتون الكريشنيون الذين يتضمنون عدداً من الشعراء المسلمين . وكان « سري كريشنا » يرمز إلى التجسيد الرومانسي للوجود الالهي ، ليس في شعر يربّع باشا الهندي في القرن السادس عشر فحسب ، بل أيضاً في شعر القرن العشرين الاردي .

فقد كان الشعراء من أمثال مولانا حضرة موهاني يفتخر بادعائه أنه « كريشنا باكت ». ومن ثم كان استمرار هذا الموروث من رأس خان (شاعر البريج باشا الشهير) إلى حضرة موهاني .

كان « ريتى كال » أو شعر يربّع باشا الهندي يطبع بأسماء شعراء مسلمين بارزين من أمثال وزير أكبر « عبد الرحيم خان خanan » الذي ينضرب بـ « دوحةاته » المثل .

تطور فرع آخر من الـ « خاري بولي » فأصبح أدباً أردياً يعتبر أن أمير خوسراو هو الجد المشترك ووسع نطاقه ليشمل نمط الجوجارات والديكان (ويعد أن جزءاً من الاندرا براديش والكرناتاكا والمهاراشترا) اللذين عرفَا بـ « الجوجري » و « الديكانى ». ولعب المسلمون الهنود في هذه الموروثات الأدبية دوراً بارزاً ومهميناً . اذ اغنوا الشعراء المتدينون أمثال محمود داريابي ، وميرانجي ، وجانام ، وخوب محمد سيشتي النمط الجوجاراتي بالموروث التصوفي المجازي ، في حين تطور في النمط الديكانى بعيد فيض كامل من الكتابات الأدبية بدعم السلطة الإسلامية وتشجيعها ، وذلك في ظل المملكة الباہمانیہ بادیء الامر ، وبعد ذلك في خل مملكة بیجاپور ومملكة جولكوندا ومملكة أحمد نجار .

□ الروح الثقافية للمجتمع الإسلامي في الأدب الهندي □

كما ظهرت أعمال نثرية بالديكانية مثل « ساب راس » لـ « وجهي » من جولكوندا) ، ويعد عمل وجهي مجازاً كاملاً جعل من الجمال والعقل والقلب شخصيات رمزية تستند إلى الأعمال الصوفية الفارسية، كما يقول بعض النقاد ، أو إلى « بروب هود شاندرا أوداي » العمل الهندي الكلاسي . وقبل ذلك كتب متصوف مسلم من تلاميذ نظام الدين غالباً من دلهي والذي كان يقيم في جولبارجا (كارناتاكا) نثراً وشعرًا بغزاره داعياً إلى تعاليمه الإنسانية التي تكاد تتطابق مع الفكر الصوفي الهندي.

لقد أسمى الملوك ورجال الدين والنبلاء والعلماء المتجولون والشعراء الجوالون في مملكتي بيجابور وجولكوندا إسهاماً كبيراً في اثراء لغة وطنية أصلية . ومن بين هؤلاء الحاكم المسلم قولي قطب شاه أول شاعر بالاردية له مجموعة شعرية ، وعدد من الشعراء أمثال نظامي ونصرتي ، وأبن النشاتي ، وغناسي ، وهاشمي ، إضافة إلى عدد كبير من كتاب النثر مثل برهان الدين جانام ، وأمين الدين عاله ، وميران يعقوب وسواهم . لاشك أن بيئتهم الثقافية قد ألغت كتاباتهم التي كانوا يسعون من خلالها إلى تحقيق خليطة من العناصر العالمية مع الموروثات الوطنية الأصلية .

اما تطور اللغة الاردية وأدبها فقد حدث في وقت متأخر الا ان الطابع الاسلامي الهندي كان واضحاً عليها لدرجة أنها تميزت بهذا الطابع خطأ رغم وجود حشد كبير من أعلام كتاب الاردية غير المسلمين يزينون صحائف التاريخ الادبي للهند.

ازدهر الأدب الاردي في الشمال في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، أساساً ، في دلهي ، وغطار براديش ، وبيهار حيث تابع كتاب الـ « ماسنافي » مثل افضل ، ومير ، ومير عسار ، ومير حسن في اثراء الموروث من الحكايات الشعرية المجازية والرومانسية وغير المجازية، وتوسيع

□ الروح الثقافية للمجتمع الإسلامي في الأدب الهندي □

نطاق هذا الموروث بادئين بالقصائد الفزلية باللغة الاردية ، وبذلك جمعوا بين الخيال الارضي (الدنوي) والنمط الفكري الميتافيزي الاكثر عمقاً، وبالطبع لعب الشعراء المسلمين دورا هاما في اعطاء الشكل لهذا النمط الجديد من الاعمال ، والذي يعد طبيعة لمناخ ثقافي جديد هو مناخ الدنوية والعالمية والتقدم المديني .

ومن بين الاعلام البارزين في هذا الميدان مير تقى مير ، وميرزا اسد الله خان غالب في دلهي اللذان احتلا مكانة خالدة في قلوب الملايين بفضل عالميهما وشموليتهم وتحررهما الفكري ، وآغا حسن أمانات الذي حاول من خلال عمله « اندر صبحة » عام ١٨٤٦ م ابداع لون يمزج بين الميتولوجيا الهندية والثقافة « العوضية » فدخل بذلك مرحلة جديدة من مراحل الدراما الهندية ، ومير انيس الذي أضفى بشخصيات ملاحمه الدينية عن معركة كربلاء صبغة محلية ونظرة هندية على الادب الاردي ، كما تميز الكاتب الفذ نذير اكبر عبادي من « أجرا » بتمثيله الانسان العادي حيث كتب قصائد في موضوعات يومية كالخبز والماء والبطيخ ، وفصل الشتاء الماطر .

بعد الادب الاردي بحد ذاته شاهدا على اندماج المسلمين الهنود بالروح الثقافية والاجتماعية الهندية . فقد عبر الادب الاردي وخصوصا الشعر منه تعبيرا غنائيا عن أتراح الامة وأفراحها عبر العصور . لقد أسهم كتاب غير مسلمين ، بالطبع ، في هذا المسار بما لا يقل عن اسهام الكتاب المسلمين ، غير أنه لا يمكن لاي نتاج ادبي الا ان يفخر بشعراء مثل مير غالب ، واقبال ، وجوش ماليها بادي ، وان يعتز بكتاب مبدعين وروائيين مثل نذير احمد ، وميرزا محمد هادي روسوا ، وعبد الحليم شرار ، وسجاد يلدram ، ومن المعاصرین قرة العين حيدر ، وعصمت

□ الروح الثقافية للمجتمع الإسلامي في الأدب الهندي □

شوغتاي ، وجيلاني بانو ، وحياة الله أنصارى ، وخواجه أحمد عباس ، ومن كتاب النثر يعترض أي أدب بأمثال أبو الكلام أزاد ، وقازى عبد الففار ، ورشيد أحمد صديقى ، ومن كتاب المسرح آغا حسن أمانات ، وآغا حشر وامتياز علي تاج ، ومحمد مجتبى .

أما الكوكبة الكاملة من نجوم الأدب التقديميين الذين أشعلوا نار النضال من أجل الاستقلال وحطموا قلعة الرجعية والظلمامية فتتألف من أسماء لامعة مثل فايز ، ومجاز ، ومخدوم محبي الدين ، وبارفيز شاهدى، وعلى ساردار جافري ، وجان نيسان أختر ، وشاهر لوسيانفى وكيفي عزمى ، ومجروح سلطان بورى .

وهكذا نرى أنه لا يكتمل أي تاريخ للأدب الهندي دون ذكر الحسن الأدبي والفنى الذي أتى به الأدباء والشعراء الارديون . فكل واحد منهم يستحق أن يفرد لاعماله ومنجزاته فصل كامل . فالسيد ك.أ. عباس، على سبيل المثال ، قد ترك أثراً لا يمحى ليس يصفته كاتب قصة أو روائياً بل لكونه أيضاً صحافياً بارزاً ، ومنمن أسهموا في صناعة السينما .

اما اقبال فقد أيقظ بفلسفة الذات التي تنسب اليه شعوب آسيا من سباتها وزودها برسالة الاعتماد على الذات وبالكرامة . كما أضافت دعوته القوية الواضحة لتحرير أمم الشرق بعدها جديداً للأدب المعاصر. كذلك جعل شعر جوش ماليها بادي الثوري وكتابات أبو الكلام أزاد النارية النضال من أجل الاستقلال الوطني مسألة إيمان كما أدت إلى توسيع آفاق الوعي الأدبي .

اما في عطّار براديش وبيهار ، وهم مهد الأدب الاردي والأدب الخارجي البولي الهندي ، فان كوكبة الالامعين في ميدانى الشعر والنشر تضم كلًا من راسخ ، وشاد ، وحضره موهانى ، وجيجار ، وجوش وغيرهم

ممن لا حصر لهم ولا عد . اضافة الى اسهام المسلمين الهنود في الأدب الشعبي للمنطقة اسهاما لا يمكن اهماله . وتبدو بصمات الكتاب والمؤلفين المسلمين واضحة في اللهجات المحلية وفي لغة الخاري بولي الشعبية ، خصوصا في نمط كاجري ، ولاووني وغيرهما من الانماط الشعبية . وقد ادرج مؤخرا ، ازهر حسين فاروقى ، في مؤلفه « عطار براديش كيلوك جيٹ » قائمة طويلة من « المؤلفين » المسلمين والذين يمثلون جزءا فقط من هذا الاسهام الكبير .

لم ينحصر اسهام المسلمين الهنود بالأدب الاردي ابدا ، فقد ترك متصونون ورجال دين بصمات لاتمحى في الأدب البنجابي . كما الف واريس شاه وبولهي شاه أعمالا كلاسية في القرن الثامن عشر ما زالت متفوقة في روعتها ورواجها . حتى عندما قسمت شبه القارة الهندية الى قطرين متعددين : الهند والباكستان وبنجلاديش ، أرض الانهر الخمسة ، التي قسمت هي الاخرى ، ظل جنود البنجاب المحتشدون على طرفي الحدود يصفون الى ملحمة واريس شاه « هير رانجا » او ينشدونها معا في سكون الليل .

والى الشمال الاقصى ، ما زال الأدب الكشميري يعتز بكتاباته المسلمين الهنود الذين تأتي على رأسهم حبّه خاتون ، وهي فتاة فلاحية بسيطة تزوجت من حاكم وشاركته مصيره في أمجاده وآلامه ، ثم يأتي مهجور الذي أنسد أغنيات الحرية والعدالة الاجتماعية ، وأثار الحماس في الكشميريين لينتزعوا حقوقهم بشجاعة وحزم . ويمثل هذان العلمان البارزان عشرات من الكتاب والشعراء غيرهما .

وفي شرق شبه القارة الهندية ، ترعرع الأدب البنغالي ، كما يرى بعض مؤرخي الأدب ، بفضل رعاية ملوك البنغال . وكان الشعراء والكتاب

□ الروح الثقافية للمجتمع الإسلامي في الأدب الهندي □

ال المسلمين في طليعة الأدب البنغالي منذ نشأته ، ولكن مكانة قازي نظر الإسلام ما زالت في القمة لم يبلغها أحد . لقد تفجرت موهبته الشعرية وتفتحت فجأة عندما كان مستلقياً في خندق كمنوا فيه واحداً وعشرين يوماً أثناء الحرب العالمية الثانية حيث انطلق ينشد أغنية ثورية . ويأتي نظر الإسلام في المرتبة الثانية بعد طاغور في توجيهه وروعته الفنية إذ ان شعره ألم الملايين من الناطقين بالبنجالية والبنجلاديشيين في نضالهم من أجل الاستقلال . الواقع أن نظر الإسلام ألم جميع شعراء اللغات الهندية الحديثة وكان نموذجاً لجوش ماهيلا بادي بالاردية ، وصبح رامانيام باراتي بالتاميلية ، وثالاتال بالمالايالامية ودنكار بالهنديّة .

ويفتخر الأدب البنغالي بكتاب ومؤلفين مسلمين آخرين من بينهم الناقد الأدبي البارز كازي عبد الوود وهو شيوعي ، والمفكر مظفر أحمد ، وعدد لا يحصى من المفنيين والشعراء المنشدين الذين يجوبون البلاد ويؤلفون الأغاني وينشدون الشعر الباولي .

وفي أدنى البلاد ناتي إلى أوريتا حيث يدين نمط « الموغال تاماشا » وهو نمط من الدراما الشعبية المتميزة ، بأصوله أساساً إلى الكتاب المسلمين . أما في لفتي كنادا وتيلوغو الشقيقين ، فليس لدى الكاتب الحالي سوى معلومات محدودة ، إلا أن قوله قطب شاه ، أول شاعر بالاردية له مجموعة شعرية كاملة هي « ملك جولكوندا » كان يعد أيضاً شاعراً تيلوغوياً . وكان للكتاب المسلمين أثرهم في ماراثي وجوجاراتي أيضاً . في حين اكتسبت قصص « كت محمد » وروياته شهرة واسعة في الملايالام .

ليس هذا العرض سوى موجز مستعجل لبيان اسهامات المسلمين في اللغات الهندية الحديثة المختلفة وأدابها . بيد أن مجرد سرد أسماء

الشعراء والكتاب المسلمين لا ينصلفهم ولا يقيّم طبيعة تأثيرهم الحقيقة ومداه وعمقه . لم يقتصر هذا الاثر على الكتاب المسلمين وحدهم ، بل انسحب على جميع مستويات الكتاب وأنماطهم بغض النظر عن معتقداتهم وأديانهم .

فماذا يعني هذا الاثر بالنسبة للبنية الأدبية لهذه اللغات ؟

أولاً ، ينبعي أن يفهم أن كلمة مسلم تعني مساحة ثقافية أوسع بكثير من كلمة اسلام . فالاسلام مجموعة من المعتقدات أما المسلمين الذين ينتمون لاقطار مختلفة ، فقد طوروا هوياتهم الثقافية الخاصة بهم ، رغم انتمائهم جمِيعاً لحقيقة واحدة ، وذلك بسبب احتكارهم بعناصر البيئة الأصلية ومعايشتهم لاهلها . فمثلاً ، يمنع الاسلام ، أو على الأقل لا يشجع على كل الفنون ، فهو ينظر نظرة عدم رضا الى الموسيقا والرقص والنحت ، ويستنكر الرسم ، ومع ذلك فقد بُرِزَ المسلمين الهنود والمتعبدون منهم في جميع هذه الميادين . واستطاعت مواهب المسلمين الفنية أن تجد لها تعبيراً في الفنون المحرمة * عبر وسيلة مسموحة بها (مثل وجدت موهبة الرسم تعبيراً لها في فن الخطوط ، وموهبة النحت في فن نحت آيات القرآن الكريم على قطب المنار) أو في تحويل هذه المواهب الى وسائل أخرى مبتكرة . ولهذا ينبعي أن يؤخذ الاسهام الاسلامي في الأدب والشعر ضمن اطار هذه القرينة ، الامر الذي يفسر الشعبية التي تتمتع بها الشعر بين المسلمين عموماً لدرجة أن صيغة المزدوجات (دوبيتات) أصبحت تشكل جزءاً من الكلام اليومي للناس .

* ليس في الاسلام فنون محرمة . وان ماورد في النص غير دقيق . الاسلام يقول بقاعدة فقهية هي : « ما افسد من الفن فهو حرام » بمعنى ان ما يؤدي الى افساد النون العام والأخلاق والعقيدة فهو حرام ولا يجوز اشاعته . وما سوى ذلك فلا يقف الاسلام حاكلا دون انتشاره او تشجيعه . (المترجم)

□ الروح الثقافية للمجتمع الإسلامي في الأدب الهندي □

اما العامل الثاني الهام الذي ينبغي الانتباه اليه هو ان هذا الالسهام كان في طبيعته ، دنيويا وعالميا ، في الاساس ، دنيويا – لأن الشعراء والادباء المسلمين لم يتمكنوا من الاندماج في الدين الهندي او في الشعر التعبدي (باستثناء بعض الامثلة التي ارتفت الى المستوى التصوفى او المجازى) ، وبالتالي فتحت كتاباتهم ، سواء في الشعر او في النثر ، الابواب على الموضوعات الدنيوية والمادية . واما الذي قيض لهذا اللون الجديد من الشعر ان يستمر ويترعرع فهو عالميته .

انه من الخطأ قرن هذه العالمية بمؤثرات عالمية . والحقيقة هي ان الموروث الثقافي الايراني – التركي ظل في العصور المظلمة التراث العالمي السائد . اذ كانت اوربا مازالت في طور الظهور ك وسيط جديد للمسير الانساني ، وكان العرب مازالوا ينشرون المعرفة التي اقتبسوها عن المصادر اليونانية عبر الترجمة . وكان التراث الايراني – التركي قد امتص هذا الفيض من المعرفة وأصبح هو حامل هذه المعرفة ونصيرها في آسيا والشرق الاوسط . وبالتالي فان تبني المؤثرات الايرانية – التركية او قبولها يعني تشرب أثر الثقافة العالمية التي سادت فيما بعد وامتصاصها .

ثالثا : ينبغي الا ننسى ان احتكاك المسلمين بالشعوب الهندية لم يتم اساسا عبر اجهزة الادارة والحكام ، بل عبر التجار (الذين كانوا يتبايعون المنتجات اليدوية والبضاعة المصنعة ومواد اخرى من المدن الهندية او المراكز التجارية ويسعونها في بلاط حكام اواسط آسيا وغربها وفي اسواقها) وعبر المتصوفين والعلماء والجنود المرتزقة وبالتالي فان تبني هذه المؤثرات يعد قبولا لمعايير الثقافة العالمية وقواعدها وقيمها في تلك الفترة . لذلك كان التبادل الادبي بين الموروثات الايرانية – التركية واللغات الهندية الحديثة جزءا من هذا التفاعل الذي يمكن مقارنته باثر اللغة الانكليزية وآدابها على مختلف اللغات الهندية المعاصرة .

□ الروح الثقافية للمجتمع الإسلامي في الأدب الهندي □

ولهذا يعد اسهام الكتاب المسلمين الهنود في اللغات الهندية الحديثة وآدابها مزدوجا : فقد أسهموا أولاً في اسماع الطبيعة الدنيوية والعالمية على الأدب ، وثانياً أسهموا في ايجاد صيغة بنوية جديدة موجزة ، وتعبير أدبي وشعري محكم جاء أساساً كجزء من هذا الأثر الإيراني - التركي .

وعلى الرغم من أن الفارسية القديمة قريبة جداً من السنكريتية فقد نحت منحى مختلفاً في تطور البنوية الجملية . إن بحث طبيعة التأثير البنوي للموروث الفارسي - التركي على اللغات الهندية الحديثة بالتفصيل خارج عن نطاق هذه المقالة ، إلا أن استخدام الـ « أزافات » (الفاصلة الدنيا العاطفة) وحده قد كان له أعظم الأثر والوعي في التعبير .

كذلك نجد أثراً مماثلاً في حالة استخدام الرمز - والرموز غير الدينية وغير الأسطورية . فقد ثور الكتاب المسلمين الطبيعة الأدبية بداخل رموز جديدة أو بإصال نظام مفاهيمي مختلف عبر الصور والرموز القديمة والمألوفة . حتى أن « نظر الإسلام » ، الذي تأثر إلى حد كبير بالرموز الأسطورية الهندية ، قد أدخل أبعاداً جديدة إليها ، إضافة إلى سلسلة من الرموز المستمدة من الموروث الإيراني - التركي .

كان نظام الرمزية يستخدم بطريقة غريبة في الفزل ، وهو لون شعري تولد في العربية كجزء تمويدي متفرع عن اللون المعروف بـ « القصيدة » (المدح) الذي ازدهر في بلاد فارس كشكل مستقل مع مزدوjas (دوببيات) متكاملة بحد ذاتها ترتبط بقاية مشتركة وتنتهي بروح ذاتية وتعبير رمزي خاص بها . وعلى الرغم من أن رموز الفزل لم تكن كلها أصلية (وطنية ، محلية) فإن شيوخها في جميع اللغات الهندية الحديثة عملياً يعزى إلى ذاتيتها المحكمة ورمزيتها المعممة ، والتي تفطّي ميادين مختلفة

□ الروح الثقافية للمجتمع الإسلامي في الأدب الهندي □

من النشاط الانساني في آن واحد . فعلى سبيل المثال ، يمكن للمزدوجة (الدوبيتة) الفزيلية أن تردد كبيان سياسي ، رغم أنها في الظاهر موجهة إلى المحبوب – والفضل بذلك يعود إلى عمومية الرموز الفزيلية السائدة . ومن ثم ظل الفزل ، كشكل شعري ، مألوفا وشائعا في اللغات الهندية والماراثية والجوغارانية والبنجابية وغيرها من اللغات ، وليس كل اسهام يتسم بالصيغة الإسلامية يعد حسرا اسلاميا فقط .

ويدل ذلك بوضوح على أن الاصهام الاسلامي في اللغات الهندية كان مصدر قوة لروابطها العالمية وأضفى عليها كذلك الصيغة الدينوية والمادية الحديثة .

ووالواقع ان هذا الاصهام الادبي كان جزءا من الثقافة المركبة التي جمعت بين الهويات الاقليمية والدينية المختلفة وحاولت صهرها في ثقافة قومية واحدة . ولسوء الحظ أن لعنة الحكم البريطاني قد قطعت هذا المسار وعرقلته بوقاحة ، حيث أقام الحكم البريطاني حواجز عديدة بين مكونات روح هذه الثقافة المركبة ومقوماتها ، اضافة الى أن عملية تقسيم البلاد النهائية قد نسفت أساس ظهور هذه البنية ذاتها .

ففي فترة ما بعد الاستقلال عانت الاردية اكبر تكسة اذ استبعدت من معظم الولايات الهندية الشمالية ، وشمل هذا الابعاد المدارس والمكتبات ودوائر الحكومة والمحاكم . ومع ذلك ظل «المشيريون» في معظم المدن الهمامة وجذبوا جماهير غفيرة . وحققت الحفلات الموسيقية الفزيلية رواجا واسعا ونجاحا تجاريا سريعا . كما اكتسبت الاردية مؤخرا وضعها قانونيا كلفة رسمية ثانية في بيهار ، وعطابراديش وأقيم حوالي عشر أكاديميات اردية ومكتب لتعزيز الاردية وترويجها وتطويرها في عدد من الولايات وفي مركز البلاد .

وعلى الرغم من أن الكتاب المسلمين يعدون من بين المؤلفين الأدبيين البارزين في لغات الهند المختلفة ، فإنهم يشعرون في حالات كثيرة بغرابة تفصيلهم عن زملائهم الكتاب . اذ ان أحاديث الشعب الطائفي المتكررة بين الهندوس وال المسلمين قد ولدت متطرفين من كلا الطرفين وخلقت جوا من عدم الثقة وعدم الاستقرار الامني . وبالتالي كانت معاناة الكاتب المسلم الهندي ، سواء كان يكتب بالاردية او الملايالامية او الماراتية ، تختلف عن معاناة مواطنه غير المسلمين .

اضف الى ذلك ، نشوء الاصولية ، والحكم العسكري الديكتاتوري الذي دام احد عشر عاما في الباكستان ، وحكم رجال الدين المتطرف بزعامة الامام الخميني في ايران ، كل ذلك شكل تهديدا خطيرا للتحرر والعقلانية عند المسلمين حيثما كانوا في هذه المعمورة – هذه هي صورة تكاد تكون كاملة للبيئة التي يجد الكاتب الهندي المسلم نفسه فيها .

ومع ذلك هناك بطانة فضية لهذا المشهد المرعب ، اذ يرى عدد من الكتاب المسلمين الهندود أن احتفاظهم بهويتهم الاسلامية جنبا الى جنب مع شخصيتهم الثقافية المركبة التي نشأت عبر قرون من المشاركة والتفاعل يعد من عملية الدفاع عن القيم الديمقراطية في بلادنا (الهنـد) . وهذه الحملة العنيفة ضد التمزق لا يمكن ان تتحقق نجاحا بمعزل عن الدعم القوى للشعب وتعاونه الواسع الشامل .

ولهذا السبب رأى الكتاب ، ومن بينهم المسلمون ، ان من المناسب تحطيم الاطار التقليدي للتواصل بين الناس ، والوصول الى عامة الشعب عن طريق المسرح الجوال (مسرح الشارع) .

فقد حاول حبيب تانير ان يحشد الانسان ذاته في الشارع بدون تجمل تجاري ، من خلال التعبير عن أحزان المجتمع المخنوق والامة ومعاناتها . كما حمل صفار هاشمي « مسرح الشارع » هذا الى الجمهور بقوة اكبر وخطابهم حول موضوعات ملتبة متصلة بحياتهم الخاصة اتصالا مباشرا . ودفع بسبب تهوره في نقد مؤسسة الحكم حياته، فكان رمزا لاسهام المسلمين الهنود وانخراطهم في النضال من أجل جعل الهند أكثر أمانا وأفضل مكان للعيش ، ولمشاركتهم في المحافظة على أعلى قيم الثقافة المركبة التي تطورت عبر قرون من تاريخنا (تاريخ الهند) .

دمشق في ٢٣ - ٧ - ١٩٩٠

* * *

إلى القراء الاعزاء

تتوفر لدى اتحاد الكتاب العرب مجموعات مجلدة وغير مجلدة من مجلة الآداب الأجنبية ومجلة الموقف الأدبي والتراجم العربي والاسبوعي الأدبي .

يرجى من الراغبين في اقتتناء أي منها الكتابة الى اتحاد الكتاب العرب - او توسترداد المزة . دمشق ص ب ٢٢٣٠

الجمهورية العربية السورية

مَدْخُلٌ إِلَى الْأَدْبُ الْبَاقِتَانِي

بقام: عبد الكريم ناصيف

ليست بال مهمة الي سيرة أن يكتب المرء عن الأدب الباكستاني وأن يقدمه، كما ينبغي، إلى القارئ وذلك لأسباب عديدة ربما كان أولها وأهمها أن الباكستان نفسها لم تكن موجودة قبل ثلاثة وأربعين عاماً ، بل كانت هناك الهند ، أو شبه القارة الهندية تلك التي تعج بالقوميات المختلفة واللغات والثقافات المختلفة إلى درجة تسبب نوعاً من الاختلاط والاضطراب . وإذا كان بإمكان المرء أن يتبع ذلك الخيط الرفيع ضمن تلك الشبكة المعقدة المخلطة من الخيوط فذلك لما تركته الثقافة الإسلامية من آثار وما أفرزته المجتمعات الإسلامية في مواطنها المختلفة من كتاب وأدباء وشعراء تأثروا بلغة القرآن وتعاليم القرآن وتراث العربية عموماً والفارسية القريبة خصوصاً ، لاسيما وأن هذه اللغة الأخيرة كانت هي لغة البلاط المغولي الذي حكم السند وأجزاء كثيرة من الهند .

احترامه لاصالة الشعر في تلك البقاع التي تستمد نسفها في الموسيقا
والبعد الروحي من شعرنا العربي أو تنهل واياده من تربة واحدة ، أقول
حين نقف على نماذج من شعره مترجمة ، وهو الذي قضى عمره يكافع
مع الطبقات الفقيرة ولاجلها وصولا الى تجديد روح الحياة ، ووجهه
الباكستان ، وحين نمعن النظر في تدفق نهر الالم والفرقة في شرائينه وهو
ساكن صابر مكابر يردد :

« الليل شديد العتمة

ولكن من عتمته تلك

يظهر جدول من الدم

هو صوتي

ويلمع في ظلاله المد الذهبي

* * *

الذي هو رؤياك . »

« فجر الموجعين والمصابين

لم يعد في السماء

هنا أفق الفجر الشفاف

حيث تكون أنا وانت . »

أقول حين نقرأ شعرا لمبدعين كبارين أمثال نظر الاسلام وفيض
أحمد فيض ، أو نطلع على النماذج المتاحة في هذا العدد ، نجد ان هناك
إمكانية حقيقة لشاقفة بناءة ونماذج من العطاء ، لاتنمو ظلالها في خطوط
متوازية لاتلتقي ، بل ان اشعتها التي تنير مقطعا ضخما من ارض البشر ،
تنطلق من مركز واحد ، وتلتلاق في مصائب قيم وابداع تتقطع وتنكمش .
أسماء عديدة قدمها هذا العدد المتواضع في مجال الشعر ، وما قدمه
لها كان قليلا جدا ، ويقاد اكثراها لا يعرف على الاطلاق من قبل قراء
العربية عدا « فيض احمد فيض » نسبيا .

الابعاد الذي اعتبر نفسه ، قبل كل شيء ، مسؤولاً عن صياغة النموذج الحي والقدرة المثلثى لسلمي عصره بصورة خاصة ولل الجنس البشري بصورة عامة ، في مرحلة خلت من هكذا نموذج وقدوة . كما كان يتطلع لأن تكون له القيادة الفكرية . لقد جمع في نفسه ما بين فكر نيتشه وبرغسون وماركس من الغرب وبين الفكر الاسلامي وحكم القرآن وفلسفة المتصوفة من الشرق . وكان اقبال أول شاعر شرقي يهاجم بشدة الاستغلال الاستعماري ويدرك معنى ظهور الصين كقوة سياسية عظمى ومضامين ظهور الفكر البلشفى . كذلك كان اقبال يؤكد كثيراً على الادب التعليمي والهادف ويعتبر الادباء مسؤولين عن تنامي وترسيخ القيم السليمة والبناءة في المجتمع . كان اقبال شاعراً عظيماً بحق . فقد استطاع ، بما توفر له من سعة أفق وفكر فلسفى ، أن يبتدىء عصراً جديداً في الشعر الاوردي . كان اقبال يجمع بين الفكر والعاطفة وكان يكتب قصائد الفزل كما يكتب الشعر الرمزي ملوناً ذلك كلها بطيف تجاربه الواسع منتقلًا بالشعر الاوردي الى مرحلة جديدة تماماً مختلفة كل الاختلاف عما سبقها . لقد كان تأثيره كبيراً جداً الى درجة لم يستطع معها أي شاعر جاء من بعده الا أن يحنى له هامته .

ورغم أن معظم هؤلاء الشعراء حذوا حذو اقبال وكانوا يميلون لترسيخ دور الفكر في الشعر ويفنون النموذج اللغوي للشعر الاوردي إلا أنهم قدموا موضوعات جديدة على شكل استعارات جديدة في الخطاب الشعري وتجاوزوا المโนعات كلها تلك التي كانت مفروضة على التجارب الابداعية شعرية كانت أم غير شعرية . كما تبنوا الطريقة المباشرة بالتواصل وأصرروا على ضرورة الوضوح في التعبير والبعد ما أمكن من الغموض . ولعل الشعر الذي كتبه الشعراء التقديميون ، باستثناء فيض احمد فيض ، كان ضحلاً في أفكاره وعواطفه . اذ كان بمعظمهم يدور حول مدح المجتمع الماركسي المثالى .

□ مدخل الى الأدب الباكستاني □

الشاعر الوحيد المشهور من هذه الحركة ، وهو فيض احمد فيض المعروف بنفسه الوجданى ، كان رغم التزامه بالنظام الاشتراكي ، يفكر تفكيراً جدياً بتركيبة الشعر ذاتها . ولعله ، بعد اقبال ، الشاعر الاكثر تأثيراً وشعبية ، الشاعر الذي تخطت موهبته وشهرته حدود بلاده فقد كان له ، هو الآخر ، تأثيره الكبير على معاصريه وعلى الجيل التالي من الشعراء .

لكن ، بالاجمال ، يمكن للمرء ان يقول انه بعد قيام دولة الباكستان حدث نوع من الانسلاخ عن القيم التي كانت سائدة في مجتمع غير متجانس يتتألف من هندوس ومسلمين وسيخ وجماعات دينية أخرى كثيرة كانت تعيش جنباً الى جنب . فقد وفر المجتمع الجديد الذي يتتألف من المسلمين فقط الفرصة لنمو مجتمع متجانس . غير ان الفوضى السياسية والانقلابات وتغير الحكومة تلو الحكومة ، وكذلك الخروج الجماعي للمسلمين من الهند والآثار النفسية والعاطفية لذلك كلها ، اضافة الى مارافق ذلك من مذابح وانهيارات اقتصادي كان له ما يشبه وقع الكارثة على رجل الشارع المعروف الآن بالباكستاني . فالانفصال عن النظام الاستعماري وال الحاجة لاستبدال القيم السائدة شكلاً ما يشبه الدافع الملح في تلك المرحلة مما جعل شعراء الوردو يتوقفون عن الكتابة او يصبحون أقل اهتماماً بالنشاط الابداعي . على عكسهم تماماً كان كتاب القصة الاوردية الذين اندفعوا الى المقدمة لتجذب كاتب قصة قصيرة مثل سادات حسن مانتو يبدع أعمالاً عظيمة تشمل في اطارها كل الناقضات السياسية والاجتماعية لتلك المرحلة بل ويؤكد على المفهوم الجديد للانسانية . مع ذلك، وبصورة عامة ، يمكن للمرء ان يميز نموذجين مختلفين من الشعر الباكستاني المكتوب بالانكليزية : الاول هو الشعر الذي كتبه شعراء يعيشون في البلاد

نفسها ويستخدمون الانكليزية كلفة ثانية أو ثلاثة ، وينظمون ما يمكن ان نسميه ، لعدم توفر مصطلح أفضل ، بالشعر الحديث « التقليدي » . وهو الشعر الذي يتميز بأنه « شعري » تماماً وعن وعي باستخدامه لغة نثرية تقليدية وتركيب تقليدي . انه الشعر الذي « يقول شيئاً ما » من السهل فهمه ولا يتطلب جهداً كبيراً من القارئ كي يدرك معناه ، أشهر شعراء هذا النموذج ثلاثة وهم : توفيق رفعت ، مكي قريشي ، وكليم عمر .

اما النموذج الثاني من الشعر فهو ذاك الذي كتبه شعراء لا يعيشون في الباكستان ، شعراء يستخدمون اللغة الانكليزية أربعاً وعشرين ساعة في الاربع والعشرين ساعة ، وهؤلاء هم الشعراء الذين تجاوزوا التركيبة التقليدية للغة من حيث بنيتها وسماتها التقنية الأخرى التي نراها لدى شعراء النموذج الاول . شعر هؤلاء يبدو ، سواء كان ذلك حسناً أم سيئاً ، وكأنه من تيار الحداثة نفسه ذاك الذي يتسم به الشعر الغربي . هنا يمكن ان يميز المرء الشاعر ذو الفقار غوز ، ولعله أشهر شاعر باكستاني كتب بالانكليزية ، وكذلك المجير هاشمي ، صاحب « القسم وأمين » : قصائد حب وكلما هذين الشاعرين يعيش في الولايات المتحدة .

وعلى العموم ، فان مجتمعاً يتكلم عدة لغات وتتعايش فيه العديد من الثقافات جنباً الى جنب وكل منها لها هويتها وتحافظ على سماتها وميزاتها يعتبر ، عادة ، مجتمعاً غنياً ثقافياً ولغوياً وان كان يعاني أحياناً من بعض الاضطرابات اللغوية والاختلالات الثقافية . هذه الحالة هي ما يميز الادب الباكستاني ، فهو غير قادر على تحقيق الاندماج الثقافي والعرقي من جهة ، وهو من جهة أخرى يتبع الامكانيات لقيام منظومات أفضل واستقلالية أكبر . ففي الباكستان ست لغات رئيسية على الأقل لكل منها انتشارها ببعضها تجاوز الحدود المحلية كالانكليزية والأوردية والبعض الآخر لم يستطع تجاوز تلك الحدود بل ظل أكثر التصادف بالتربيه .

□ مدخل الى الادب الباكستاني □

استعمال الكاتب لواحدة من هذه اللغات له حسناته وسيئاته فالانكليزية او الاوردية ، حين يستعملها الكاتب ، يكون أكثر انتشارا وأوسع رقعة لكنه يتعدى أكثر عن عواطف الناس ومشاعرهم . بينما يستطيع ، حين يستخدم لفته المحلية الاصلية ، أن يعبر عن نفسه وعن مشاعر الناس على نحو أفضل واكثر حميمية . فهناك اللغة البنجابية والسندي والساراكي والبوشتو والبالوش والهندي .. وهنالك لغات فرعية اخرى كثيرة يمكن التعبير بها لكن المسألة الاخطر بالنسبة الى الكاتب هي ان نسبة الامية تزيد على الثمانين بالمائة اي ان عشرين بالمائة فقط من المواطنين يستطيعون القراءة والكتابة بأية لغة من هذه اللغات الكثيرة ، بينما الحشود الكثيرة من الناس تتلقى معارفها ومعلوماتها عن طريق النقل الشفوي من تعاليم دينية وفولكلور وقصص واساطير تركها لهم الاصدانون وتعبر عن عواطفهم وتطلعاتهم وخيبات أملهم على نحو أشد تأثيرا وأعمق معنى .

اننا هنا لا ننكر الاهمية او التعقيدات الفنية لاعمال بهذه فبعضها قد يكون من افضل الاعمال الادبية في العالم لكننا فقط نريد ان نشير الى الفرق بين هذه الاعمال الفولكلورية وبين الاعمال الحديثة التي يكتبها كتاب « الادب » في هذه الايام الذين لديهم تضخم وعي بفنية أدبهم وفرط شعور بأن ما يدعونه هو أدب أكثر مما هو اضطرار لتصوير ما يدور في خلدهم .

ثمة تعقيد آخر بالنسبة الى الكاتب الحديث هو اهتمامه بمحیطه الاجتماعي من خلال ما يعرف بمفهوم « الالتزام » . انه مصطلح ظرفي يحدد موقف المرء من قضايا المجتمع والاسلوب الذي يتناول به هذه القضايا وفق مبادئ محددة وأنطلاقا من زاوية نظر معينة تكون مفيدة الى درجة

مخيبة . كل الكتاب ذو شأن تراهم معنيين اجتماعياً وآخلاقياً بما يجري حولهم – ولعل هذا هو السبب الذي يدفعهم للكتابة – لكن اهتمامهم هذا الذي يمكن ان يكون خلاقاً ومحرراً ، مساعدًا على اغناء تجربتهم وتنويعها وتوسيع افقهم وتغييره قد يتتحول أحياناً الى نوع من التصلب والتزمت يحد من تجربة الكاتب ويساهم في تضييق افقه . انه يربط نفسه بفئة او مجموعة ذات ايديولوجية معينة ونتيجة لذلك يسقط فريسة لاهواء تلك المجموعة الخاصة مما يلفي الكثير من دوز ذلك الواقع الابداعي الحر لديه ، ككاتب او فنان ، وهو اهم عناصر الابداع لدى المبدع .

ان مهمة الكاتب الذي يريد الاستمرار في مواجهة الفوضى والمظالم في مجتمعه ليست مهمة سهلة رغم انه يمكن تأديتها بطرق مختلفة . فهناك مبدئياً الاغراء ، وقد يكون اغراء شديداً ، في ان يبالغ المرء في تقدير قيمته وكفاءته الادبية وهو يعيش في مجتمع ، كالمجتمع الباكستاني ، الاممية واسعة الانتشار فيه وال المتعلمون انصاف المتعلمين بل حتى المثقفون فيه يملؤهم شعور بالفخار بأنهم شيء نادر في مجتمع بعيد عن العلم والثقافة . هنا ، الاحكام تعطى بصيغة المطلق والافتراضات تكون أقوى من الواقع والاساطير اشد تأثيراً من الحقائق . وهكذا ، يجد الكاتب نفسه امام عدة طرق ، فهو يمكن ان يكتفي بأن يفتتن قراءه بقدرته الهائلة على الثرثرة والكلمات المسجوعة والتراكيب اللامعة الخادعة ، كما يمكن ان يرضى بنصف الحقائق ، مؤثراً ان يلف ويدور على قرائه ليجذب اهتمامهم وتعاطفهم غير معنى البتة باغناء الموضوع الذي يعالج و تكون النتيجة وجبة غير ناضجة يمكن القاؤها في سلة النفايات . كذلك يمكن ان يستثث قدراته في تحضير كتابات تناسب الذوق السائد او ترضي رجل السلطة .

□ مدخل الى الادب الباكستاني □

كما يمكن أيضا ان يكتفي بالنقد والاحتجاج فقد أصبح ذلك أيضا نوعا من الموضة الرائجة ، لكن نادرا ما تقع على كاتب استجاباته ليست ردود افعال بل هي تعبير عن تجربة خاصة للتحليل والفحص .. كاتب دافعه الداخلي هو ان يفكر في خرائه ويتأمل تجاربه لكي ينقلها الى القارئ بأسلوب جمالي جديد يتجاوز مجرد الالتزام باصلاح المجتمع او تغييره .

ان الكتاب شأنهم شأن جميع الناس ، عرضة لتقلبات الحياة كما انهم قد يصالحون او يعدلون من مواقفهم . وقد تفلت قبضتهم عن واقعهم او فنهم ، يتهاالكون ويموتون ، او قد يبعثون الى الحياة والنشاط بعد خمود وركود ويأس ، لكن ثمة كتاب ، يظلون طوال حياتهم سائرين وفق نموذج ثابت من الصراع والكفاح ، وهو أمر يدعو للإسى بشكل من الاشكال لكنه نبها الى قيمة ماينجزونه أكثر مما يدعونا لارقة الدموع على معاناتهم لكن ، في كل الاحوال ، لا داعي لكاتب لأن يعتذر . انه يشمخ عاليا او يسقط أرضا بما يكتب ، والكلمة المكتوبة هي التي تشد من ازر الكلمة مكتوبة أخرى او تصادمها او تلفيها ، فأثر الكلمة المكتوبة في حياة الآخرين أمر لا يمكن حسابه بدقة تماما كاثر حياة انسان بأولئك الذين يحتك بهم مع فارق واحد هو ان عمر الكلمة المكتوبة أطول بكثير وأثرها يتجاوز التجربة ذاتها ببقائه بعد انتهاء تلك التجربة بزمن طويل . انها سجل ، شيء أشبه بالآثار والنصب التي تركها القدماء لذكر وتحقق التواصل .

اذن ، في كل مرة يرفع الكاتب قلمه او يجلس أمام آلة الكاتبة ليكتب ، فإنه لا يمارس عملاً آلياً كأي عمل آخر يكسب من ورائه العيش كما يعمل الطبيب وهو يستقبل المريض ليشخص مرضه مثلًا أو المحامي وهو يستقبل موكله ، بل يكون على أهبة عمل من أعمال الخلق والإبداع ،

على أهبة الانفemas في عمل من أعمال المسؤولية الأخلاقية والتعبير الجمالي .

والكاتب الذي ينأى بنفسه عن هذا المنحى يغدو مثله مثل أي مهني آخر فقد يكون ماهرا وحاذقا في عمله الآلي لكنه ليس بالكاتب الحقيقي .. انه كاتب مزيف . ذلك أنه من السهل خداع النقاد كما ان من السهل بالنسبة للناقد أن يخدع الكاتب ، الا ان الكاتب والناقد الصادقين هما اللذان يسعian دائما الى المعنى المفید للقاريء والى التجربة الفنية التي يمكن ان يستفيد منها القاريء ، تجربة ليست مبهمة غامضة بل جديدة متتجددة قد تكون كالللغز لها عدة اجوبة وموحية باكثر من ايحاء . عمل كهذا يسمح بالتناقضات والتوترات التي تتغير هي نفسها مع كل قراءة جديدة كما تتغير من قاريء الى آخر ، رغم ان المجتمع الذي يؤمن بالملتقى لا يمكنه تفهم هذا ، فهو ، عادة ، يقييد نفسه بقراءة واحدة وتفسير واحد.

يتطلب الادب مستوى عاليا من الدقة في التعبير رغم ان الدقة وحدها لا تكفي ، فامكانيته في ايجاد طيف كامل من الابياء هو ما يميز الادب الخلاق عن التقارير والبيانات العادية ، انه كالبحوث العلمية والفلسفية كلما كان مجال ابيائه أوسع كان النص الادبي اكثر قيمة وأهمية . مع ذلك ، لكل عمل نطاق محدد للايحاء اذا ماتجاوزه اضر ببنية الكلمة والمعنى وعلى الكاتب ان يولي اهتمامه الكبير لهذه المهمة وهو منهمك في عمله الابداعي لانجاز بنية ابداعية يمكنها ان تقف على رجلها وان تواجه ذلك الكم الهائل من القيود ، لكن يبدو لي ان معظم الكتاب الباكستانيين عملوا منذ ١٩٤٧ في الاتجاه المعاكس - اي اختزال دلالات اللغة الى حد التطابق الحرجي بين الكلمة والمعنى ولكي يفعلوا هذا اضطروا لان يلغوا كل ما يهب الحياة للادب اي بالتحديد دقته وقدرته على الابياء . في بعض الحالات

□ مدخل الى الادب الباكستاني □

كان هذا الخيار بسبب الموقف الايديولوجي او السياسي، وفي حالات اخرى كان نتيجة نقص في المهارات لا اكثرا لكن في كل الحالات كان يعكس نوعا من الفقر الاخلاقي والفكري.

سوء الحظ لم يكن هناك الكثير مما يحتفى به خلال هذه السنوات الاربعين الماضية . فقد كانت مرحلة من تلك المراحل التي تتكرر في التاريخ حين ينهاي اسلوب معين في الحياة ، بكل مبادئه ومنطلقاته صالح اسلوب آخر ، والتغير الذي يجري لا يكون كاملا او محدد السمات بعد . فالقرن العشرون يمكن تضمينه ، ككل ، بأنه عصر التغير ، حيث انهارت ايديولوجيات وظهرت ايديولوجيات بديلة ، نظريات ، فلسفات ، ترتيبات ، خرائط ، نماذج بل قيم كاملة ولت لتحول محلها قيم جديدة.

منذ بداية القرن العشرين لعبت الهند ، شبه القارة هذه ، دورا فعالا في انشاء ثقافة التغير تلك التي بدأها هذا القرن ، لكن فقط في السنوات العشرين الماضية بذلت ملامح التعب والانهيار تظهر على اساليب الحياة القديمة السهلة لصالح الاندفاع الهائل لنزعة التنافس والعدوانية كما انهارت قيم العالم القديم وعلاقاته امام زحف المادة الذي لا يقاوم . صحيح ان الخطر كان ماثلا منذ زمن طويل لكن الصحيح ايضا ان فجائحة الفزو وشدة التي لا تقاوم اذهلت المجتمع على ما يبذلو في الباكستان . كان الوضع معقدا للغاية وذلك لعوامل عديدة اهمها : انتشار الامية، وجود نظام اقطاعي رجعي بال ، غربة المسؤولين وابتعادهم عن بيئتهم وعن الناس الذين يفترض انهم آتون لخدمتهم ، وجود جيش قوي جائع لا يخجل من استخدام « مهاراته » ضد العزل من الناس ثم شعب ضعيف عاجز وسياسيون غارقون في الرذيلة والفساد .

قلة من الكتاب لاحظوا الترترات التي كان منشؤها هذه الحالة ، سامحين لأنفسهم بالابتعاد عنها اما بحجة الرأي العام او الخوف من عدم تسامح الحكومة . ونتيجة لذلك ، فان الواقع الاجتماعي المستلب ، الذي كان من الممكن أن يؤدي الى تحرير الدافع الابداعي على نحو متعاطف وصادق ، ادى الى حالة من التشوش والفووضى لغير .

لقد عملوا على تجريد الناس من احساسهم فقط ، في حين عمد المهرة في دنيا الكلام الى استخدام الكلمة لاخفاء الواقع غير الملموس مباشرة او لانكار وجودها كليه . روح الانحياز هذه هي تركبة باقية من العصور القديمة والوسطى حين كان الحكم والاغنياء يبسطون حمايتهم على الشعراء والموسيقيين والفنانين وكان هؤلاء مقيدين وملزمين باسعاد سادتهم . فحرية الفنان واستقلاله فكرة غير مقبولة بالنسبة الى مجتمعنا الذي مايزال يعتبرها نوعا من الانفصال المخجل في دنيا الروح ، يرثى الله في وجه الحقائق الاجتماعية القائمة ولا يسمح به الدين او القانون .

من جهة اخرى ، ثمة صراع بين الغربة والالفة نراه في اعمال الكتاب الذين يرفضون سياسة الانحياز تلك افهم يتمون ، في استقلالية مواقفهم المختلفة يرفضون سياسة الانحياز تلك . انهم يتمون ، في استقلالية مواقفهم الجائزة او التقدير حتى يصبح فجأة بلا ملامح ثم يضيع وسط الزحام . وما يكتبه فيما بعد يصبح تافها عديم الفائدة يعتمد على العقائد الدينية ويذكر الاحداث الاخلاقية التي تدور حول فضائل الطاعة والخضوع لاولي الامر ومن ثم القبول بالغلبل والطغيان . لدى كاتب كهذا ، فجأة يتخلى المنطق والتبصر مفسحا الطريق امام اللامبالاة والغموض وهو ان الروح ، فيما يغدو مصدر الخلاص ليس العمل ولا الایمان بل اغرب الخرافات وأشدتها فظاعة .

□ مدخل الى الادب الباكستاني □

لكن لحسن الحظ انه من حين لاخر ، يتجلى الدافع الداخلي مؤكدا نفسه فائضا على شكل شعور غير زائف ولا مصطنع . وفي مناسبات كهذه يكتشف الكاتب ، الذي ولد ونشأ في مجتمع هو بشكل جوهرى منافق وغير متوازن ، حس التمييز لديه في الوقت نفسه الذي يدرك فيه روابطه الاجتماعية - العرقية ويتوصل الى نوع من الفهم المزدوج اللازم للفنان .

في الادب الباكستاني نجد ان التوتر القائم بين الغربة والالفة يحدد الجوانب الشكلية للعمل ، اذ نجد كتابا يحطمون القوالب الموجودة قصيدة الغزل التقليدية مثلا ويستبدلون بها القصيدة النثرية او الشعر الحر ، موزونا أم غير موزون ، كما نجدهم يعيدون تفسير بعض الاجناس الشكلية باخفاء معنى جديد على الصيغة التقليدية والمتوارثة للاستعارات والصور .

كذلك تمر الحكاية القصيرة بتحولات بنوية مماثلة نتيجة تأثير الواقعية الصحفية ، لذلك تضخم الحكاية او تلغي كلية او تعطى اشكالا اجد مثل الواقعية السحرية ، الفولكلور ، الرمز ، الخ . احد الاشكال الاصغر والمفضلة لدى الكتاب هو **الدستان** - والدستان حكاية طويلة كثيرة التنقل او مجموعة من الحكايات غير مترابطة بالضرورة تستخدم عددا مختلفا من الاساليب كالرمزيه ، الخرافه ، الوجданية ، ويكتفى على مصادر متعددة كالدين ، الفولكلور ، الاسطورة . . الخ .

وقد بعثت الدستان الى الحياة من جديد رغم أنها قبل سنين فقط كان ينظر اليها باعتبارها شيئا باليا فقد مبرر وجوده .

هلا نلاحظ ان الكتاب الذين تبناوا الانكليزية كوسيلة للتعبير مدانون لا اختيارهم ذاته . انهم متهمون بأنهم من بقايا مرحلة الاستعمار البريطاني

وأنهم يعانون أكثر وأكثر من نقص القدرة على القراءة وليس من المدهش، بالحقيقة ، ان الاشد صخبا في انتقادهم لهذا الاختيار للغة لاتربطهم بيئتهم الا اضعف الروابط ويجدون من الاسهل عليهم ان يبنوا شهرتهم على الخداع والتضليل والشعارات بدلا من معالجة المشكلات القائمة بالجدية المطلوبة . فضعف معرفتهم باللغة منعهم ، والى حد بعيد ، من تفهم منجزات أولئك الكتاب الباكستانيين الذين انتزعوا اداة تعبير جديدة وجعلوها أكثر ملائمة وتجاويا . لكن من المؤكد ان استخدام الانكليزية كاداة للتعبير الابداعي يبعد الكاتب عن مجتمعه ويشكل مظهرا تقليديا من مظاهر التوتر القائم بين الغربة واللغة . لهذا السبب ، ليس من الصعب ان نفهم لماذا يبذل كتاب كھولاء جهودا خاصة كي يتلاءموا مع الدوافع التي تحرك المجتمع الذي يعيشون فيه ومع حاجاته التاريخية والثقافية والاجتماعية وكي ينقلوها ويعيدوا العمل بها في كتاباتهم ، مع ذلك فاللغة في هذه الحالة لا تعمل الا على ابعادهم عن موضوع عملهم وعلى التفكير به وتأمله قبل اعادته الى الحياة بشكل غير مباشر باعتباره شيئا مختلفا وجديدا .

وعومما ، فان الكتابة الباكستانية باللغة الانكليزية تعمل عادة بطريقة الابحاء واللامباشرة كذلك تعتمد على تخفيض القيمة بدلا من المبالغة . هذه الميزة ربما كانت خاصة من خصائص اللغة الانكليزية ذاتها . من جهة اخرى ، الاوردية هي لغة التفخيم والمبالغة تقليديا وتاريخيا ومن المهم كثيرا ان نرى كيف ترن النغمات على نحو زائف وكاذب حين تفسر اللغة لتنفذ مع تراكيب غير مألوفة تاريخيا رغم انه ليس كل التجارب عقيمة او غير مجده . لقد مرت تراكيب واقعيات كل من الانكليزية والاوردية بتغيرات متماثلة يمكن التعرف عليها أحيانا وفي أحيانا أخرى يمكن رسمها

□ مدخل الى الادب الباكستاني □

بدقة نظراً لتماسها المباشر الواحدة مع الآخر في تلك البلاد، وآثار ذلك تتضح في انتقاء الموضوع وتنظيم المادة وكذلك في مضمار الشكل والجنس، فهناكوعي جديد للتقنيات الادبية التي يمكن أن تتكيف بكل بساطة مع اللغة الأخرى أو تنور ابداعياً ضمن الحدود أو المجالات المتاحة للنموذج الآخر . ان استخدام انماط الصور ، طرق تركيب الاستعارات ، نسج المواضيع ضمن نسيج روائي او شعري ، كلها أثرت بطريقة او باخرى . لكن المثير هنا والمهم هو : كيف تستخدم كلتا اللفتين ، بكل ما فيهما من اختلاف لغوي وتركيبي وأدبي ، وسائل واحدة بطرق مختلفة كل الاختلاف . ودراسة استخدام الابياء واللامباشرة تخدم كمثال ، رغم ان الشرط الاساسي المتأصل في كل لغة هو أنها ، بشكل من الاشكال ، تعتمد على الاشارات لنقل الرسالة المطلوبة .

لابد ، قبل كل شيء ، من ان نتعرف على اختلاف أساسى ، وإذا ماتكلمنا بصورة عامة فان الابياء واللامباشرة هما وسائلتان عامتان تماماً من وسائل التعبير في الادب ، فالكاتب قد يستخدم السخرية ، الثورية ، الاستعارة ، الرمز ، المفارقة ، عكس الاشياء ، اضافة الى طيف كامل من الميل للابياء بفكرةه على نحو غير مباشر . وهي ، بهذا المعنى ، وسائل عالية القيمة في الادب وتخلصه من التعليمية والمواعظية . لكن الابياء واللامباشرة خاصان ، هما الآخران ، ببعض اشكال التعبير الادبي كالمجازية الرمزية ، الاستعارة ، الخرافـة .. الخ وحين يظهر في أدب هذه المرحلة افراط في استخدام تلك الاساليب قد يكون جديراً بنا ان نتسائل لماذا وما هو السبب ؟ كل عمل أدبي يستخدم الى حد ما الابياء واللامباشرة لكن حين يصبح من المتعذر قول اي شيء مباشره واسلوب التعبير ي فهو معتمداً كلياً على البنى التي لا تعمل ، بحكم طبيعتها ذاتها ، الا بالابياء ،

ربما تكون تلك الظاهرة نذير شر . يبدي الادب الاوردي في الباكستان ، عموما نوعا خاصا من التفضيل مثل هذه الاساليب في حين ان الكتابات بالانكليزية تعتمد عليها اعتمادا أقل و تستخدم الطرق الاكثر مباشرة حتى عندما تستخدم اشكال التعبير التي تعتمد الابحاء واللامباشرة . فاولئك الذين يكتبون بالانكليزية يشعرون ، على مايبدو ، بحرية اكبر في التعبير عن أنفسهم او في استعمال تراكيب وقواعد لغة متبناة يمكن الاستفادة منها لقول ما يريدون قوله دون ان يكونوا مضطرين للجوء لاساليب معقدة او نصف معبرة او ملتوية . مع ذلك فان هذا صحيح جزئيا اذ ان معظم الكتاب الباكستانيين الذين يكتبون بالانكليزية يكونون منشغلين بهم واحد هو إيضاح تبعيthem لأصحاب القوى والنفوذ الذين يمكنهم ، في اي وقت كان ، ان يغيروا حياتهم ومصيرهم ، اضافة الى ذلك ، فان قراءة الانكليزية محدودة على نحو ناجح وهي ليست بمعزل عن الجمهور وحسب بل انها تدرك سلفا ان النص المكتوب بالانكليزية غير متاح للمواطن العادي البسيط . من هنا فان احتمال ان يؤثر النص الانكليزي او يؤذى اضعف بكثير ، لهذا نرى ان الميزة الظاهرية اي ميزة التمتع بقدر اكبر من الحرية، تغيفها تماما الدائرة الضيقة التي يمكن ان ينتشر ضمنها الكتاب . رغم ذلك فان الكتابات الباكستانية بالانكليزية تحقق مستوى لاباس به من الرقة والصدق و تستخدم اللامباشرة والابحاء كوسائل ادبية اكثر مما هي وسائل للتعبير تتعلق بجنس ادبي بعينه .

كذلك ، هناك في الكتابة الابداعية باللغة الاوردية ، ولا سيما القصة القصيرة ، المجاز ، الحكاية والكتابات الرمزية ، أمثلة كثيرة على اعادة حكاية الخرافات والاساطير . اما الواقعية ، حينما تستخدم ، فانها غالبا ما تكون من النوع الاليف ، العاطفي ، غير الناضج . لكن ، ثمة استثناء

□ مدخل الى الادب الباكستاني □

حيث تتطلب الواقعية حدة في الذكاء والدعابة او كشف الانانية والتفاهة رغم سخافتها مصورة لنا دوافع الشر الفامضة والمظلمة ، دائرة الاهتمام الاساسي للفن الحقيقي ، او تحمل لنا الاثارة العصبية التي تنقلنا الى عتبة الاكتشاف . الامثلة البارزة على ذلك هي القصص القصيرة للقاص غلام عباس ومانتو والى درجة ادنى باتراس بخاري ، وأحياناً فقط نرى ذلك لدى أشرف احمد . هذا الاستخدام الابداعي للتفضيلات الواقعية يقع على نحو اندر في الشعر لكننا نجد مظاهر لدينا قصائد مجيد أمجد ، كيشوار نهيد ، ناصر قزمي ، وفي بعض الأحيان فيض احمد فيض .

الآن ينبغي ان نتفحص لماذا يفضل الادب الوردي في الباکستان اساليب اللامباشرة الأدبية . فهذه الاساليب تعمل كلها على تجنب العبارة المباشرة وبذلك لا تكون صدامية . إنها ، بالحقيقة ، تعمل على تقديم لمحات ايحائية تعيد خلق تجربة تجري مقابل تفسير تجربة مضت من خلال سرد متسلسل . وبذلك تكون وسيلة لتجنب او إبطال تسلسليه الكلمة المكتوبة التي قد تكون هي نفسها مسؤولة عن الاساليب التجريبية والتقليدية للكتابة ، ولعل هذا واحد من الاسباب التي تفسر لنا لماذا تعتمد اللغة في مراحلها الناشئة على التعبير التي يوحى لفظها بمعناها وعلى الاشكال اللامباشرة للخرافة والاسطورة ، وكما ينتقل الادب من المرحلة الشفوية الى المرحلة المكتوبة كذلك تفسح الحكاية الرمزية والاسطورة الطريق للتطابق بين الاشارة والمعنى ، مما يخلق بشكل تدريجي شبكة جديدة من الدلالات والمعانی .

يستخدم كلا الاسلوبين ، المباشر وغير المباشر ، على ما يبدو ولتأدية غaiات مختلفة . فالاسلوب المباشر يستخدم كي يقيم علاقة سببية ويربط . وفي الرابط تفسير وتحليل لظاهرة يصل تقريراً الى حد اعادة تجربتها . أما

□ مدخل الى الادب الباكستاني □

الاسلوب غير المباشر فيفيد في اعادة خلق ظاهرة التجربة ويكون معنباً يفورة التواصل بدلاً من التفسير ، واللامباشرة ، كوسيلة للتعبير ، هي حيلة فكرية أكثر قبولاً من الطريقة المباشرة وتأسلوب في التعبير هي بنية حدسية او نفسانية تعكس ، كشكل ، في المجاز ، الاسطورة ، الحكاية الرمزية ، والخرافة .

لكن استخدام هذه الاساليب من اللامباشرة يحدده ايضاً مدى تأثر الكاتب بتراثه الادبي . ذلك ان قصيدة الفزل في الشعر والدستان في النثر ما تزال ذات تأثير قوي على كتاب اليوم .

فالوردة والبلبل والساقي والخمرة ، وجنون الهوى والقتل على يدي المحبوب وقسوة السماء كلها شعارات ما تزال تستخدم في الشعر الاوردي بشيء من التغيير او دون تغيير على الاطلاق في معاناتها ودلالاتها مذ اخذت من الشعر الفارسي والعربي من قبله . شعراء نادرون فقط ، مثل اقبال وفيض ، باستطاعتهم ان يضخموا هذه الشعارات التراثية وينحوها دلالات معاصرة . كذلك ، قان نمط الدستان ، سواء كان مستمدًا من البانشانتيرا الهندية ام الف ليلة وليلة العربية ما يزال يظهر في اعمالنا القصصية المرة تلو المرة ، والمثال البارز على كتاب هذا النوع من الفن القصصي في الباكستان هو انتظار حسين ، فقصصه القصيرة ، شأنها شأن الدستانات القديمة ، تستخدم المجاز ، الاشعار المركبة ، الامثال ، الحكايات الرمزية ، الخرافات وتعيد من جديد رواية الحكايات الاسطورية بروح جديدة . لفترة قديمة يبدو معها وكأنه يعيد ايضاً خلق عصر ضائع وانتهى - عصر من الفوضى والتحولات ، السحر والمعجزات يتكشف باستمرار من خلال القصة التي تنسج من قصة اخرى في سلسلة تبدو وكأنها بلا نهاية . لكن انتظار لم يكتب شيئاً تقريراً عن المجتمع الذي يعيش فيه منذ أربعين عاماً مضت .. بل ان خرافاته تعكس او تحل محل الترتيبات الاجتماعية والسياسية الجديدة التي حدثت عام ١٩٤٧ فذلك

الحدث هو وحده مثار اهتمامه وكأنما ليس هناك موضوع آخر يثير ذلك الاهتمام . لهذا قد يبدو ، بالنسبة الى القارئ الحديث في الباكستان قديما جدا ، بينما يغدو ، بلغته واساراته الى الاساطير الهندية والتراث البوذى ، بعيد المنال على الجمهور العادى الذى راح ، تدريجيا ، ينفصل ثقافيا وايديولوجيا وسياسيا عن آداب وملفات غير المسلمين الذين يعيشون في شبه القارة الهندية .

مع ذلك ، عند التحليل النهائى لابد من الاعتراف بان لجوء الكاتب الباكستاني باللغة الاوردية للامباشرة في الادب لا ينبع من ضرورة الغوية او ثقافية ، تجريبية او ترائية بقدر ما ينبع من الحاجة لوسيلة وقائية تحميء وتبت بها الاعتبارات السياسية . فالباكستان كانت ، وعلى نحو منفرد ، سيئة الحظ في قياداتها السياسية . شعبها عانى بطرق مختلفة . لقد فقد صوته وهو يلهث خلف شؤون معيشته اليومية وحقه في العلم والثقافة . ضاع بحجة الدفاع وتجميل المدن الرئيسية وانشاء الصناعات الحربية ، ليبقى سنة بعد سنة شعبا « مريضا » تكene « غير ميت » . فالباكستانيون يعانون من سوء التغذية ونقص المأوى والملابس وليس ثمة أمان في الحياة . ورغم أن القادة متفائلون دائما الا أن الشعب يعلم أن من يحكمه هو جيش قوي أشد وطأة من الجيوش الاجنبية وأن أشد أنواع الاذى التي تصيبه إنما تلحق بعقول ابنائه ونفوسهم . فقد نشأ جيل لا يعرف الا الظلم وسيطرة المادية ، والاجيال الحالية ليست افضل حالا ، اذ انهم الناس ، عادة ، ينصب على كيفية تجنب الفضب الرسمي ، لهذا باتوا ولا هم لهم الا أن يعرفوا كيف ينافقون ويمالئون بنفوس خاضعة خانعة . لقد غادر البريطانيون شبه القارة عام ١٩٤٧ وظهرت الباكستان الى الوجود في الرابع عشر من آب من ذلك العام على أمل ان يتمتع الباكستانيون بحربيتهم واستقلالهم كشعب متجانس دينيا والى حد ما عرقيا ، لكن ما حدث هو أن معاناته زادت جسديا وعقليا اذ بات الناس يضربون لكتابه قصيدة او

قصة ويات الشاعر ينفي من بلاده لان بلداً أجنبياً اعترف بقدرته الادبية ، وأكثر الناس تألفاً باتوا لا يجدون عملاً ولا يستطيعون كسب عيشهم وأشهر العلماء لا يجدون مورد رزق لان الفئة السياسية الحاكمة غير راضية عن معتقدات الجماعة الدينية التي ينتسبون اليها . بعض الكتاب لم تشطب عزيمتهم هذه الظروف لكن القلة القليلة منهم تجرؤوا أن يكتبوا بوضوح وصراحة ، لهذا كانت اللامباشرة ضرورة لازمة للنجاة بل وللبقاء على قيد الحياة ، فهناك مواضع لا يمكن مقاربتها الا بالايحاء واللامباشرة ، وهو أمر لا يرضي المتألين على وضعهم من الشعب الباكستاني الذين يريدون وضع اليد على الجرح والنقطاط على الحروف ، كما ان الاغنياء والمترفين يعتبرون الادب شيئاً ثافلاً ، فلم تلقى اذن بقایا الخطاط الثقافي ؟ .

تلك هي الخلفية للحياة في الباكستان وهي خلفية تدعو لليلas ، مع ذلك فقد ظهر كتاب لم يُؤسسوا فقط : *مانتو* الذي تحدى التقاليد الزائفة وأبدع ادبًا حيًا جميلاً ، *غلام عباس* الذي استطاع ان يكتب عن المعاناة دون ادعاء وبلغة بسيطة فيها الكثير من السحر . *مظہر الاسلام* ، بلفته المؤثرة الخيالية ، الذي استطاع ان يقدم لنا حكايات وخرافات باللغة الاوردية والتاثير ، اضافة الى *احمد نديم قاسمي* وغيره من بينها : *توفيق رفعت* ، *كليم عمر* ، *مكي قريش* ، *طارق يزدني مالك* ، *آثار طاهر* ، *المجير هاشمي* ، وهدان الاخيران يعدان افضل شاعرين في الباكستان .

القائمة طويلة بالطبع ، وتضم اسماء كبيرة كداود كمال في عالم الشعر مثلاً ، وخالد حسن ، وظافر اقبال ميرزا في النثر والكل وجهاً طاقاتهم نحو تقديم أعمال استطاعت ان تنتزع للباكستان مكاناً في خارطة العالم الادبية في هذه الايام العصيبة .

* * *

قصائد من الشعر البكستاني

اخذها وترجمها عن الانجليزية :

مددوح عذوان

١ - الشعر المكتوب بالأوردو

فيض احمد فيض

احبولة هي العتمة ،
والنهار رمح
صياد هو النهار
وصياد هو الليل .
الدنيا بحر
يبتعد فيه أبناء آدم ،
مثل الأسماك ، عن الشواطئ ،
أحدهم يحمل أحبولة
وآخر يحمل نعحا
وأنا لا أعرف متى يحين دوري !
برمح النهار سيصطادونني
بأحبولة الليل .

الزيارة

فيض احمد فيضر

الليل شجرة الكرب ·
أعلى منك ومني ·
أعلى حيث قافلة مئة ألف نجم
حاملة المشاعل بآيديها
دارت فضلت طريقها ؛
والف قمر في ظل تلك الشجرة
سفحت أصواتها ·

* * *

الليل شجرة الكرب
أعلى منك ومني
ولكن من شجرة هذا الليل ذاته
تساقطت أوراق شاحبة
للحظات هزيلة
ثم انصرفت بين جدائلك
فصارت قرمذية

* * *

على جبينك
بضع قطرات صمت من نداتها
معلقة كالآلائء ·

* * *

الليل شديد العتمة
ولكن من عتمته تلك

يظهر جدول من الدم
هو صوتي .
ويلمع في ظلاله
المد النببي
الذي هو رؤياك

* * *

توا ، قد تزداد حرارة الاسى
الذى يستكين على نمرة ذراعيك
(الاسى الذى هو ثمرة هذا الليل)
قد تزداد حرارته في الومض الناري لناحاته
ليتحول الى هذه الشراة

* * *

من انحاء كل قوس سوداء
ومن كل السهام المنفرزة في الروح
والتي انتزعناها
صفنا قدوما (فأسا)

* * *

فجر الوجوعين والمصابين
لم يهد في السماء .
هنا افق الفجر الشفاف
حيث تكون أنا وانت .

* * *

ها هنا شارات الاسى المزدهرة
قد تفتحت وشكلت بستانًا من شفق المساء !

وهنا مطارق الحزن البهيمية
قد رتبت في صفوف
لتصبح أكاليل نارية

* * *

الكرب الناجم عن هذا الليل
رمز للسلامة
السلامة التي هي أبخى من الكرب
والفجر الذي هو أسمى من الليل .

* * *

موت اسرافيل

ن. م. رشيد

ادرجوا الدموع لموت اسرافيل
متل الالهة ، وسيد الكلام ،
الروح الابدية للصوت البشري
والصوت الامحمدود للسماءات ،
هو اليوم مثل كلمة غير منجزة .
اذرقو الدموع لموت اسرافيل

* * *

هيا ، اذرقو الدموع لموت اسرافيل المبكر !
انه يسترخي قرب «كارنا»
وكان عاصفة القت به
على الشاطئ الرملي ،
تحت الشمس المتوججة

ينام هادئا الى جانب بوقيه ؛
لحبيته وصفائره وعمامته
ملوئية بالفبار .

كانت ملاجتها ، ذات يوم ، تجسد الوجود والعدم
وها قد ابتعدت بوقيه عن شفتيه !

البطء والسرعة
ضاعا في ندائيهما الخافتين وزعيقهما
وكانا يستمدان القهما منه .

* * *

اندروا النموع لوت اسرافيل !
كان التصميم مجسدا
وكان اغنية متجسدة
ومن الابدية حتى نهاية الزمان
كان اشارة لكل الاصوات الخبيثة .

* * *

الملائكة تبكي موت اسرافيل
في حلقات منتظمة .

يهرزل الانسان بالحزن وهو بصفائر معرفة
و «يازدان» ، الإله ، تعتم عيناه بالحزن
لا انباء من السماء
ولا صوت هامس من عالم الخضور القدسى !
لموت اسرافيل
يحرم على هذا العالم بقاء الاصوات

□ قصائد من الشعر الباكستاني: □

وبقاء المفني ، وبقاء الآلات الموسيقية .
فما الذي يغنىه المفني الآن ؟
وكيف سيغنى ؟
لقد سكنت أوتار قلوب المستمعين !
فما الذي سيرقصه الراقص الآن ؟
ماذا سيرقص ؟
سكنت الابواب والجدران وارضيات الحشر .
فما الذي سيسمعون اليه واعظ المدينة الآن ؟
سكنت الاروقة والماذن والقباب في المساجد !
فاية مصيدة سيعدها صائد الافكار ؟
سكنت طيور الجبال والمقاصد .

* * *

موت اسرافيل
موت الاذن التي تسمع والشفة التي تتكلم
موت العين التي تنعم بالضوء
والقلب الذي احتوى نور الحكمة .
بوجوده كانت تعلو ضوضاء الدراويس الصوفية
وأحاديث البواسل فيما بينهم ،
البواسل الذين اعتزلوا الان
في مختليات تخنق بالانتماء .
لم يعد هناك الان (تاناهو) ولا (ياربها !)
الآن ضاع كل صوت في الشوارع
وضاع هذا الملاجى الاخير لنا .

* * *

بموت اسرافيل
كان زمن هذه الدنيا قد استكان وتحجر .
كان شخصاً ما قد التهم الا صوات كلها
وسادت العزلة حتى لم تعدد هناك
آية ذكرى لجمال كامل
وساد الخواء حتى لم يعد اسم المرأة يرد الى ذاكرته .

بموت اسرافيل
لن يستطيع طفاة العالم
أن يحققوا حلمهم باخراج الا صوات كلها .
حلم تلك السلطنة
التي ، باشارة منها ،
لا تسمع الا لهمسة أن تصدر
عن المضطهدين .

غواية

ميراجي

متلهف أنا
لعيير الخطايا الشهوانية .
عيير الخطايا الشهوانية
 يجعلني أخرج من حدود الوعي
حساسية الشباب
والربيع في كل مكان على الأرض ؟
اليوم وصلت حد السعار
وغيبيوية السكر في عيني

كل ما هو جميل يرتدي اليوم حلقة الفواية
عيبي الخطايا الشهوانية يغوني اليوم
فتزول كافة قيود المحرمات الأخلاقية
أسراب الجمال والحرام تشرد بقلبي

* * *

هذه الفساتين الحريرية وارتباشاتها
هذا الاحمر وهذا الاتمد
سحر كل فتنة انتوية يتواترا
لتضليل قلبي !
متلهف انا
لعيبي الخطايا الشهوانية

الفناء

أحمد نديم قاسمي

جاءت المصورة الام للاطعام
وفي منقارها حبة .
صفارها ضئيلون وموهنوون
يتتحولون كلهم الى مناقير
حين يصرخون
حبة واحدة لاطعام عشرة صفار .

* * *

من ستقدمها المصورة الام ؟
منقار يتوحد مع منقار
فأيها ستهدى ؟

بتحطيم النرة
تعلمت أن تبكي وتصرخ بصوت مرتفع
ويفلق الحبة
تعلمت أن توقف الحياة على قدميها
فهل تستطيع ان تفلق الحبة ؟
حبة واحدة لاطعام عشرة صفار ؟

أيتها الحياة

ماجد أمجد

مرتد يا الاسمال ، وقدماي ! عالقتان بالوحل
أقف ببابك منتظرًا ، أيتها الحياة !
متضرعاً ومنهكا
مرتد يا الاسمال وقدماي عالقتان بالوحل
يا ضوء عالم القش والشوك !
أيتها الحياة !

* * *

بابك ، ومن خلل النوافذ الشبكية
استمع إلى جوقة الضحكات المكتومة
ملتحمة بدفعه الحياة
وغارقة في رنين الكؤوس
مع سلسلة من الأحاديث الدافئة !
وهنا ، خارجا ، في الشارع

ارتدي الاسماك وقدم اي عالقتان بالطين ،
انا ، قلب لحظة يخفق
باصداء ظلمة عالمين
ایتها الحياة !

* * *

كم من الظلال المترافقه
وراء ستارة بابك الوردية
كم من الظلال ، وكم من الصور
وكم من الاجساد الفارقة في الرقص
وانت يامن تسندين مرفقيك على مصفاة الايام
وتلصقين شفتيك على الكأس
تستمعين الى ايقاع العصور الراقصة
وتتراجع المسرات
وهسهسة الحجب
و «تشوم ، تشوم» - رنين - الخلاخيل ،
وهناك ، خارجا ، في الخلاء المفتوح
عاصفة ، اعصار لايرحم ،
ياعروس القلب !
زوارق نهاري وليلي تكاد تفرق
فتطلعني نحو
بعينيك الماكرتين
ایتها الحياة !

* * *

نجم

زاهر كشميري

انظروا الى هذا الميدان ، هنا القتال
انظروا الى هذا الميدان ، هنا القتال
تساقط السهام وتلويح السيوف
هذا الدخان ، هذا الشر ، هذه السلالس
الحياة تمر في منعطف

* * *

النجم القرمزي على وشك الظهور
وسط تلك الفراغات المجهولة
بشكل مباغت
سيفيف قلب كل ذرة
في أمناء قرمذية *

هابيل

ضياء جالندري

مع المذاق الاول للدم
كانت شفاه التراب مرّة ،
ذلك التراب الذي سقطت عليه
مثل قوس مكسورة .
أي سطوع نيراني توهج في عيني قابيل
اكان الحسد ام الشهوة ،
الفصب ام الكراهيّة ؟
ثم ، في دمي وجسدي
نزل ادراك اللمسة الاولى

من الكرب العاجز للفناء .
شجب لهب الرؤيا
وأزيلت آثار الصوت ،
كلها صارت ظواهر ارتعاش
في موجة الانفاس .
وجه الحبيبة ،
قلق الوجود
العيون الباكية
كلها راحت !

عيثا هنا الظما لدمي خلال اجيال
هو نار النمرود ، وهو صلف فرعون
كأس السم السائل هو
وهو الفاس والمشنة

وسيف « شيمير » وغمد « شانكيرز »
يسفك الدم هنا في آسيا ، وهناك في أفريقيا
والاليوم ، كل زاوية في فيتنام
عرضة لقذائفه .

وتقول قابيل :

نكهة قطرات دم هابيل
هي ذاتها في كل مكان
فالرائحة تسود العالم

هل سيظل هنا العبر قديري حتى القيامة ؟
وأي من أبدية نزعة قابيل اكتسبت ؟
وهل ستكون هذه النزعة قديري حتى القيامة ؟

انت وانا

محمد سافدار

انت وانا وهذه الجدران
مثقلون بالفبار
نخفق
مقلفين بالقشرة الدخانية لشروع صدمة
في طرف شبكة عنكبوت ترتعش .
سمات مرتعشة راجفة لجثث شاحبة
وانت
وانا
وهذه الجدران

البحر

محمد سافدار

هنا في العتمة ، في مجال الامواج الهادرة ،
يخلع وعيي ثوبه ذا الرغبات العارية من الاوراق
ويتجه نحو الفجر المتالق .
جمهرة من الخيول الشهوانية العنيفة الزئبقة
تبشر الرغوة
وتنشر الشرد على الامواج

* * *

لاضحكه على القيد ، لااضحكه على الصحراء
في الهدوء الابدي اللامحدود لهذه الروح .

شجرة الخرافات الدينية

منير نيازي

تتمايل الشجرة بانتشاء
لاتلمسها ! لاتلمسها ابدا .
دعها تتمايل
دعها مهجورة في عزلتها
دعها تتجول
في المدفن الابدي الرتيب
للنهار والليل
لاتقترب منها
فالموت ، كان دائما ثمرتها
فلتبق مهجورة في عزلتها
دعهما تتمايل
ودعها تتجول في المدفن الابدي الرتيب
للنهار والليل

المستقبل

جيلانی کارمان

في الزنزانة تناذيني أشعة الضوء
تهرب من اسر الموت وهيمنة القضبان الحديدية
والحجر المعتم
وتقرب مني .

تهمس لي بحنر : ماذا تريد ؟ الجنة ام النار ؟
وامواج بحرى خارج الزنزانة

تسع الصخور مرة اخرى في تلك اللحظة
فتبلی سند حياتي .
اشیح بوجهي عن روابط القرابة - شاطئي .
وكانني سید المعاير والجزر ، والذین ليسوا تحت
سيطرتي هي ايضا تحت نفوذی .
فاذما لم تعد أشعة الضوء لزيارة الزنزانة
فعلى القضبان الحديدية ، على اسر الموت ،
وعلى البصت
قد انقض علاماتي .
على العتمة ، التي هي في صميم بنية الليالي .
قد انقض تاريخ الايام والشهور والسنوات
التي تسربت من ذاکرتی
وظللت في ذكريات هبات الهواء في المرات
ولكن كلما نادتني أشعة الضوء
فأنا ، من طرف البحر الزنزانة
أتطلع مشتاقا الى صورة السموات .
كأنني طير قادم من الامداء الفسيحة
ومسكنی وراء الحدود
حيث بلدان كثيرة من الضوء
تعيش ، وستظل تعیش .
ولكنني ، من طرف القضبان الحديدية ،
سأظل انقض على رقعة العتمة
يوميات الزنزانة .

باب

سالم الرحمن

الليل !

وزفاق طويل مهجور ملفع بالضباب

باب بيت على الناصية مفتوح على مصراعيه :

درج ضيق طويل

وفي اسفله

مصابح مطفأ .

الشمس والمدينة

سالم الرحمن

سماء بلا لون تطل على النوافذ

اقواص ذاوية

ودخان نهار محترق :

على الاسلاك الكهربائية

حطت طيور بروؤوس محنية

الصمت العميق

هو صرخة العرب العريقة بين الشمس والمدينة

التي تركت الجميع ينسجون على عتبة الماء

لقد انسحبت الى الكهف المعتم

وعلى الرغم من اننا كنا الخاسرين دائما

ولكن برغبة الارض ذاتها .

سترث التراب على جراحنا

وخلال الليل سنعود الى الحياة .

العين اللاامعة ، والرمح في اليد ،
عند الفجر ستنادي الجميع
فيتحول كل الى ذرات
وعندها تنشرنا على مهارات المدينة

الليل

محمد سالم الرحمن

دعوني أخرج ، افتحوا الباب
الليل حalk ولكن نجم الامل ساطع
والليل هو الطريق .
يد ضبابية صغيرة من الرطوبة على الخدين
والريح تهب من الشمال
دون رحمة - ريح الوداع .
الصوت ثائر : اذهب .
ولنضع بين النظال في مناي الغبار
في عمي الريح .
في كل زاوية ، العالم نعسان على وشك النوم
في الفموض المبهم ، على وشك الاحتراق مثل شمعة
تنتهي عند مهارات الليل .
وعند آخر الليل ينام الغبار ايضا
وهي ذكريات نائمة
تحاورني بصوت مثقل عميق .
لا اضاءة في داخلي ،
لكنني باب النفس النعى
الذي ينفتح نحو نجمة الليل الصبورة

شجرة تين بلا ظل

اختاب إقبال شميم

عاصفة الصخب في المدن
ليست عابرة .
جسور الا صوات المهدمة
معابد الافكار الكريستالية
مزقة .
فيما أيها الاصدقاء المنسجمون
لا ي حلم تصوغون التأمين ؟
ولاي يوم تضربون رؤوسكم ؟
لطيفة جدران المدن
على ابواب البيوت الحجارة
هجمات النوات فاقدة البصر .
الحسد الخارج عن حدوده
يقتصب .
لهم تعد هي الحياة
عند الخروج من الزنزانة .
دخان المداخن ، رائحة الذخيرة
في كل باب من قضبان
ومشعلة * كل ازداء تضطرم
ايتها الاصدقاء المنسجمون
بهذه النفحات الطويلة
كيف ستطفئون النار
وكيف سترفعون بالقش
هذا الركام من الصور السوداء ؟

* المشعلة : نار تشعل في العراء

٢ - الشعر المكتوب بالإنكليزية

الوسام

توفيق رافت

حين وصلت البرقية
كنت أسرح شعري تحت الشمس
وأتحدث مع الخمر .
قالت البرقية إن الحكومة آسفة
فزوخي قد مات ، قتل في المعركة .
طوال يومين لم أفهم ماذا حدث
ثم اتبهت ألى صوت أمي في الغرفة المجاورة
يواسي جارة باكية
(كانها هي المبتلية)
وتريجيا عاد الوعي الكامل .
ليست ، للمرة الأولى ، كارملة
واكلت وجبيتي الأولى كارملة .
وحين استسلمت للتفكير فيه ،
وهو ممزق في حقل أرز
عظم فخذ هنا وعظمة صدر هناك
والبقية منحوحة للعقبان ،
طبعوا اسمه في الصحف
مع صورة من أيام عزوبيته .
لقد مات بطلا .
واحتشد الأصدقاء من جديد
وهذه المرة لكي يهنووا .

وسمعت والدي يتقبل ذلك بغم متعب ،
ودعيت انى حفل قدم لي فيه الجنرال وساما
وربت على راس ابني .

طوال اسبوع كامل كان الصغير
يطوف الاسواق والوسام على قميصه
والجيران يقدمون له الحلوى .
الوسام الان في علبة
وقد بدا يبهت شيئا فشيئا .

ماذا افعل به ؟
ليس للوسام يدان او شفنان او قضيب
انه بالضبط كما يبدو
مجرد قطعة اخرى من النحاس

بيت الحمقى

الامجيء هاشمي (اسلام اباد)

وماذا يعني لو عشت
في بيت صنمه حمقى ؟
في آخر بيت عشت فيه
ملئت الثقوب بمعجون الاسنان
وكان محكما حتى ان التنفس كان مهمة صعبة
ملاجئه من القذائف كانت رائعة
وتجعلك تحس بالجاهزية .
لهذا البيت جدران رطبة
(من النموع التي يسببها)
وتجمعت مستنقعي كل ثلاثة اشهر

افضل ما فيه ارضيته ، لأنها تنظف
فالرياح قد تهب من السقف
ومع ذلك

هل تستطيع تصور بيت بلا ارضية ؟
في مرجه الان زهارات لتحسين سمعته
لكن الشعب يظل ديناً متراكماً
والمياه المحطية تعطيه فرصة أخرى
والحشرات تعرفك دقيقة بعد دقيقة
إلى نفسك

الشمس تستطيع ان تقبل
رقبته ونقرته في الوقت ذاته
انا اسمية مكاناً يعيش فيه

صلوة

م . عطار طاهر

ليست هناك ،
اعرف ان لا حاجة لهذا ،
حاجة في الليلة العاصفة
ان اطلب أن ترني
السراط المستقيم
سراط الذين انعمت عليهم
غير المفضوب عليهم
ولا الضالين .
ولكن حين تصبح الريح
في شجرة المانغو

وشجرة الفرانجيباني
تعرض ثراءها الاصفر
اقول ذلك
ليس لكي اذكرك بي
بل لا ذكر نفسي بذلك
وبس .

أحلام مستقطبة

عائشة د . كمال

انصرف
على الوان
احلامي
على قماش لوحة .
حمراء هي عاطفتى المشبوبة .
وذهبى هو السحر
في جبى
وازرق صبرى
اما غيابك العجيب فأشهب .
لكنني تركت فراغا
- أبيض -
مثل النقطة الصفراء
في عين ليزا
تلك - لامبالاتك .
سانظر
دهورا
رغم اتنى لست ليوناردو

هو وهي

داؤود كمال

على الرغم من انهم ليسا حيوانين
وليس غرفتها قفصا
فانهما يظنان انهم يستطيعان
اغراق مخاوفهما
في سيولات الحب الحارة
هذيان الذهب الايض
على الجبال القصية -
ايقاع وحشى للمطر على الاسطح التنكية
والبرق يمزق الليل
مرة بعد اخرى .
الازقة تتحول الى سيول موحلة
عيناه انطفأتا
لكنه يتخيّل انه يراها
مثل هيكل فضي لسفينة
في مطاوي بحر مستحيل .
لاقمر
لكنهم لن ينسيا هذه الليلة
لن يتزرعه منها أحد الان -
ولا حتى سearارات الصيد في لحمه
التي يشدّها المد الاسود .
الجدران المجترة المتاملة
تكتم أنين المرأة .

عبرور جسر

داوود كمال

حتى لو كان الجسر
مايزال هناك
وما زلت أستطيع اجتيازه
فإن الجانب الآخر من النهر
سيظل الجانب الآخر .
هذه الكلمات أيضا
نوع من الجسر
ولكن سواء جلبتني إليك
أم جلبتك إلي
فإن الفد لن يحمل عباء اليوم .
ولنفترض أنني التفت بيأس
ومثل ثور موهنجو دارو -
باظلاف منفرزة في الوحل -
رحت أحدق نحو القمر بلامه -
هل سيخفف هذا من ألمي ؟
الغياب أكثر من ظل الورقة النازلة
على الوجه النائم للصخرة .
لكن الصخور لاتغبني
وليس هناك استعارة
للخسارة .

علاقة عابرة

كليم عمر

انا الان ميت ، ولكن منذ زمن طويل يا صغيرتي ،
حين كنت ما ازال حيا
رأيتك تنزلين الشارع
قرب الناحية التي يبيع فيها الصحف رجل أعمى
ومعه حقيبة مليئة بالخرداوات
وقميصك الازرق مفتوح عند الرقبة
واوقفتك بنظرة تهرنت عليها أياما .
نظرة تريد أن تقول :
أنت لا تستحقين وقتي

ولكن ان تصرفت بشكل مقبول ، سافكر في الامر -
انقلع ، قلت ، على الرغم من اني لم أنطق كلمة

* * *

في اليوم التالي ، رأيتك مرة أخرى ،
قرب الاطفائية .
كان الناس يركضون
وسيارات الاطفاء تنطلق
حرماء واثقة ،
الصفارات المنذرة تنطلق ، والاجراس تدق
ورجال يركرون الخوذات على رؤوسهم ،
كل شيء .
كنت تقفين هناك .

لم تكوني وحيدة .
ولم يعرف أحد أين العريق .
في ظاهر المدينة ، قال أحدهم
وسط المدينة ، قال آخر
ربما في المتحف .

الفن اللعين يحترق .
ربما بيتك ، يا ابن القحبة ،
لم لا تنتبه لكلامك .
انسحبت وأنا افكر
انني سأشتري الصحف غدا
لاعرف ماذا حدث .

بعد سنوات
التقيتك مرة أخرى
في حانوت .
او ربما واحدة تشبيهك
ربما -

لا ، لم الكذب
انها انت .
كنت تشترين فتائل
في رزمة بيضاء
مررت قريباً ببرود
لابن لك احتقاري
ثم وقفت قرب رف من السمك المعلب
لاري ان كنت قد انتبهت .

لم تنتبهي لشيء
ولم يكن لبقائي معنى
كان الشارع مليئاً بالمطر
حين غادرت العانوت .

* * *

كان هناك عدد من الناس
منحسرین في الداخل
تحت مظللات قماشية .
وقلت لنفسي !

الى الجحيم
سأعود الى الداخل
وأطلب سيارة تكسی بالهاتف ،
ثم غيرت رأيي
وقررت ان امشي .
عبرت الشارع وركبت القطار

* * *

آخر مرة
انت او قفتني
كان ابرديوم منذ سنوات
و كنت متلفعة فلم اعرفك
تقدمت وقلت :
لا . ليس انت مرة اخرى .
رغم اني لم اقل اي شيء ،

★ ★ ★

الشعر العربي في الهند

محمد سعيد الطريحي

بومباي

تعود جذور العلاقات العربية الهندية الى فجر التاريخ الا ان هذه العلاقات قد توطدت اكثراً بعد الفتح العربي الاسلامي للهند خلال النصف الثاني من القرن الاول الهجري! فقد وصل المسلمون العرب الى بلاد السند ثم بدأ علماء الطب والفلسفة والهيئة والتجمومن من الهند يسافرون الى الدولة العربية فترجمت الكثير من الكتب الهندية الى العربية ، وفي نفس الوقت كانت قوافل العلماء المسلمين تصل الى الهند من خراسان وببلاد فارس والعراق والحجاز واليمن وعمان وازداد اقبال الهند على الدخول في الاسلام افواجاً فأقيم مركز للعلوم الاسلامية في ملتان ، وفي عصر الدولة الفزنوية صارت لا هور مركزاً علمياً هاماً ، ولما فتح السلاطين الغوريون دهلي وما جاورها نالت دهلي نفس المكانة التي سبق ان تميزت بها بغداد او مصر او بخارى او سمرقند وبدأ الاقبال عليها من قبل العلماء من اهل خراسان وببلاد فارس والعراق والحجاز وتركيا وغيرها

فانتشروا في شتى أنحاء الهند المترامية الاطراف منهم على سبيل المثال : البدر الدمامي والخطيب الكازروني والعماد الطارمي وهم وصلوا الى مقاطعة كجرات الهندية من شيراز واليمن والججاز – وقد كتب القلقشندي في (صبح الاعشى) انه كانت هناك ألف مدرسة في دهلي وحدها في عصر السلطان تغلق ، والحقيقة ان هناكآلاف المدارس الأخرى التي انتشرت في بلاد شبه القارة الهندية ، وكل منها جها تعتمد على اللغة العربية وآدابها ، ولهذا فلا عجب ان نرى الكثير من النوازع في اللغة العربية وآدابها الذين تفتخر بهم تلك البلاد قديماً وحديثاً ، ومن هؤلاء على سبيل المثال : رضي الدين حسن الصفاني صاحب المعجم اللغوي الشهير « العباب الراخ » و « مشارق الانوار » ومرتضى الزبيدي البكريامي صاحب المعجم المعروف الذي لا يستغنى عنه قراء العربية وهو كتاب « تاج العروس في شرح القاموس ». والقاضي محمد أعلى التهانوي صاحب كتاب « كشاف اصطلاحات الفنون » وغيرهم من فطاحل العلماء ، والواقع ان اكثر النتاج العربي الذي اخرجته العقلية الهندية المسلمة ما يزال مخطوطاً محفوظاً في أقبية المكتبات العامة والخاصة المنتشرة في شتى أنحاء شبه القارة ولو اتيح لطبعه ونشره لظهرت المساهمات الهندية الكبيرة في مجال اللغة العربية وآدابها ، ولا ادل على هذا الاهتمام الكبير باللغة العربية في تلك البلدان من وجود عشرات الاقسام الخاصة بتدريس اللغة العربية في جامعاتها ففي الهند اليوم أكثر من عشرين قسماً خاصاً بالعربية يمنح الشهادات العليا حتى مرحلة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها .

وخلال المراحل التاريخية لل المسلمين في شبه القارة الهندية بُرِزَ الكثير من الشعراء الهنود في مجال الشعر العربي واشتهر أمرهم وأمتد صيتهم في الهند خاصة ولعل السيد غلام علي آزاد البكريامي هو أهم

شاعر هندي اجاد النظم باللغة العربية و حتى هذا النابفة ما يزال شعره مخطوطا مع الاسف ، وقد تجمعت لدى مجموعة كبيرة من اسماء اولئك الشعراء مع نماذج من شعرهم العربي ، نذكر هنا البعض منهم لندليل بها على حلقة معمورة من التراث العربي في البلاد الهندية التي احببت العرب ولغتهم حتى حد العشق ، وينشر هذه النماذج تلقي انتباه الدارسين العرب الى ضرورة متابعة ما كان يقوم به اخواننا من المسلمين الهنود من نشاط دؤوب و عمل كبير خدمة لفتنا و اثراء لثقافتنا .

مولانا احمد بن محمد التانيسري

نسبة الى تانيسر مدينة بين دلهي ولاهور ، ولد في دلهي ونشأ بها كان من أئمة الفقه والاصول والعربية ، هاجر الى مدينة كاليفيفا وتوفي عام ٨٢٠ هـ وكان شاعرا مفلقا باللغة العربية ومن قصائده الشهيرة الدالية التي يقول فيها :

وهاج لوعة قلبي التائه الكمد
حمامه صدحت من لاعج البد
ما بين مضطجع منهم ومستند
ولا خيال سرور دار في خلدي
وحبله كان فيينا غير منعقد
ولت سراعا على رغمي وتم تهد
الي اللوى وكان الحي لم تفدي
ولا وصول الى ذاك الحمى ييدي
وارحل الى السيد المختار من ادد
الي الصراط صراط غير ملتحد
سهل الفناء رحيب الباع والصفد

أطار لبى حنين الطائر الفرد
واذكرتني عهودا بالحمى سلفت
باتت تورقني والقوم قد هجعوا
ما زار طرف غمض بعد بعديكم
ليت الهوى لم يكن بيني وبينكم
كانت لنا لب ايمام وغرتها
كانه لم يكن بين الحمى انس
لاعيش بعد لثيلات اللوى رغدا
خل الاحاديث عن ليلي وجارتها
محمد احمد الهادي لامته
بر رؤوف رحيم سيد سند

والنفس والمال والاهلين والولد
وطال شوقي الى لقياك يا سندي
يا لهف نفسي اذا ما كنت لم افدي
فليس غيرك يا مولاي ملتحدي
على النبي نبى الحق والرشد
احبهم شففا في الفيسبوك والعناد
ربى الفلا فكساها حلة القشد
غض الارومدة مخضسل ومتبد

افديك بالروح واتقلب المشوق معا
قد عاقني البعض عن مرمى اؤمله
ارجو الوفادة في ارض حللت بها
عطفا علي ورفقا بي ومرحمة
يا رب صل وسلم دائمًا ابدا
وصحبه وذويه الطاهرين ومن
ملاح برق وما سج الفمام على
وما تفرد غريد على فتن

القاضي عبد المقتدر بن القاضي محمود ركن الدين بن سليمان
الكندي الدهلوبي ،

ينتهي نسبه الى القاضي شريح بن العارث الكندي التابعى قاضى
الكوفة فى عهدي عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب . نزح جده سليمان
فى عهد قطب الدين الخلجي فولي القضاء فى المالك الشمالية من الهند ،
فاشتغل بها وسكن ببلدة تهانيسير ، نشأ فى الهند ودرس فيها على جملة
من الافضل ثم اختص بالصوفى الشهير فى عصره نصير الدين محمود بن
يعسى بن عبد اللطيف الحسينى اليزدي المتوفى سنة ٧٥٧ هـ واخذ عنه
الطريقة الجشتية .

توفي القاضي عبد المقتدر فى السادس والعشرين من المحرم سنة ٧٩١ هـ
وعمره ثمان وثمانون سنة ، وضريحه في دهلي ، وكان من الشعراء الممتازين
باللغة العربية ، تشهد عليه قصيده اللامية التي تعرف بلامية الهند
وجملة أبياتها ٩١ وقد حذا فيها صاحبها حذو العرب العرباء ونسج على
منوالهم فأتى بأحسن ما يقال ، وهذه مختارات منها :

سلم على دار سلمى وابك ثم سل
صيد الاسود بحسن الدل والنجل
حتى يجبيك عنهم شاهد الطل
اطلالها مثل اجفان بلا مقل
بيتا من القلب معمورا بلا حول
واجود في الخود مثل البخل في الرجل
فرقا جليا بعظام انساق والكفيل
احلى من الامن عند الخائف والوجل
بالبيض والسمرا على من ذرى الجبل
والذئب في كسل وانقوم في شغل
له براهن كانسأة التبدل

يا سائق الطعن في الاسحار والاصل
عن القباء التي من دأبها ابدا
وعن ملوك كرام قد مضوا قددا
اصبحت اذا بعثت عنها كوابعها
فدى فؤادي اعرابية سكنت
بخيلة بوصال المستهام بها
كانها ظبية لكن بينهما
خيالها عند من يهوى زيارتها
كيف اسبيل ايتها بعد ان حفظت
طرفتها فجاة والتليل في جدل
قالت: لك اتويل هلا خفت من اسد

مسعود بن سعد بن سلمان اللاهوري

شاعر كبير نظم باللغات العربية والفارسية والهندية ، اصله من
همدان ، خرج أبوه سعد بن سلمان منها الى الهند وورد (لاہور) في دولة
السلطين الفزيوية ولازم منهم السلطان ابراهيم المتوفى سنة ٤٨١ هـ ،
وكان مسعود من نداء سيف الدين محمود بن السلطان ابراهيم وقويت
صلة به حتى وشى به عند سيف الدين فحبسه ومكث في السجن عشرين
سنة حتى توسط له ثقة الملك المشكاني فأفرج عنه وبقي حيا حتى
سنة ٥١٥ هـ .

اورد الوطواط في (حدائق السحر) بعض اشعاره العربية منها
قصيدة رائعة مطلعها :
ثق بالحسام فعهدك ميمون واركب وقل للنصر كن فيكون

ومن شعره قوله :

وليس لها نحو المشارق مرجع
على العين غربان من الجو وقع
من الهم منجاة وفي الصبر مفرع
فهل ممكنا ان الفراولة تطلع

وليل كان الشمس ضلت مهرها
نظرت ائمه والظلمام كانه
فقلت لقلبي طال نيلي وتبس لي
ارى ذنب السرحان في انجو طالعا

ومن شعره ايضا قطعة في امثلة ذي القافيتين ، جاء فيها :

يا ليلة اظلمت علينا	ليلاء قاربة الدجنة
قد ركضت في الدجى علينا	دهماء خدارية الاعنة
فبت اقتاسها فكانت	جلبي نهارية الاجنة

هذا الوزن يسمى بالملح (قاربة) منسوبة الى القار ، وهو القبر (الدجنة) بضم التاء وبكسرتين الظلمة (دهم) جمع أدهم ، وهو الفرس الاسود اللون . (خدارية) بضم الخاء المعجمة ، شديد السوداد . (الاجنة) جمع جنین وهو الولد في البطن قال الوطواط بعد ذكر هذه الابيات : قاربة وخدارية ونهارية ، قافية أولى ، ودجنة واعنة واجنة ، قافية ثانية .

السيد عبد الجليل البلكريامي

هو السيد عبد الجليل بن السيد احمد الحسيني الواسطي البلكريامي يرجع نسبه لزيد الشهيد رضي الله عنه ، ولد في ١٣ شوال سنة ١٠٧١ هـ في بلكرام ، ومن اشهر اساتذته السيد مبارك الحسيني الواسطي البلكريامي المتوفى سنة ١١١٥ هـ والشيخ غلام نقشبند ، وكان يجيد الالسنة الاربعة العربية والفارسية والتركية والهنديّة ، وانشأ في كل منها اشعاراً ممتازة . اجتمع بالسيد علي خان صاحب كتاب (سلافة العصر) في اورنوك آباد فكتب عنه الاخير في كتابه المذكور ومما ذكره عنه :

والله ما رأيت لهذا السيد بالهند نظيرًا ، لما ألقاه في خمائل الادب
غصناً نضيرًا . . . سافر من الوطن الى الدكن ولازم السلطان اورنگ زیب
فقلده عملاً ادارياً في بلدة كجرات سنة 1110 هـ ثم قلد عمل بلدة بکر
وببلدة سیوستان من بلاد السند (الباكستان الحالية) سنة 1116 هـ .
وفي سنة 1126 هـ عاد منها الى شاه جهان آباد ولازم السلطان فرخ سیر
ونظم تاريخ جلوس هذا السلطان بما يلي :

قد تولى فرخ سیر ملك هند وله من عون القديم اعتلاء
فاكتبنا تاريخه من کلام صمدي يورثها من يشاء

وفي سنة 1130 هـ استعنى عن الخدمات ليتفرغ لنفسه وفي سنة
1132 هـ ارتحل الى مسقط رأسه (بلکرام) حتى وفاته في ۲۳ ربیع
الآخر سنة 1138 هـ .

ومن شعره قوله :

يا صاح لا تم المتيئم في الهوى
بابی التدواء سقامه کعیونه

ولما فتح السلطان اورنچ زیب قلعة ستاره من مشاهير قلاع الدکن
في وسط الهند سنة 1110 هـ قال مؤرخاً :

رب السماوات في تأييد اسلام
لو رد ياقادرا فتاح اکمام
حصناً لمن عبدوا احجار اصنام
رقمًا على سنة من مد ابهام
للناظرين ، فيبا للمعجز السامي
عبد الجليل بتائييدات الهمام
ما توجه سلطان الانام الى
اقر ابهامه في اصل خنصره
فصادر حين افتتاح الاسم مفتتحاً
وجدتهن نظام الفتح حينئذ
له للک يد بيضاء قد نزعت
هذا البديع من التاريخ انشاه

محمد عرفان بن يوسف البريلوي الطوكي

ولد في طوك ١٢٦٥ هـ وبهامات سنة ١٣٣٢ هـ وبعد من علماء طوك
وأدبائها وشعرائها فمن شعره :

يصاحبها الاقبال والنصر دائمًا
ولا زلت في نعماء ربك سالما
فأصبح مخدوماً وأصبحت خادماً
تعظمه قلباً وتكرم عالماً
وتنصر مظلوماً وجدت وظالماً

بقيت بعزم واقتدار وامرة
بقيت بروح تلائم وراحة
نراك تقوى الدين من بعد ضعفه
تقدم حكم الشرع ما اسْطَعْت دائمًا
وتأخذ للمظلوم من كل ظالم

ندير أحمد بن سعادت علي البجوردي التهلوبي

ولد سنة ١٢٤٧ هـ في بجور ودخل دهلي سنة ١٢٥٨ هـ ودرس
بها على كبار الأساتذة ، وتعلم الانكليزية ، تولى بعض الاقطاعيات في بلاد
الدكن حتى أحالته على المعاش فرجع إلى دهلي واعتزل في بيته حتى
وفاته سنة ١٣٣٠ هـ . ومن أعماله المشهورة ترجمته للقرآن الكريم إلى
اللغة الاوردية ، وكتاب (مايفنيك في الصرف) في علم التصريف ، وله
روايات أخلاقية منها : مرآة العروس ، وبنات النعش ، وتبوية النصوح
وغيرها ، ومن شعره :

لكل واقعة أو حادث سبباً
بين أخلائق والدنيا تن غلباً
وان للناس في تسليطهم نوياً
والعلم أكبر ما أعطى وما وهباً
لولاهما لقينا اتكد والنسباً

الله قدر في الدنيا بحكمته
الامر والحكم أيام مداولة
الحرب ترفع أقواماً وتحفظهم
وربنا الله لا تختص موهبته
بالعلم كرمنا والعقل فضلنا

السيد علي صدر الدين بن الامير احمد نظام الدين بن السيد محمد
معصوم المتنبي :

ينتهي نسبة بزید الشهید بن علی بن الحسین بن علی بن ابی طالب
علیه السلام .

ولد بالمدينة المنورة الیلة السبت الخامس عشر من جمادی الاولی
سنة ١٠٥٢ هـ وأمه كریمة العلامۃ الشیخ احمد المنوفی امام الشافعیۃ فی
الحجاز ، هاجر الى الهند سنة ١٠٦٦ هـ بطلب من والده الذي كان يشغل
وظيفة نائب السلطان عبد الله قطب شاه (من سلسلة ملوك الدولة القطب
شاهیة المؤسسة فی حیدر آباد الوکن) . وبوفاة السلطان المذکور تغلب ابو
الحسن تاناشاہ ففرض على السيد علي صدر الدين وعلى أبيه الاقامة
الجريئة ومات الاب في الحجر سنة ١٠٨٦ هـ وعنده شعر الابن بمؤامرة
تدبر لقتله فهرب الى برهان بور متتحققا بالسلطان محمد اورنك زیب ،
وارسل ابو الحسن في طلبه اناسا فجدوا فيه ولم يلحقوا به ، والیه يشير
السيد علي بقوله :

وھبوا الجیاد اسماجات نیلتحقوا
کما خاب من قد بات منهم علی وعد

ولما تقدم السن بالسلطان المذکور وأصبحت أخلاقه لاتطاق وجد
السيد علي خان (والخان لقب خلقه عليه هذا السلطان نفسه) انه غير
 قادر على القيام بواجبات وظيفته - رئاسة الديوان في البلاط - فسمى
جاهدا للعودۃ الى الحجاز وبعد لای تمكن من استحصال الاذن بالسفر
بحجة أداء فريضة الحج فسافر هو وعائلته سنة ١١١٤ هـ ، فوصل مكة
المكرمة - وهو ينوي الاقامة في الحجاز - ولما حل الموسم أدى فريضة الحج
ثم قصد المدينة لزيارة قبر النبي ﷺ وتحرى الوضع في المدينتین المذکورتين
فوجد كل شيء فيهما قد تغير ولا يکاد يعرف أحدا من الناس بعد غیاب

□ الشعر العربي في الهند □

دام (٤٨ سنة) ، فواصل سفره الى العراق وزار العتبات المقدسة ثم غادرها الى ايران وأدرك في اصفهان السلطان حسين الصفوي فلم يجد منه ما كان يرقبه من الالتفات فذهب الى موطن آبائه شيراز ، وأقام بالمدرسة المنصورية واتم ما بقي من عمره في افاده طلبة العلم.

وتوفي سنة ١١١٧ هـ ، وخلف مؤلفات كثيرة منها :

- ١ - سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر (مطبوع) .
- ٢ - أنوار الربيع في انواع البديع - طبع مرتين والثانية بتحقيق شاكر هادي شكر .
- ٣ - رحلته المسماة سلوة الغريب واسوة الاريب (مطبوعة) .
- ٤ - الدرجات الرفيعة - طبع منه جزء واحد في التجف .
- ٥ - رياض السالكين في شرح الصحيفة السجادية طبع عدة مرات.
- ٦ - الحدائق الندية في شرح الصمدية للشيخ بهاء الدين العالمي (مطبوع) .
- ٧ - ديوان شعر ، يضم بن دفتيه حوالي خمسة آلاف بيت حققه ونشره الاستاذ شاكر هادي شكر .

ومن شعره قوله :

لكن دم القتلى على الاسياف
ومن البديع تشابه الاطراف

ليس احمرار نحاظه من علة
قالوا تشابه طرفه وبناته

وقوله :

وفاز بما يرجو مشوق وشائق
بلغت المني هنا العذيب وبفارق
ايكتسب هنا الصبح، والصبح صادق
وهل نفتح بالمسك قط الحدائق

وما التقينا بالغوير عشية
تبسم من اهوى فقلت لصاحب
والاح فقال الصبح هذا تبلغني
وفاح فقال انروض نافح عبقي

متى أزهرت فوق الرماح الشقائق
لواحظه نولا السهام الرواشق
ولكن من أهوى على الكل فائق

لم يسوق الا بحد البيض والاسل
له انهادية من علم ومن عمل
واسخنت اعين الاملاك والرسل
ومستضافا قليلا انخيل والخول
واصبح الدين منها عاثر الامل
وأوجعت قلب خير الاوصياء علي

وماس فقال الرمح تلك معاطفي
وابدى لحاظا اقسم الريم انها
وكلهم قد كاد يحكى مشبها

وله في رثاء الحسين بن علي :

نفسي انفداء مقتول على ظما
نفسي انفداء له من هائل هلكت
قررت به اعين الاعداء شامتة
افديه مستنصرًا قد قل ناصره
يا صرعة صرعت شم الانوف بها
قد انكللت بضفة المختار فاطمة

السيد محمد مهدي بن نوروز على الحسيني البريلوي المصطفى آبادي
 علامة كبير ، وفقيه نحرير ، ولد ونشأ في مصطفى آباد ودخل لكهنو
 في صباح فقرأ العلم على السيد حامد حسين صاحب عبقات الانوار وعلى
 الفتى محمد عباس التستري وصاحب الاخير برهة من الزمن حتى برع
 في الانشاء والشعر وكان الفتى التستري يفتخر به ويقول انه اصدق خل
 من بطانتي وأوثق سهم في كتابتي ، له : الكواكب الدربية - مجموع في
 الشعر والنشر ، ومن شعره رائيا استاذة التستري :

عفت من رياح عاصفات زعزع
وما غاب من آثارها غير راجع
فأظعنهم تباً له من مخداع
وما قصروا في ذاك قيد الاكارع
فقىءه نبيه قائم الليل خاضع

قف بديار دارسات بلا قع
طلول علوم او حشتها يد الفنا
لقد لعب النهر المشت بأهلها
فجحنا بقوم شيدوا دين ربهم
ولا سيما جسر فصيح ومغلق

وله من قصيدة اسمها (شقائق النعمان) :

فترفقاً بانهائِي المشتاق
نحو الغري على متون عشق
أثر الجوى بالندمع المهرّاق
فمنيت بالاَقلّاق والايْرّاق
شتت فاضحى في اشد وثاق

طار الكرى من بينكم آماقي
يا حبنا يوم تحملتم به
يوم تحملتم وفي وجناكم
فحشاي قد أودعتم جمر الفضا
منوا على المأسور بالهند التي

السيد طفيلي محمد بن السيد شكر الله الحسيني الاترولي :
ولد في اترولي (قصبة من توابع اكبر آباد وهي الان من اعمال
على كره) .

وانطلق الى شاه جهان آباد فتتلمذ فيها على السيد حسن الملقب
برسول نما الدلهوي وكان من مشاهير الصوفية ثم ارحل وهو ابن
خمس عشرة سنة في عام ١٠٨٨ هـ الى بلكرام وفيها درس على السيد
مربي بن عبد النبي الحسيني البلكرامي المتوفى ١١١٧ هـ وعلى الحافظ
السيد سعد الله بن مرتضى الحسيني الواسطي البلكرامي المتوفى
١١١٩ هـ وغيرهم من العلماء حتى بُرِز اسمه وامتد صيته كأحد علماء
الهند وكانت وفاته سنة ١١٥١ هـ . ومن رثاه السيد غلام علي آزاد
البلكرامي ومنها قوله :

فاسود يومي كأحداق اليعافير
وخلفونا كأمثال التصاویر
غنى الحداة باقسام المزامير
يا حادي انعيس رفقاً بالقوارير
وتسبك الماء عيني كالنواعير
كالطيب يزداد من سحق العقاقير

يا للاجحة ساروا في التباشير
نحن الجسوم هم الا روح فارتلوا
لقد اجبنا بأنواع الدموع متى
كم من قلوب رقاد اثر عيسهم
احوم حول فؤادي وهو مسكنهم
لئن نحلت فقد زادت مودتهم

وكان السيد طفيل محمد من اشعراء باللغة العربية فمن شعره قوله:
 بمهجتي غادة قاتت نجاراتها شخص أراه خليعاً فارغ أبال
 يحوم كل أوان حول مشربتي أني لاقتني في أسرع الحال
 (المشربة) بضم الراء ، الفرفة والعلية والصفة .

وقوله موريا :

جلست عن التوصيف روضة رامة
 ينبعان في أورادها اقسام
 لا يدخلن الجنة النمام
 وغدروت عن نمامها متعجبًا
 وقوله :

قلنا لها عينك النجلاء باخلة
 فيها الرنو الى العشاق مفقود
 وفي الاناث طريق البخل محمود
 فقالت انفرين قد جاءت مؤنسة

السيد ناصر حسين بن حامد حسين بن المفتى محمد قلي الحسيني
 الموسوي الكهنوبي :

علامة كبير مشهور من كبار اعلام الهند المعاصرین ولد سنة ١٢٨٤ هـ
 في لكمي ودرس على والده وعلى المفتى التستري . له مصنفات كثيرة
 منها ديوان الشعر ، وديوان الخطب ، وكتاب الايثار الشهبية في المنشآت
 العربية ونفحات الازهار في فضائل الائمة الاطهار في زهاء ستة عشر مجلداً
 كما عمل على اكمال كتاب والده (عقبات الانوار) ، ومن شعره :

حان الرئيس بعيدة وعتاد
 وأتى بعيد اعظم الاعياد
 قد عطرت ميدا نباس خريدة
 ادنى ملابسها صبيغ الجادي
 قد اطربت بورودها وزهورها
 وبكل غصن للصبا مياد
 قد صابها الوسمى ثم وليهما
 من بعد ما سقيت بصوب عهاد
 لا غزو تو طربت وغنت انه
 يوم أتى بالحظ والاسعاد

وله من قصيدة في مدح الامام امertonى وهي المسماة بالبرد المغوف:

من ناحل صب كثيب مدنف
ترنو بلحظ كائصوارم مرهف
عجاله لهم بحتف متنف
عفراء لونا ذات قد اهيف
اذ ارسلت طيفا بليل مغضف
اهنى واشهى كاحتسماء انقرق
سدحت بذلك فصار كالمترشف
وبكى انطلول بحرقة لانتظفي
يحكى زفير امرمض المتلوف
والآن تكسى بالظلمام المسدف
ظللت شرائعها كأرض حرشف

وجف الفؤاد بلذع حب معنف
كلف بخالسة القلوب خربة
فتاكه بنفوس ارباب الهوى
قهرا ووجهها في تحنيس شعرها
اصمت له قلبا معنى بالجوى
قد بات فيه يهدى ريقا سلسا
من بعد جفوتها وطول صدورها
هذا سلوت عن الصبو انى الدمى
فلقد اسفت على انلاوم تأسفا
كانوا نها كانشمس يقبس نورها
زالت دعائمها وخر اساسها

السيد محمد بن السيد عبد الجليل الحسيني الواسطي البكرامي:

ولد في الرابع عشر من شهر ربيع الاول سنة ١١٠١ هـ في بلكرام وتتلمذ على السيد طفيل محمد الاترولوى وعلى والده السيد عبد الجليل البكرامي (المترجم سابقا) ، وعمل للسلطان فرخ سير في سيوستان وغيرها من البلاد الهندية ، وحين وصل نادر شاه الى بلاد السند ، رجع الى وطنه بلكرام مكتبا على التدريس والتأليف حتى وفاته في ٨ شعبان سنة ١١٨٥ هـ في بستانه الواقع في محمود نكر من ضواحي بلكرام ، ومن جملة تصانيفه «الجزء الاشرف من كتاب المستطرف»، ومما جاء في مدح صاحب الترجمة قول معاصره السيد غلام علي البكرامي من قصيدة :

ذو الرتبة اعليها محمد الذي
ناهت بعنصره اشرف مناصب
خائي واستاذي واثمد مقتلي
حفت على الملوک منه مواهب

ولد لوالده المكرم نائب
ليث على اسد المعارض غالب
مالا منها فقط صبح كاذب
وكان السيد محمد البكرامي - المترجم له - شاعراً فمن شعره
قوله موريما :

صنت عن عارضي بلا صنه
وتركت الهوى بلا صنه
قال لي لا ترد ريحه أنا
انه خارج من الجنة
وفيه تلميح الى حديث : (اذا اعطي احدكم الريحان فلا يرده فانه
خرج من الجنة) وقوله :

بروحي سلمى قد اتنى كرامه
لقد ذقت من فيها مزيد حلاوة
واسعدي فيها زمان مبشر
نعم شفتها سكر ومكرر
وقوله :

قالت فتاة نسلمي يا صويجي
قالت تعجب لان يحبك مكتبه

طلا محمد بن القاضي محمد حسن اليشاوري الافغاني :

كان من علماء الهند واصله من بيت علم معروف في افغانستان
وكان متوليا بديوان الانشاء في كلكته ، ومن كتبه : نشاء الطرف في اشواق
العرب ، ومن شعره :

ومهجهتي من لهيب الوجود في حرق
لباء في شنب كحلاء في الحق
سبحان من خلق الانسان من علق
سرادق انتيل قد سيطرت على الفلق
راح سليمي فقلبي اليوم في قلق
علياء في نسب غيءاء في طرب
اذا بنت في اناس قال قائلهم
كانها النصب في نور وفودتها

وله أيضا من قصيدة :

بدمع غزير في الصبابات سائل
واقفرها بالقطر تسکاب وابل
سقتكن وسمى الحيا بالهواطل

قفا برياض الشعب خير المنازل
لنبك ربوعا شتت اتبين اهلها
ايا سمرات انحي من ارض حاجز

عبد الحميد بن احمد الله بن الهي بخشى الهاشمي الصادقوري
العظيم آبادى :

ولد سنة ١٢٤٥ هـ في عظيم آباد ودرس العلوم الدينية والערבية
والطبية ، وبرز في العلوم الحكمية والمعارف الادبية ، توفي سنة ١٣٢٣ هـ
ومن شعره :

توارث فيهم علم وجود
من الاقطار وافاهم وفود
لكل مصيبة خصوا ونودوا
نطيعهم العساكر والجنود
وترتعد الهزابر والفهمود
يرق لنا المعاند والحسود

فوا اسفا ونحن بنو كرام
وهم قد سخروا شرقا وغربا
وقد كانوا ملاذ الناس طرا
وقد كانوا اولى طول وملوك
وتخضع عند رؤيتهم رقاب
فصرنا نحن في وهن وهون

عبد الرحمن بن جهجو الغازيبوري :

ولد سنة ١٢٨١ هـ ، وكان من الافضل ومن شعره :

والعين تنرف والرؤاد جريح
او ما ترى ورق الاراك ينسوح
الا ويغنى بالجوى ويطروح
ان قيل جودي بالوصال شحيم

ظفت سليمى فالسرور قبيح
الصبر في يوم الفراق محرم
ساموت تبرجا وما من عاشق
لا عيب فيها غير ان فؤادها

ذو الفقار علي بن فتح علي الحنفي الديوبندي :

من الشيوخ الفضلاء ، ولد بديوبند ، ودرس في دلهي ، وعمل مفتشاً في المدارس الحكومية ومن مصنفاته شرح ديوان الحماسة وشرح ديوان المتنبي وشرح المعلقات السبع وكلها بالاردو ، ومن شعره في مدح السلطان عبد الحميد :

الىك عنی فانی عنک فی شفل
من آم تصبہ سهام الاعین النجل
وقد ارقت بدمع سائل همل
قلبی جریحا بجرح غیر مندل

یا قاسی انقلب یامن تعج فی عذلی
وکیف تعرف حال المستهم آیا
نام الخلیون فی خفچ وفی دعے
رنست الی بعینی جوذر فگدا

السيد سليمان بن أبي الحسن الحسيني الزيدى الدسنوى الندوى:
ولد في سنة ١٣٠٢ هـ ، بقرية من أعمال بهار وأصبح فيما بعد من كبار العلماء في الهند وشارك مولانا أبو الكلام في تحرير صحيفة الهلال وعمل مدرساً في كلية يونا ، وتولى رئاسة تحرير مجلة المعارف وشارك في كثير من الأحداث السياسية المتعلقة بمصير بلاده وزار لندن وباريس والقاهرة وافغانستان ، ومنحته جامعة علي كره الاسلامية ، الدكتوراه الفخرية في الآداب سنة ١٣٦٢ هـ كما اختير عضواً في مجمع فؤاد الأول في مصر ، وكان له مؤلفات عديدة ، وقد توفي في ربيع الآخر سنة ١٣٧٣ هـ ، ومن شعره يصف الفروب :

خمر معتقة شجت لمفتبيق
وبل من هذه الصهباء لم يدق
الى السماء باقداح من الحدق
والكأس تطفو به لا الشمس في الشفق

گأنما الشفق المتد في الافق
كف الطبيعة تسقى انناس اکؤسها
تحسو القلوب حميها اذا نظرت
دن من التهوة انصهباء في الافق

والشمس وجه حبيب بالحجاب يقى
قد ذاب عسجدها وانتج في طرق
يوما فسال دم جار من العنق
وتبره ليله المستور بالفسق

بل انه برقع قان له شيء
بل انما الشمس للصواغ بوتفة
بل انما الشمس من اعمارنا قتلت
فذلك الشفق المحر من دمه

السيد حامد حسين بن الحسين الحسيني الفيض آبادي :

كان من العلماء الاعلام ولد سنة ١٢٨٧ هـ ولازم السيد حامد
حسين بن محمد قلي الكنتوري وكان يملأ عليه مصنفاته ثم قرأ على السيد
ناصر حسين بن حامد حسين وبرع في الادب والتاريخ والسير وله ديوان
باللغة العربية ، ومن شعره :

ردinya وسعادا ثم ليلاها
ومطلع الفجر يبدو عن محياتها
لا يستفيق ولا يصحو سكاراها
وجد ومن طرب في حب مولاها
فيه ولادة نور منبني طه
مولاي خيربني الدنيا واذكاهما
وذى الرواية صحت فاعتقدناها

ما لللاح أرى سعدي وسلمهاها
فليلة القدر تحكي عن غدائها
مثل القوارير للصهباء أعينها
أرى زهور رياض قد تفتق من
طوبى لشهر أتانا واسمها رجب
أعني به حيدرا في المهد عهد صبي
هو الذي كان بيت الله مولده

الشيخ حيدر حسين اللكنوی :

كان من العلماء والاطباء ، ولد ونشأ بلکھنؤ Locknow وقرأ على
المقتصي عباس التستري ولازم الحكيم مظفر حسين ثم ولي بدار الشفاء
السلطاني بمدينة لکھنؤ ، ومن شعره :

خدنا صديقا ساكنا بفؤادي
اورى ضرام الوجد في الاكباد
فلقاء اشهى مقصدي ووداد

من مبلغ عنني سلام وداد
ملك انفؤاد وداده وفراقه
ارجو الاهي ان ييسر وصله

السيد حيدر علي الرضوي :

من العلماء المجتهدين ، تللمذ على والده وعلى الفتى التستري وكان من أخص تلاميذه ، عينه النواب لطف علي خان البتني اماما للجامعة والجماعة عنده ، وكان يقضي نصف السنة في لكتنؤ ونصفها في بنته PATNA عاصمة بيهار ودرس في المدرسة الایمانية بلكتنؤ، وله عدة مصنفات وديوان شعر باللغة العربية ومنه :

اسرت بسجن بعد في دار غربة
اقلب جنبي في المضاجع كربة
احس بصدرى نار وجد تأججت
وكلت الى الله اموري جميعها

بـه رق لي انسان عيني باكيا
بدمع سكيب احمر اللون قانيا
نوائرها قد كاد تحرق باليها
رضيت به فليقض ما كان قاضيا

اسحاق بن ابراهيم الحنفي القنوجي :

ولد ونشأ في قنوج وتعلم في دیوبند ثم سافر الى بهوبال وتقرب الى النواب صديق حسن خان القنوجي فجعله عاملًا على ضيعة من اعمال بهوبال ، ومن شعره العربي :

بشرى فردوس النشاط قداز هرا
والارض كالاطلال محضة خضرة
ما للحدائق اخرجت اثقالها

واهتز عنقود المنى فتنورا
فاذ اذا تسمس عاد يوماً مقمرا
تشکو طلاها الياسمين وعبرا

السيد اعجاز احمد بن عبدالباري الحسيني النقوي :

كان من العلماء الصالحين ، ولد سنة ١٢٩٤ هـ . عمل في التدريس وتنقل في عدة بلدان مثل بهوبال وفيض آباد وسولي ، وحين احيل على المعاش سنة ١٣٦٤ هـ اعتزل في وطنه منقطعا الى المطالعة والتصنيف وكان وفاته في ١٠ شعبان سنة ١٣٨٢ هـ بسبسوان ومن مصنفاته :

□ الشعر العربي في الهند □

تسليمة الفواد بترجمة بانت سعاد ، وتوقيع الفرندي في تذكرة أدباء الهند ، ورشحات الكرم في شرح فصوص الحكم ، وله ديوان شعر باللغة الوردية وآخر باللغة العربية ومنه قوله :

ومهالكا كالهائم المتشوق
فلقيت آمالني بوجهه مشرق
وتركتها سخطا لظاهر رونق

قد جبت في طلب العلوم مفاوزا
كم من أذى وسط افلاة سئمه
نمرتني الدنيا كثيرا بانفسي

انور شاه بن معظم شاه الحسيني الحنفي الكشميري :

من كبار علماء عصره ولد في كشمير ١٢٩٢ هـ ودرس في وطنه وفي الديوبند ثم هاجر إلى الحجاز سنة ١٣٢٣ هـ فاسند الحديث هناك عن الشيخ حسين بن محمد الجسر الطرابلسي ثم رجع إلى الهند وأقام في الديوبند ثم انتقل إلى كجرات عميداً للجامعة الإسلامية ووافاه الأجل في ٢ صفر سنة ١٣٥٢ هـ له عدة كتب وتعليقات بعضها مطبوع ومن شعره :

بمرأى من عراد او بهار
وريما عند محى من قطار
حياة للبراري والقفار
بأنفاس تطيب بها الصحاري

قف يا صاحبي عن السفار
يسير بنشرها نفحات انس
يفيض لروحها رشحات قيس
وقد عادت صباحا من رباهما

محمد يوسف بن السيد محمد اشرف الحسيني الواسطي البلكرامي :

معاصر للسيد غلام علي آزاد ، ولد في ٢١ شوال سنة ١١١٦ هـ وتوفي في ٢ جمادي الآخرة سنة ١١٧٢ هـ وارخ وفاته السيد آزاد بقوله:
مات حبر الزمان يوسفنا
وله راحة وريحان
قال قلبي : عليه رضوان
اذ تقاضيت عام رحلته

وكان محمد يوسف من الشعراء بالعربية فمن ذلك قوله يصف
بستاناً :

لاحت لنا روضة راقت مياسمها
وعارضت في السنابق برق اليعاليل
فلا تخل تلك اوراداً بسمن بها
هي المصابيح في حمر القناديل
وله تأليف منها كتاب : الفرع النابت من اصل الثابت . في علم
التوحيد .

احمد بن عبد القادر الجيتكر الشافعي الكوكتني :

ولد في ١٥ شعبان سنة ١٢٧٢ هـ ، وكان بارعاً في كثير من العلوم
ال كالحكمة والطب والفنون الادبية ، توفي في ٢٠ محرم سنة ١٣٢٠ هـ في
يومباي وله قصائد كثيرة ومن ذلك قوله من قصيدة نبوية :

سلام صب سليم انهم والالم
يطفي لظى لاعج في القلب مضطربم
روح المحبين يحيى ميت النسم
ارعى النجوم حليف الوجد والسم
ذكر العقيق وذكر البان والعلم
ما زاده خفقانا بسارق الظلم
أن هب دفع جرت من رقمتي اضم
لو ذقت لذة كأس اتحب لم تلم
العشاق يفعل فعل اتزبت في الضرم
ان فتن عيني بدمي وهو عين دمي
اللحسن والآلام والندم
من الرسول شفيع رحمة الامم
سر الوجود وعن الجود والكرم

يا شوق بلغ ألى جيران دي سلم
واستمطرن من ندى الطافهم شبما
وقل لهم ارسلوا طيفا فطيفهم
لولاهم ما كلات الليل مكتئبا
ولا جرى دمع عيني كالعقيق على
لولا اضطراب فؤادي من مياسمهم
ولا صبا القلب أو هاج البكا وصبا
يا لأنمي وشراب الحب أسكرنسي
الست تعلم ان المثل في مهج
هوى سرى في دمي قدما فلا عجب
يا ليت شعري لم الخلاق انساني
هبني ذنبي قد جمت أليس لها
محمد بهجة الدارين نورهما

عبد الغفور الدانابوري :

هو من الافاضل ، عاش في القرن الرابع عشر الهجري ومن شعره :

لو عنة البين تشوننا وتصلينا
تحكي نسيم الصبا اعضاها لينا
ثانية بسهام العين ترمينا
والفرع يحتكى سوادا من لياليتنا
صدت فسلت لنا سيفا وسكنينا

بانت سليمى فما شيء يسلينا
غيداء فانسة هيفاء ناعمة
شمس اذا طلعت برق اذا برزت
خود غدائها طافت انى قسم
مائت اتينا فوتت بعدهما ركت

عبد القادر البكري العيدر آبادي :

ولد سنة ١٢٨٨ هـ ، وكان استاذًا في الجامعة العثمانية في حيدرآباد

— الدكن وله مصنفات في التفسير والتصوف والادب ومن شعره :

والغم عم وحبل الصبر ينفص
وأنصدر فيه جوى وأنثار تضطرم
المصطفى المجتبى طابت له الشيم
تبعد نجوم اللياني حين يتسم
فالهند ضاقت وزاد انهم والائم

جد انهوى وانجوى وانسقى والالم
الجسم فيه فنى وانقلب فيه هوى
حبا لاحمد خير الخلق كلهم
الشمس غرته والليل طرته
يا سيدى يا رسول الله خذ بيدي

المفتى عبد الله بن صابر علي الحنفي الطوكي :

ولد في طوك ، ولي التدريس بدھلي ثم في كلية العلوم الشرقية
بلاهور فالمدرسة العالمية بكلكته ، توفي في بهوبال ، وترك عدة تعليقات
ومصنفات ، ومن شعره :

واخضرت الانجادات والاغوار
فزكى النجوم واوشع الاشجار
قبسات نار فوقهن اوار

طاب الاصليل وطابت الاسحار
در انفهم على الخمائل والربى
فشقائق اننعمان تحسب انها

الشيخ عبد الله بن عبد القادر الحيتكر الشافعي الكوكتني :

المتوفي في بلدة بومباي سنة ١٣٢٥ هـ ، رأيت ديوانه العربي بخطه في مكتبة مسجد جامع ببومباي وفيه ما يقرب من ثلاثين قصيدة ومن ذلك ما أنشأه عام ١٣٢١ هـ :

دع ذكر ربنا الكلل
وذر الصباية والفنزيل
القلب مشغول فما
للعشق فيه من عمل
والعمر اقصر مدة
والسوق يمضي بالعمل
ما الدين الا النصح
والىه الوفق للعمل

عبد المنعم الجاتكامي :

درس في كلكته وعمل مدرساً في مدرسة (دكا) عاصمة بنغلاديش اليوم ثم مديرًا للمدرسة المحسنية في (دكا) له عدة مصنفات بالعربية ومنها ديوان شعر ، جاء فيه من قصيدة في رسول الله (ص) :

اليك رسول الله اهدي ثنائيا
وابغي به قريبا وان كنت نائيا
وما خاب مستسق اتي البحر صاديا
اتيتك ارجو من نوالك رشحة

وله من قصيدة أخرى :

يا ليت لي بمراطع الآرام
من نزلة تطفي اضطرام غرامي
كانوا الضياء وفارقوا فيقاعهم
بعد الضياء تبرقت بظلام
نار الجوى بجوانحى وعظامي
رحلا وقد سلبو المقول وأضرموا

مات سنة ١٣٣٣ هـ .

□ الشعر العربي في الهند □

السيد علي بن أبي الحسن التستري الحيدر آبادي :

كان من الاطباء المشهورين بالهند ، عمل لدى ملوك الدكن ولقبه صاحب الدكن بسلطان العلماء ، مات بحيدر آباد في ذي القعدة سنة ١٣٢٤ هـ ومن قصائده ما أرسله إلى النواب صديق حسن القنوجي :

أمير الهند ليس له نظير
له العليا نديم أو سمير
متى رتق المهام هو الوزير
خوال وهي ملائى اذ تسير
وهل من مثله فيها أمير

امير في الامارة لا يضاهى
هو السلطان في بهويسال الا
اليه تشتد من عرب رحال

علي نعمة بن عناية رسول الجعفري البهلواري :

ولد سنة ١٢٧٢ في بهلواري من أعمال عظيم آباد من بيت علم معروف فيها وكان يعمل ويعتقد بالحديث الشريف ولا يقلد أحداً من الأئمة ،
ومن شعره :

أسفي على طلل درسن معاليه
طوراً أحنّ وتارة ابكي اذا
قد ضل عقلي في الهوى حتى بدا
مات سنة ١٣٣١ هـ .
مثها جرت هنداته وفواطمه
تبكي لهن بندي الاراك حمامته
ما كنت أخفيه وما أنا كاتمه

فييفي الحسن بن علي بخش القرشي الحنفي السهار نبوري :

كان من علماء اللغة العربية في الهند ، صرف عمره في الدرس والافادة في رامبور ودهلي ولاهور وله تصانيف كثيرة منها : شرح ديوان الحماسة وكتاب في الانساب وأيام العرب وحاشية على تفسير البيضاوي وديوان شعر ومنه قصيدة في ذكر الحرب العثمانية الروسية سنة ١٢٩٤ هـ جاء فيها :

ولا طبيب ولا آس ولا راق
ولا نديم ولا كأس ولا ساق

ماي بذى الارض من والر ولا واق
ولا حميم ولا جار ولا سكن

وفيها :

ولا يعودون في شيء باخفاق
لا يجسرون لدى قوم باطراق
ولا يزالون في جود وانفاق

قوم اذا ماغزوا فازوا ببغيتهم
فتیان صدق اولوا بآس ذوو كرم
جادوا بامواتهم جادوا بأنفسهم

كفاية الله عنابة الن الحنفي الدهلوi :

ولد سنة ١٢٩٢ هـ في شاه جهان بور ، وكان من العلماء النابهين
المجاهدين ساهم في الحركة الوطنية الإسلامية في الهند وسجن مرتين ،
وتزعم وقد جمعية العلماء لحضور المؤتمر الإسلامي في الحجاز سنة ١٣٤٤ هـ
وحضر مؤتمر فلسطين بالقاهرة سنة ١٣٥٧ هـ . وله مصنفات وديوان
شعر ، ومنه قوله مخاطباً محمود حسن الديوبندي وكان اسيراً في مالطة:

ثوى بك من محا آثار كفر
خمولاً غير معروف بنكر
منضرة من التقوى وذكر
وازهار المزايا خير زهر
وينصرك التصريح أعز نصر
الا يا مانطة طوي وبرى
ولم تلك قبله الا خراباً
فلما حلها عادت رياضاً
مكللة بازهار المزايا
سينزلسك العزيز محل عز

محمد بن احمد الطوكي :

ولد في طوك سنة ١٢٧٣ هـ وطوف في بلاد شتى وكان عالماً ماهراً
توفي سنة ١٣١٤ هـ ومن تصانيفه شرح ديوان المتني ، والدراسة الواقية
في العروض والقافية ، ومن شعره :

□ الشعر العربي في الهند □

وشوقي تلقياكم مقيمي ومقدمي
وان يرتفضى نوما بجفن مسهد
انوب بنadar في الحشا متوفد

هو اكم بقلبي والجوى في تمدي
ابى القلب ان يسلو الاحبة صابرًا
الى كم اقاسي شدة من فراقكم

محمد بن حسين بن محسن الانصاري الخزرجي اتسعدي اليماني:

من الادباء المشهورين ولد في الحديدة باليمن سنة ١٢٧٣ هـ ومات بالهند سنة ١٣٤٤ هـ نشأ ودرس باليمن وهاجر الى الهند فاقام بها حتى وفاته وله مصنفات منها : الطرز الموشى بفوائد الانشا ، والمورد الصافي في العروض والقوافي ، والنور الساطع المقتبس من محاسن البدر الطالع ومن شعره :

فانا وجدنا في المغاني لها مفنى
فانا سمعنا في الاغاني لها لحنا
لقد طبتما عيشا بعيش هو الاهنى
فعنها رويت اتلطف نطفا لم معنى
ومهجته حرى وقتب له مضنى

دعها اذا غنت على اتروضة الغنا
وقولا لحادي العيس فليحمد السرى
وقولا لغزلان اتنقاء لك البقا
ولا تسألا غير الصبا عن صباتي
سرت وعليل انطرف لا يعرف الكرى

محمد بن محمد هادي اترمذى اتحسينى الكالبوى :

ولد في كالبى ودرس في بلدته وكانبور وغازى بور ولاهور وأصبح من مدرسي العربية المهرة في الهند ثم اقام في اجين مدرسا مدة عمره ومن شعره في مدح النبي ﷺ :

ام ارتدى علقا او البس الشفقا
يارب سهل ويسر كيف ما اتفقا
وبنس دون عزاء انقلب من عشقا
اجفانه ذرفت والقلب قد خفقا
لم يترك الحب الا روحه رمقما

ماذا على بدمع خالط العلقا
اخترت حبا ونم ادرك عواقبه
بنس الذي هو دون العشق مصطبر
ما بال صب وكتم الحب مقصد
ماذا يفيض ملام الناس في دجل

محمد طيب بن محمد صالح الكاتب المكي الرامبوري :

كان من العلماء والمحدثين قدم الهند في شبابه ثم اقام بها مدة عمره ، وكان مقره في رامبور حتى وفاته عام ١٣٣٤ هـ ، من كتبه : كتاب المكالمة في اللغة الدارجة ، وكتاب الحسن والاحسن ، القبسة في الفنون الخمسة (في علم البلاغة العربية) ومن شعره :

تقنعت بدمي شمس بلا شفق فهل الشمس الضحى ياصاح من شفق
فتانة كلما تفتر عن برد تبسم العشق عن نار وعن ارق
وكلما كتبت اقلام بانتها سحرا يحدث حرف العين بالرشق
فكلا طفل دمعي شد مذرة جسي استحال وعظمي صاد كالعلق

السيد محمد باقر بن السيد علي بن السيد صفدر الرضوي الكشميي الكنهوي :

يتصل نسبة بالامام محمد بن علي التقى الجواد ولد في لكتهño سنة ١٢٨٥ هـ وأخذ العلم عن شيوخ الهند في عصره حتى اشتهر أمره بالاجتهاد وشاع ذكره في الاقطار وهاجر الى النجف وأجيز من علمائها بالاجتهاد وبعد قضائه مدة هناك رجع الى الهند وأصبح من مراجعها وتوفي في اثناء زيارته الى كربلاء بالعراق في ١٦ شعبان ١٣٤٦ هـ ، وله ديوان شعر كبير وعدة مصنفات في الفقه والسيرة والعقائد والتاريخ ومنها كتاب (اسداء الرغاب في مسألة الحجاب) في جزئين طبع في النجف سنة ١٣٤٧ هـ ، ومن شعره قوله مفتخرًا :

وانى لمن قوم كان حلومهم لدى الوزن امثال الجبال الشواهد
هم خير حي من قريش علمته لهم اوجه بيض وببيض الخلائق
ومنا النبي الابطحي محمدنبي اتى بالوحى من عند خالق

واكرم من يعلو متون السوابق
قناة وارعاهم ذمام المياضق
وأجمعهم للمكرمات السوابق
وأفلق نلهامات من كل فائق
واطعنهم بالرمج بين الفيالق
وأهدرها محمرة كالشقائق
بصفين امثال السبيل الدوافق
مصالحت اضحوا كاننصول اندوابق
ومن حاسر صهامة فوق عائق
ومن ضارب هام انعداوة وفالق
مداريك وتر بانخفاف اندوانق

ومنا علي خير من وطء الحصى
واندى انورى كفا واطول غالب
واعظمهم علما وحطما ومخرا
واقتلاهم تلقن يوم كريمه
واضربهم باتسيف في كل مفرك
وكم اورد اثرايات بيضا خوافقا
وما كف حتى قد جرى من دمائهم
واصحابه شم الانوف مساعر
فمن دارع شاكى انسلاح مدجع
ومن طاعن صدر انكمة برمجه
مطاعين في الهيجا مطاعيم في القرى

ومن قصيدة ته راثيا استاذة شيخ انشريعة الاصبهاني :

ان كان قوض عزها وخيمها
فحصون دين الله هد دعامتها
قد جب غاربها وجب سلامتها
فبنوا انشريعة كلهم ايتامها

من لشريعة والفرى مقامها
ان كان فتح الله اغلق بابه
والملة البيضا تضعضع ركناها
غدت الشريعة بانشريعة ثاكلة

* * *

نظرالاسلام:

شاعر البنغال الذي شارك طاغور مجده الشعري

دائرة المعارف الهندية

محمد سعيد الطريحي

الشاعر البنغالي غازي نظر الاسلام هو الوحيد من معاصرى الشاعر الشهير (طاغور) الذى استطاع التخلص من نفوذ طاغور و هيمنته على الادب البنغالى ، واستطاع بقدراته الشعرية ان يحتل مكانة كبيرة الى جانبه فقد امتد صيت « نظر الاسلام » في أيام طاغور نفسه ، اذ كان من اكبر الشعراء الذين اودعوا شعلة المقاومة الاسلامية في الادب البنغالى وكان ابدا يدعو الى الوحدة الاسلامية و حفل شعره بالمدح لlama العربية والتفني بامجادها وما ثرها ، ويتميز شعره بالاصالة والعنوية وبالنظرة الانسانية العالمية، وليس هناك شاعر بنغالي آخر استطاع حتى الان التفوق عليه بالاصالة في قرض الشعر وحسن الاداء . واستفاد في سبيل ذلك من دراسته للغتين العربية والفارسية وهذه ميزة يتميز بها عن معاصره (طاغور) الذى كان يسيطر في زمانه على حياة الادب في شبه القارة و مع ذلك استطاع (نظر الاسلام) ان يشاركه مجده الشعري وان ينفرد

□ نظر الاسلام □

بشخصيته الادبية ولم يسمح لتعاليم طاغور لان تؤثر عليه . وكان منبع الهم الشاعرين مختلفاً الواحد عن الآخر ، كان الهم طاغور نابعاً من نظرته : « صورة المرح ليست الا ظاهرة من ظواهر الخلود » وكانت عظمة طاغور تتركز في الكشف عن هذه الصورة في كل شيء ، في المنازعات وفي الآلام وحتى في الكوارث ، أما نظر الاسلام فكان يستلهم افكاره من (الثورة) ، وفي حين كان طاغور يرى أمامه صورة (المرح) كان نظر الاسلام يتطلع الى صورة (القوة) . وكانت اشعار نظر الاسلام كلها تدور حول القوة والحياة ولذة النضال والآلام ، ثم راح يكتب اشعاراً عاطفية كما أخذ ينظم القصائد التي تمجد الحرية والتحرر من جميع القيود .

لحنة من حياته :

ولد نظر الاسلام في ٢٤ ايار سنة ١٨٩٩ لعائلة متوسطة الحال تقيم في قرية (شوروليما) من قضاء (بورداون) ، وقد أطلق عليه أهله لقب (دو كوميه) أي (عاشق الحزن) . ولما شب عن الطوق راح يذرع القرية يميناً وشمالاً ، ومات أبوه عندما كان الشاعر في الثامنة من العمر وبهذه الفجيعة فقد شاعرنا المورد الوحيد الذي كان يرتزق منه ، ومن هنا بدأ صراعه المريض مع الحياة فعمل مساعدًا لخباز ثم معلماً ثم ممثلاً ثم شيخاً في مسجد ثم طباخاً وأدى هذه الاعمال بقدرة وكفاءة وفي نفس الوقت كان يتبع دراسته وحتى بلوغه التاسعة عشرة من العمر وبينما كان يدرس في المدرسة الثانوية ، انخرط فجأة في صفوف الجيش واختير في الفرقة البنغالية رقم ٤٩ التي كانت مرابطة في ذلك الحين في كراتشي عاصمة ولاية السند الباكستانية الحالية ، وكانت جميع كتاباته آنذاك تحمل توقيع « الجندي نظر الاسلام » . وخلال هذه الفترة درس آثار عمر الخيام

و حافظ الشيرازي ، و ترجم ديوان حافظ الى اللغة البنغالية . وهنا وجد الناس في نظر الاسلام مادة أدبية طيبة ، وما ان سرت فرقته عام ١٩١٩ حتى عاد الى كلكتا ليرى نفسه وقد احتل مكانة أدبية مرموقة خاصة بعد ان نشر قصيده (الثائر) عام ١٩٢٢ وقصته المسماة (ترجمة حياة متشرد) التي نشرتها في ذلك الحين اكبر جريدة أدبية في كلكتا وكانت مفاجأة للجميع لما كان يشف عنه من ذكاء و عبرية ، وفي أوائل العشرينات كانت هناك حركات سياسية كبيرة في شبه القارة الهندية وسرعان ما اندمج نظر الاسلام في هذه الحركات وراح يشير كوانمن النفوس بشعره ونشره الملتهبين ، واشترك في هذه الفترة في تحرير صحيفة يومية اسمها (نقایوح) وآخرى نصف شهرية اسمها (دومکیتو) ، وكان طبيعيا ان ينظر اليه المستعمرون نظرة خوف وخشية وكان ان قبضوا عليه بتهمة اثاره الفتنة وادعوه السجن ، وفي المحكمة التي قدموه اليها قرا بيانا اسماه (بيان سجين سياسي) ولا يزال يعد حتى يومنا هذا قطعة رائعة من ادب السياسة ، ورغم دفاعه القوي وكلماته البليفة التي كانت تجلجل في قاعة المحكمة أدين وحكم عليه بالسجن سنة ، وأمضى الشاعر مدة سجنه في نظم القصيد وفي رفع عقيرته بالفناء مما ضائق السلطات وجعلها تفرض عليه عقوبة جديدة ، فأضرب الشاعر عن تناول الطعام وبقي صائما ٤٩ يوما ، لم يجد في اغرائه على العودة الى تناول الاكل توصلات اهله وعشيرته ، وفيهم امه ، وآخر اجتماع خلق كثير من الناس في كلكتا وأنابوا عنهم وفدا يمثل المدينة ، قصد السجن ونجح في ان يجعله يعدل عن هذا الصيام الذي كاد يودي بحياته ، وقضى نظر الاسلام في سجنه عاما خرج بعده ليتزوج من سيدة كانت ثانية زوجاته ، أما زوجته الاولى فكانت قبل ذلك بثلاث سنين .

□ نظر الاسلام □

ظل اسم هذا الشاعر متألقا في سماء الادب البنغالي كالنجم المنير
عشرين سنة ثم مالت انطفأ كما ينطفئ الشهاب فداهمه المرض
عام ١٩٤٣ فاوهن جسمه ولم يرق بعقله ، فدعا هذا البلبل الصداح
هيكلها ضعيفا وصار صوته الرنان الى خفوت وهمس ، وانحنت قامته
واعوج عوده بعد ان كان فارها منتصبا ، وحياة الشاعر الادبية وان لم
تطل الا انها كانت عريضة ، استطاع فيها بالهامه وعقربيته ان يملأ تاريخ
الادب البنغالي بالكثير من نتاجه ، حتى ليعدون له من القطع الصغيرة
المusicية التي يتغنى بها اهل بنغلاديش اكثر من ثلاثة آلاف قطعة .

ونظر الاسلام في هذا يشبه الى حد كبير الشاعرين البريطانيين كيتس
وشللي اللذين لم يصدحا على فن الشعر والادب الا خمس عشرة سنة.

ولم يكن اثر نظر الاسلام منصبا على الادب وحسب بل كان اثره
ظاهرا في سياسة بلاده ، فقد وجه كثيرا من شعره الى شحد همة بني
قومه وحثهم على النهوض فكرييا وسياسيا . كان يقوله لهم في كثير من
الاحيان في لهجة قوية ولغة ثائرة ، كثيرا ما كانت تشير عليه غضب الحكومة
المحتلة ، مما كان يؤدي الى مصادرة اشعاره والحلولة دونها والناس .

ولم يكن اهتمام نظر الاسلام منصبا على اهل بلده وحسب ، بل
كان يتبع احوال الاسلام والمسلمين انى وجدوا ، بل والشرق والشريقيين ،
وكان قلبه ينبض بما ينبض به قلب كل شرقي ، ونقدم له فيما يلي
قصيدتيه اللتين نظمها في (سعد زغلول) وفي (خالد بن الوليد) نقلهما
شعراء الى العربية الشيخ الصاوي على شعلان :

(سعد زغلول) :

في الدياجي عند باب المشرق
رذء مصر في الهلال المشرق
كان كالنيل انقضى بتأثير
أرضه حائمة كالطائر
ماله ثار على شطائه
وتوارى الصبح في اشجانه
شجر اودى به ذاك الشرر
وسكون البحر باندمع انتشر
بسمات العحور في النيل السعيد
اصبحت في مأتم البدر الشهيد
ليس لي علم متى يوم النشور
وانا الساعنة في يوم عسير
يا لصبح بعد نور اظلماء
كيد فرعون انقضى لكنما
يا زعيم النيل ريفا وصعيدا
نحن ما كنا لفرعون شهودا
نحن من يوم الى يوم نرى
مدنیات بها انظم سرى
اقبل الايمان بالنصر القريب
كان هنا الشرق في ليل عصیب

□ نظر الإسلام □

تامر الافلاك او تلقى عصاك
فاستجاب الله للشرق نداك
قلب افريقيا وآسيا بالفناء
 فهو في الضعف يخيف الاقواء
آمناً من كل فرعون جديد
يا زعيم الشرق والنيل السعيد

لم تكن ياسعد في الدنيا نبيا
قد بعثت الحق في الشرق دويا
يأنشيدا سحرت الحانه
من تكن قوته ايمانه
يوم يحيى الشرق في ظل الاخاء
 فهو تاريخك في سفر البقاء

(خالد بن الوليد) :

والاليوم يوم عزيمة ومضاء
عين الصباح وسمع الامساء
وجرت عيون صخورها الصماء
ومضى السراب اللامع المترائي
حلم العلى في خيمة عزلاء
ريح السموم بزعزع نكبات
يا خالد الامجاد والعظماء
تعلسو برایة مجدهك الشماء
يرقبن عيد النصر في الهيجاء
فكانه الاصياع عند غناء
تقعا يطوق هامة الجوزاء
في المنهل القاني بحار دماء
حملة للملح في البيداء

من مبلغ عنى عزيمة خالد
ان الصحاري افزعت بنواحها
قد اينعت واحاتها بدموعها
تبكي على الماضي في حرق دمعها
هل بات قائدتها يداعب في الكرى
وجواده الرملي تعصف حوله
اهدي الفزال الى خلودك عطره
والنخل ما برحـتـ كـسـالـفـ عـهـدـهاـ
وبنـاتـ يـعـربـ صـائـمـاتـ بـالـحـمـىـ
يا لـجـمـالـ يـهـزـهاـ وـقـعـ انـطـخـىـ
ذـكـرـتـ قـوـافـلـ المـثـيرـةـ فـوـغـىـ
انـ فـاتـهـاـ مـاءـ اـلـرـوـيـ فـحـسـبـهاـ
كـانـتـ حـمـوتـهـاـ السـيـوـفـ وـتـمـ تـكـنـ

* * *

ديوان وادي سيناء

سار - وادي - سيناء

للشاعر فيض أحمد فيض

الاهداء

الى اليوم
الى رجع اليوم
الذى انتصب
مناهضا شجرة الحياة
غابة الاوراق الشاحبة
غابة الاوراق الشاحبة
التي هي وطني
وطني
حلقة مفرغة من الوجع
الى الحياة القاتمة
حياة موظفي المكاتب

* * *

الى القلوب والالسنة المتشقة
الى السعاة
الى سائقي العجلات
الى عمال القطارات
الى شباب المصانع
الجیاع .
الى ملك العالم ، والعالم الآخر
ولي عهد الله على الارض
الفلاح الذي سرقت بهائمه
وخطفت ابنته
وسلب الموظفون المتسخون
كل محسوله تقريبا
واستولت الحكومة على بقائه
الفلاح الذي تمزقت عمامته
وداستها أقدام الأغنياء
الى أولئك الامهات المعذبات
اللواتي يتضور اطفالهن جوعا
فهم يصرخون طوال الليل
وقد ارهقهم الارق
ثم هم يكتمون شقاءهم
خشية الا يكونوا موضع عطف وحنان

* * *

الى اولئك الحسان
اللواتي اصبحت عيونهن
ازهارا ذابلة
بعد ان ازدهرت دون جدوى
وراء الستائر والنواخذ
الى اولئك العوانس
اللواتي تملمت اجسادهن
فوق الاسرة الرتيبة
الى اولئك الارامل واولئك المداهنهات
في الاحياء الفقيرة
اللواتي اختار لهن القمر
الغبار المنس
عوضا عن الماء الطهور
واللواتي تضم ظلالهن
الصرخات والزفرات ،
وحناء الايدي
ورنين الدمالج
وعطور الشعر
والرائحة المحرقة
رائحة الصدور المترقبة

* * *

الى القراء
الذين مضوا
الى باب المعرفة

بالكتاب والقلم
ثم لم يلجموا الباب

* * *

الى الابرياء
الذين وهم في سنا جتهم
يحلون بفتائل مشاعلهم المرتعشة
فلما بلغوا ما هنالك
غروهم بالظلال العميقية
ظلال الليالي التي ليست لها نهاية

* * *

الى اولئك المساجين
الذين تحولت دموع الزمان
وهي تحرق في رياح
ليالي
السجون الصاخبة
تحولت الى نجوم

* * *

الى سفراء المستقبل
الذين صحووا بأنفسهم
في سبيل رسالتهم
مثل عطر
الازهار

* * *

آثار الدم

ما من مكان
ما من مكان فيه أثر للدم
لا على الايدي
لا على الاظافر
لا على ثياب المجرم
لا على نصل
الخنجر
ما من اثر
على الارض
على الشرفة
ما من مكان
ما من مكان فيه اثر للدم

* * *

لم يوضع في خدمة الملوك لكي
يعدوه غرامنة وفدية
لم يضع به على اعتاب الدين لكي
يعدوه قربانا
لم يسفك في ساحة المعركة
لكي يعدوه ثمينا
لم يطبع على الراية
لكي يعدوه وسام شرف

* * *

لقد صرخ في صوت عال
ودون نجدة
لم يرغب أحد في سماع
نداءات

الدم اليتيم
لا شاهد ، ولا رحيم
وانتهت المأساة
انه الدم

دم المعنين والمتبؤدين في الارض
يفوض في الارض
دون أن يترك اثرا

* * *

جدار الليل

جدار الليل
وانعكاس وجه
الصديقة
يمثلان أمامي
في سيل دمي
من أعماق قلبي
شوش الصبر الطويل
نظراتي

الجسد يتعب تعبا لا حد له
في مناقضات الرغبات

* * *

١٩٦٦

دعني أفكر

دعني أفكر
في هنا البستان
الذي أصبح صحراء جرداء
أي غصن فيه كان
أول غصن يزدهر ؟
أي غصن أضاع لونه
بعد عاصفة
الوجع

* * *

و قبل هنا وذاك
في أي وقت
وفي أي فصل
وقعت
مجاعة السم ؟
لقد سقطت
الازمنة الصعبة
على توهج الزهرة

* * *

دعني أفكر
دعني أفكر
في هذه المدينة
التي أصبحت
وادياً للموت
الذي كان أول واد يندلع فيه الحريق
والذي تلتفل سهم

الأشعة الحمراء
في شقوق مصاريعه
في اي مكان
اشعلوا الشمعة؟
دعني افكر

* * *

تسألني
عن مناخ وطن
ضاع
تاريه وجغرافيته
في متاهة الذاكرة
او لعلهم يتذكرون
كما يتذكرون حبيبة في الايام الفايرة
يتربدون في لقائهما

* * *

ولكن نعم . حدث من اجل الغزل
بامرأة حسناء
ان جاء من
يتحدث عن الليل
والآن وقد بلغت عتبة عمري
أين امضي الى لقاء قلب يدفعني الغزل
وما عساك تقول عن قلبي
دعني افكر

موسكو آذار (مارس) ١٩٦٧

* * *

أشعة شمس البعث

لا تسالوني اليوم
يا أصدقائي
إن كانت أيام الفرح بعيدة
أيام الصحكات
أيام الأغنيات
أيام الحب
وأيام عناق
الارض

* * *

لا تسالوني اليوم
يا أصدقائي
عن عدد الجراح
عن عدد الصحاري
عن عدد السهام
التي ما تزال على درب
قدرنا

* * *

اليوم
يوم العجز والوهن
يا أصدقائي
هكذا تمضي اليوم
يا أصدقائي
إشارات
الوجع القديمة
في اتجاه القلب

الابدي فوق الصنور
في انتظار صيحات السلام

* * *

لا تسألوني اليوم
يا أصدقائي
متى سوف تفطى الاعلام المزقة
اعلام دماتكم
شمس
البعث

* * *

متى سوف يعلو
بحر الدم
من اقصاه الى اقصاه
على وقع خطاكم
هذا البحر الذي سوف يفسل
وجع اليوم
او جماع ومظالم
جميع الايام

* * *

ما ابعد
أشعة
شمس البعث
لا تسألوني
يا أصدقائي

آذار (مارس) - نيسان (ابريل) ١٩٦٩

* * *

الليل ينطوي

ينطوي الليل
في مكان ما على الشرفة
أتراه شمعة
تلوب
أم تراه شيئاً يحترق
كالبخور
في قلبي؟
وانت
يا حياتي
تنهمقرين .

مايو (مايو) - حزيران (يونيو) ١٩٧٠

* * *

صوت جرس الزهرة الوحيد

في اللهفة الحرى
لهفة أن يستدعيني
صوت جرس الزهرة
الوحيد
يتشرد النسيم
في الصحراء
كما نتشرد نحن في كل مكان
في حمى
الجنون .

* * *

ليتخلوا عن اعتبارنا
رجالا عاقلين
نحن الذين ندرك
معنى الوجاع الحميمة
نحن الذين تلقى علينا الى الابد
اعباء الحب
نحن الاسرى المخلدون
في درب العشاق
نبسي
غمزة
عين العبيب
من اعماق الصحراء
امام الباب المفتوح
تحبي
مجلى نظراتك
امام الباب المغلق
لتتمس غيابك
ثم نمحى الى الابد

تموز (يوليو) ١٩٧٠

* * *

فهرس الديوان

المقدمة : لائق يبرى

١ - ديوان نقوش الشكاوى

٢١	تهبط ذكراك
٢٢	موسيقى الليل
٢٤	هذه الليلة
٢٥	منظر طبيعي
٢٦	صديقي
	لاتطلب شيئاً ياحببى الفالى
٢٩	حبيب الايام الفابرة
٣١	الى منافس
٣٥	الوحدة
٣٦	بضعة ايام اخرى
٣٩	الكلاب
٤١	تكلم
٤٣	إقبال
٤٦	قصيدتي
٤٩	من نحن
٥١	الدرب

٢ - ديوان أيدي النسيم

٥٣	دون قلم ولا ورق
٥٤	الى سياسي محترف
٥٦	فجر الاستقلال
٥٩	لا تسأليني
٦٠	نعومة يديها في النسيم
٦١	فصل الاغلال والسجن

□ وادي سيناء □

- | | |
|----|-------------------------------------|
| ٦٥ | في رماد الفروب |
| ٦٦ | حبيبان |
| | الى الطلاب |
| ٧١ | الذين ماتوا في معركة الحرية والسلام |
| ٧٤ | اضحي بحياتي لشوارعك |
| ٧٨ | مساء في السجن |
| ٨١ | صباح في السجن |
| ٨٥ | تخطر ذكراك في فكري |

٣ - ديوان دفتر السجن

- | | |
|-----|------------------------|
| ٨٨ | الموعد |
| ٩٢ | ايتها المدينة النور |
| ٩٤ | لتكتس الازهار بالالوان |
| ٩٥ | نحن الموتى |
| ٩٩ | النافذة |
| ١٠١ | الالم يتسلل بخطوات ذئب |
| ١٠٥ | عودي يا افريقيا |
| ١٠٧ | حساب الآمال |

٤ - ديوان اليد تحت الصخرة

- | | |
|-----|-----------------|
| ١١١ | قد يحدث ذات يوم |
| ١١٢ | مساء |
| ١١٤ | زائرتي |
| ١١٦ | توقف مطر الصخور |
| ١١٨ | أين تمضي |
| ١٢٠ | ابقي الى جنبي |

* * *

المساهمة الإسلامية في الموسيقى الهندستانية

بقلم: نجمة بزمين أحمد
ترجمة: خالد حداد

مرت الموسيقى الهندستانية ، خلال رحلتها الطويلة عبر التاريخ ، في مراحل كثيرة ، وتمثلت عدداً كبيراً من العوامل المؤثرة الخارجية . وعلى الرغم من هذه العوامل المؤثرة فقد حافظت الموسيقى الهندستانية دائماً على استمرارية عميقه ، واتساق متماسك ، وشخصية و هوية فريديتين . وقد تشربت في طياتها أفضل ما يمكن أن تقدمه العوامل المؤثرة الوافدة ، وجددت في هذه العملية شبابها مرة بعد مرة . وخلال فترة القرون الوسطى ، ومع مجيء المسلمين إلى الهند ، دخلت موسيقى الهند الشمالية عملية تحول ، حيث تمازجت فيها بصورة جميلة العوامل المؤثرة العربية والخارجية والآسيوية الوسطى . وتطورت في سياق هذه العملية أشكال وأساليب جديدة استمرت على قيد الحياة حتى إلى يومنا هذا .

* تعلم كاتبة المقال بالتدريس في جامعة دلهي ، وهي منشدة كلاسيكية ، وقد ألفت كتاباً حول الموسيقى الهندستانية .

□ المساهمة الإسلامية في الموسيقى الهندستانية □

ان الملاحظة العامة للسوق التاريخي تسيء فهم قدوم المسلمين مثلما تسيء فهم انتصار ثقافتهم وسيطرتها وتفوقها على الثقافة المحلية . وفي المصطلحات التاريخية يمكن ان يدعى هذا بالادرار الفاجع للتاريخ . أما الحقيقة فهي ان مرحلة اولية من الصراع والمجابهة كانت متبوعة بالتعايش والاعجاب المتبادل ، اللذين أديا في النهاية الى التفاعل والاستيعاب ، ليشكلما ما يعرف بالثقافة الهندية المركبة . وفي المجال الفني كان ثمة تمازج للافكار والتقنيات ، اما في مجال الموسيقى فان عملية التداخل كانت باللغة الكمال بحيث ان اي محاولة للقيام بوصف دقيق للعناصر المحلية والاجنبية ستكون عبئا لا طائل تحته . ان سلامة هذا الاستيعاب وفعاليته مبعدهما الى حد بعيد ان الموسيقى الهندستانية والموسيقى التي جاءت مع المسلمين كلتاها كانتا زمن الالتحام متطورتين بصورة كافية لكي تتألفا بشكل متناغم .

تستند الموسيقى الهندستانية ، التي تطورت نتيجة لمثل هذا التألف ، بشكل اساسي الى التقليد الهندي الفني وتفاعلاته مع العوامل المؤثرة الفارسية والغربية والآسيوية الوسطى . وهي في كلتا الحالتين عملية استمرارية اكثرا من ان تكون تغيرا مفاجئا . وقد تشربت الموسيقى المعروفة بالاسلامية واستوعلت عناصر ومقومات مختلفة من الصين حتى تونس، ومن ضمنها ايضا ما هو من الهند . وضمن التطور الاجمالي للموسيقى الهندية ، التي نمت وتطورت عن طريق الاقتباس الحر والتكيف مع المقومات المختلفة للآريين والخراسانيين والفارسيين والکوشيين ، كان استيعاب الموسيقى القادمة مع المسلمين الى الهند جزءا من سياق ظل مستمرا لعدة قرون .

من الصعب تتبع بداية التأثير الاسلامي على الثقافة والموسيقى الهندستين ، ولكن يمكن اعتبار فترة الفرون الوسطى التي رافقت توسيع

حكم أسرة « خلجي » في القرن الثالث عشر (١٢٩٠) فترة ذات أهمية . وكانت أسرة خلجي ، على الرغم من أصلها التركي ، تنتهي إلى عامة المسلمين الذين « تهندوا » تماما . وقد وطد علاء الدين خلجي (١٢٩٦ - ١٣١٦) الاسلام كقوة سياسية اتخذت شكل قوة دينية وثقافية خلال فترة حكم محمد بن تغلق (١٣٢٥ - ١٣٥١) . ومارس هذان السلطانان الكبيران ، على الرغم من سياستهما الحكومية الليبرالية ، تأثيرا عميقا على حياة الهند الثقافية . وكما أعلن ج . ل مهتا في كتابه « دراسة متقدمة في تاريخ الهند خلال القرون الوسطى » ، فإن القرن الرابع عشر ، الذي ينطوي حكم أسرتي خلجي وتغلق ، يشكل بذلك نقطة الانعطاف في تاريخ التطور الاجتماعي - الثقافي في الهند . وخلال هذه الفترة حل محل الصراع بين القوتين الثقافيتين فترة شلل أولا ، ثم فترة تسامح متتبادل . ورأس هذا تدريجيا مرحلة التفاعل ، والأخذ والعطاء بينهما ، ولم يمض وقت طويل حتى ولدت قوى جديدة أحذت التاليف بين التيارين الثقافيين . فقد أزدهر الامير خسرو ، أول ممثل بارز للمجتمع الهندي - المسلم ، خلال حكم السلطانين خلجي وتغلق .

استمر ازدهار الموسيقى في الهند خلال القرون الوسطى على الرغم من انتقال القوة السياسية إلى يد الاتراك والافغانيين والمغول . فقد كانت موضع رعاية واهتمام في البلاطات الامبراطورية للدلهي وأغرة ، وفي مراكز الممالك الاقليمية مثل المملكة الشرقية في جونبور ، ومملكة خلجي في ملوى ، ومملكة بهمن في بيجابور وغولكندة . ولم يكن تقلب مقادير الامبراطورية المغولية منعكسا بنفسه على ميدان الفن والثقافة . وخلال فترة أقولها كابد في العمارة والرسم والادب بصورة هامشية فقط في النوعية والإمتياز ، بينما بدأ أن الموسيقى قد حافظت على نشاطها وحيويتها ، وتابعت تمعتها بالشعبية والرعاية .

□ المساهمة الإسلامية في الموسيقى الهندستانية □

لم يهمل «بابور»، أول إمبراطور مغولي، الموسيقى على الرغم من اهتمامه أكثر بالآداب والبستانة. ولم يكن معجباً بالموسيقى فحسب، بل كانت لديه معرفة واسعة بها. وفي مذكراته ثمة شروح ممتعة حول «الحفلات الساحرة» الموسيقية وروعة ومهارة الموسيقيين الهنود وحسن أدائهم. وقد أورد أسماء عدّ من الموسيقيين البارزين في عصره من ضمنهم الشيخ غوران، والشيخ أدهان، والخواجة عبد الله مروري، وشيخي ناي، وشاه قولي، وغلام سعدي، ومير أنجو وكثيرون وغيرهم.

كذلك ورث «همايون» حب الموسيقى عن بابر. وكانت الجلسات الموسيقية تعقد في بلاطه كل اثنين وأربعاء، حيث يدعى غالبية الموسيقيين البارعين ويجري تكريمهم من قبل الإمبراطور. وكان الموسيقيون يلقون بـ «أهل المراد» ويعاملون باحترام شديد من الإمبراطور. ومن الموسيقيين المميزين في عصر همايون كان مير سيد علي، وبيازيه، وملا طاهر بخاري ومحمد جان، ورحمن قولي. ومن المعتقد أن الموسيقي الشهير بايجو كان أيضاً بين موسيقيي بلاط همايون لفترة قصيرة، كما ورد في كتاب «ميراث اسكندرى».

كما خلدت فترة حكم «أكبر» بعدد من الموسيقيين الكبار مثل تانس. وينظر أبو الفضل في «أين أكبر» الاهتمام المولع الذي يسبقه الإمبراطور على الموسيقى، والرعاية التي يمنحها للموسيقيين. كما تقدم قائمة شاملة بأسماء كل الموسيقيين. كما تقدّم قائمة شاملة بأسماء كل الموسيقيين المشهورين في ذلك العصر، وتتضمن بالإضافة إلى ميان تانسن أسماء مثل سوجان خان، وتنترنخ خان، وبيلاس خان، وباز بهادر، وبيرزاده الخراساني. كما ورد ذكر عدد كبير من العازفين والآلات الموسيقية التي اختصوا بها. ويصور أبو الفضل بصورة واضحة ولع «أكبر» بالموسيقى:

« يهتم جلالته كثيراً بالموسيقى ، وهو راعٍ لكل من يمارس هذا الفن الساحر . وثمة موسيقيون كثر في البلاط – هنود وأيرانيون وطورانيون وكشميريون ، رجال ونساء . وينتظم موسيقيو البلاط ضمن سبعة أقسام ، كل قسم لاحد ايام الاسبوع وعندما يعطي جلالته الامر فانهم يطلقون ريح التناغم المتداقة ، ويزيدون بذلك الشمل لدى البعض والصحو لدى الآخرين » .

خلال هذه الفترة قدم تانسن بعض النماذج اللحنية « راجا » المعروفة جيداً مثل درباري كنهراء ، وجوغيا ، وميان كي ملهار ، وميان كي تودي ، وميان كي سارانغ . وبصورة مماثلة ابدع ناياك بكشو ، وهو موسيقي من بلاط راجا منسنج في غالبور ، عدة نماذج لحنية « راجا » مثل بهادوري تودي ، نايكي كنهراء ، نايكي كليان ... الخ . كما كتب باشرافه عمل هام قيم عنوانه « راج ساغار » .

اما جهانجير فقد كان مفرماً بالاستماع الى « الدرو فاياد » و « الغزل » و « القوالي » . ومنح لقب اناندخان الى شوقي ، شاعر الغزل ، وزن استاذ محمد بالفضة واعطيت له الهدايا القيمة . وفي مذكراته كما في « اقبال نامه جيها نجيري » ثمة اسماء مذكورة لعدة موسيقيين بارزين ، مثل بيلاس خان وشاتار خان وخور مداد وماخو وهمجان .

كان ولع « شاه جيهان » الاول هو فن العمارة ، اما الموسيقى فقد استمرت في تلقي الرعاية الملكية . ومن بين الموسيقيين المذكورين خلال حكمه تبرز اسماء لال خان ، وجاغانات ، وديرانغ خان ، وبيلاس خان . وقد منح لان خان لقب « غونسا موندرا » من قبل الامبراطور . كما امر بوزن جاغانات وديرانغ خان بالفضة التي قدمت هدية لهما .

□ المساهمة الإسلامية في الموسيقى الهندستانية □

شهدت فترة حكم « أورنوك زيب » هبوطاً عاماً في النشاطات الثقافية وبشكل خاص في الموسيقى ، التي عانت من التوقف الناجم عن عدائه المعروف لها ، والمنبعث من موقفه الديني التقليدي والبيوريتاني . لكن اجراءاته القمعية فشلت في منع النبلاء وال العامة من الاستماع إلى الموسيقى . فقد كانت الموسيقى متأصلة عميقاً في حياة الهند و ثقافتها منذ الأزمنة القديمة بحيث لم تتأثر بشكل قاتل من الأوامر الامبراطورية لامبراطور متغصب ، مهما كانت قوته . وفي الحقيقة تسجل فترة حكم « أورنوك زيب » أكبر عدد من الاعمال المكتوبة عن الموسيقى . ومن المحتمل أن عشاق الموسيقى ، وقد منعوا من عزفها ، الجئوا إلى الكتابة عنها .

من المتمع الاشارة إلى أن سحر الموسيقى الهندية وجاذبيتها لم يلفت نظر البلاط الامبراطوري فحسب ، بل انها أصبحت أحد الملامح الرئيسية في الروتين اليومي للحياة بين المسلمين على جميع الأصعدة . أما المكانة الاجتماعية التي تتمتع بها الموسيقيون والجوائز والكافيات السخية التي تلقوها فقد ولدت قوة دافعة هائلة للموسيقى . وأصبحت المعرفة والمهارة الموسيقية مميزتين للثقافة . فهما الاسمي في البلاد ، حتى ان الحكام لم يشعروا بما يمنعهم عن الفناء بأنفسهم . وأداءات « محمد شاه رنجيلا » أشهر من أن توصف .

بعد توطيد الحكم الإسلامي في شمال الهند بدأ الصوفيون يغدون إلى الهند من بلاد آسيا الوسطى الإسلامية وبأعداد كبيرة . وفي القرن الحادي عشر قام صوفيون مشهورون ، مثل الشيخ اسماعيل (١٠٥) ، وشاه سلطان رومي (١٠٦٥) ، وعبد الله (١٠٦٥) ، وداتا غانج بكش (١٠٧٢) ، بنشر رسالة الحب والانسانية ، التي كانت الحاجة الماسة لتلك الفترة بالذات . ولعبت الموسيقى دوراً رئيسياً في تجمعاتهم كلها ،

□ المساهمة الإسلامية في الموسيقى الهندستانية □

كما كانت الجلسات الموسيقية الدورية المكثفة تعقد عند قبور الصوفيين والتي كان عدد كبير من الموسيقيين يشارك فيها .

ترك الصوفيون سمة تصعب ازالتها على الموسيقى الهندستانية وذلك عن طريق ابتكاراتهم ، التي أدت الى اشكال وأساليب جديدة . فقد آلفوا بمهارة الاسلوبين العربي والفارسي مع الموسيقى الهندستانية، واستخدموا ذلك كوسيلة لتوصيل رسالتهم حول الاخلاق والسمو الروحي الى الانسان العادي . ولايزال دورهم في تبسيط اشكال الموسيقى الكلاسيكية بين عامة الناس لا يضاهي، ولا تزال الاغانى التي ألغوها على نفس جاذبيتها وحيويتها اللتين كانتا خلال عصرهم .

وبين عدد من فرق الصوفيين في الهند، تظل الاجدر بالانتباهم مساهمة فرقتين منها في الموسيقى الهندية ، وهما الششتيبون والسهورديون . ويؤمن رائد فرقة الششتيبين ، خواجه معين الدين ششتى ، بأن الموسيقى غذاء للروح البشرية . وكان الشيخ قطب الدين بختيار كاكى ، احد مريدي معين الدين ششتى ، مولعا جدا بالموسيقى ، ويقال انه خلال حفلة موسيقية سقط في حالة من النشوة ومات ، في وقت مامن عام ١٢٣٥ . واستخدم خلفه ، بابا فريد الدين ، الموسيقى كوسيلة لنشر الفلسفة الصوفية في البنجاب . وكان لديه طاقم من مغني « القوالى » الموهوبين ، الذين الفوا وبسطوا مئات من الاغانى الساحرة .

وكان « حضرة نظام الدين أوليا » يملك ذوقاً مرهفاً للموسيقى والشعر . وفي اليوم الخامس من محرم كل عام كان يجري الاحتفال بذلك عرس الخواجة فريد حيث يأتي الناس من كل حدب وصوب ليصفعوا الى أغاني « القوالين » الماهرین الذين يسبعون الحيوية على الحفل . وكانوا يرقصون بطرب عند سماعهم أغاني الفرزل من خرسو

□ المساهمة الإسلامية في الموسيقى الهندستانية □

وحسن وسعدی ، والتي كانوا ينشكونها بمرافقة الطبول والدفوف ،
كما ذكر وحید میرزا في « حیاة الامیر خسرو وأعماله »

كذلك كانت مساهمة تلميذ نظام الدين ، الامیر خسرو ، أشهر من
أن توصف . فهو يعتبر من عباقرة القرن الثالث عشر وموسيقييه العظاماء .
وكان ذهن خسرو واسع الخيال وكان يستمتع بابتكار أشكال جديدة في
الموسیقی والشعر . وقد تخلى عن التقاليد القديمة وقدم اشكالاً جديدة
مثل القول، والقولي ، والقلبانا ، ونقش – كل ، والنيكار . واستناداً الى
عدة نصوص فارسية ، ابدع خسرو نحو اثني عشر لحنا ، من بينها الزلف ،
والموافق ، والفنان ، وفرغانة ، وزنفولا ، وسرباردا .

ينتمي والد الخسرو ، الامیر سيف الدين محمد ، الى قبيلة لاشين
بلغ حضارة . وفي الهند استقر في باتيالي ، وهي بلدة صغيرة في منطقة
ایتاه ، في أتار برادش ، ودخل في خدمة شمس الدين التتمیش ، ملك
الهند العبد . وقد ولد الامیر خسرو هنا عام ١٢٥٣ . وترعرع في وسط
من الرفاهية والطمانينة وامضى أيام شبابه في مجتمع الرجال العظاماء .
ولعله في هذه الايام المبكرة ، و ضمن الاجتماعات السامية التي كان يعقدها
إمداد الملك ، قد تشرب حباً للموسیقی اكتسب فيه بعد ذلك براءة فائقة .
وقد تمعن خسرو برعاية خمسة ملوك متعاقبين ، وكل منهم كان راعياً
عظيماً للادب والفنون الجميلة . وكانت الجلسات الموسيقية تعقد بانتظام
في بلاط غیاث الدين (١٢٦٥ - ١٢٨٧) . كما دعا ابنه محمود بعض
الصوفيين البارزين في عصره ، وعقدت مؤتمرات موسيقية كانت تنشد
خلالها قصائد الغزل العربية . وفي بلاط جلال الدين خلجي كانت تتلى
غزليات خسرو بانتظام من قبل مشاهير الموسيقيين . ويصف بارني حفلات
الملك النابضة بالحيوية :

« كان خسرو يحضر كل ليلة قصائد غزل جديدة الى اجتماع الملوك . وكان محمد شاه ، الموسيقي الشهير في عصره ، يعزف بينما راقصات جميلات مثل فتوحة ونصرت خاتون يغنين ، فيجلبن الطيور من السماء ويسلبن أحاسيس السامعين » .

وأتاح علاء الدين خلجي (١٢٩٦ - ١٣٦٠) ، راعي الفنون العظيم ، أجمل الفرص الى خسرو كي يطور فنه الموسيقي ، ومنحه شرفا عظيما .

أما الشيخ بهاء الدين زكريا ، وهو من ملitan ، ويعتبر أبرز تقي في فرقة السهر ورددين ، فقد كان له تأثير ذو شأن على الموسيقى الهندية ، وبشكل خاص في مجال الأغاني الشعبية للبنجاب والسندي . واستنادا الى فقير الله في « راجادربان » فإن العديد من الانقام الهندية « الراجا » تنسب اليه . كما ان آلة موسيقية تدعى « خيال » تعتبر أيضا من ابتكاره .

وكما أشير سابقا ، فان عدة أشكال موسيقية قد تطورت خلال فترة القرون الوسطى . وثمة اثنان من أبرز الاشكال التي تستحق اهتماما خاص ، وهما « الدرو فاباد » و « الخيال » ، ويعتبر ان أبرز شكلين في الموسيقى الهندستانية حتى الى يومنا هذا . وقد تطور الشكل الغنائي « الدرو فاباد » خلال القرون السبعة الماضية واحتاز عدة تغيرات وتمازجات وتحسينات . وعلى الرغم من الاعتقاد بأن بداية هذا الشكل كانت حوالي القرن الثالث عشر ، فإنه كما يبدو قد وصل الى أوجه وأقصى درجات شعبيته خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر . وقد تطور هذا الشكل من أشكال تقليدية سابقة له ، وبشكل خاص « البرابنداس » ، مع بعض التغيرات وفقا للجو الموسيقي السائد . وتوضح دراسة دقيقة للكتب التي وضعت خلال اواخر مرحلة القرون الوسطى ، تحول « البرابنداس » الى « الدرو فاباد » . واستنادا الى الوصف المعطى في « أين اكبري »

و « راجادريان » ، فان أغلب الموسيقيين المشهورين في ذلك العصر كانوا من مفني شكل « الدروفاباد ». وكان العديد من مفني هذا الشكل المسلمين تحت رعاية راجا منسغ ، وهو من غاليو ، ومن بينهم برب ناياك بكشو و محمود . وقد ظهرت أهمية هذا الشكل خلال حكم « أكبر » كما عبر عنها الموسيقي الاشهر تانن في العديد من مؤلفاته . وكان شاه جهان من كبار المعجبين بمؤلفات بكشو ، ولذلك فان « ساهاس راسا » ، وهي مجموعة تشكل ألف قطعة من « الدروفاباد » قد كتبت بتوجيه منه .

ان شعبية « الدروفاباد » الممتدة جنوبا حتى الدكن تتضح من كتاب النورس ، وهو مجموعة من « الدروفاباد » ذات سوية عالية ، سواء في اللغة أو التأليف ، وقد كتبها ابراهيم عادل شاه ، حاكم البنجاب . وهذا الشكل لايزال موضع اعجاب حتى اليوم بشكله الفني والتنوع بعد مروره عبر كل ظلال المؤثرات خلال القرون الماضية ، وهو الشكل الوحيد الذي يحتفظ بجماله الاصلي ، وشكله الكلاسيكي ، وبنائه الفني . ومن بين الموسيقيين المسلمين البارزين الذين لايزالون يؤيدون تقاليد « الدروفاباد » افراد أسرة « داكار » المشهورة .

و « الخيال » هو شكل روائي من الموسيقى والذي تشرّب مؤثرات مختلفة من تقاليد موسيقية متنوعة . ويمكن تتبع اصل « الخيال » حتى القرن الثامن ، عندما كان عدد من الاشكال والمؤلفات الموسيقية الموجودة فعلا ، يحمل بعض الخصائص المشابهة للخيال . أما امتزاج هذه الاشكال الموجودة مع المؤثرات الثقافية التي ادخلها المسلمون فقد أدى الى نشوء نماذج موسيقية جديدة . وهكذا فان الاشكال الموسيقية القديمة كانت متأثرة بـ « القوالى » و « القول » ... الخ ، وبلغت ذروتها بنشوء اسلوب موسيقى جديد عرف باسم « الخيال » . وقد ابدى السلطان حسين شرقى

□ المساهمة الإسلامية في الموسيقى الهندستانية □

حاكم جونبور ، اهتماما عارما في تطوير هذا الاسلوب وتبسيطه . وخلال فترة القرون الوسطى التالية بدأت عناصر صوفية فيها تستبدل بأشكال فنية وجمالية من التأليف الموسيقي . والفن نيات خان وفiroz خان ، الموسيقيان في بلاط محمد شاه رنجيلا ، مئات من قطع « الخيال » على درجة عالية من الكمال ، وحتى اليوم لايزال الموسيقيون يقدمونها ويستخدمونها نموذجا للمؤلفات الجديدة . واكتسب هذا الاسلوب تدريجيا مكانة رفيعة المقام في البلاط بالإضافة الى شعبية واسعة بين جميع فئات المجتمع بفضل جاذبيته الفنية الفريدة . وكان عدد كبير من الموسيقيين المسلمين بارعين في غناء « الخيال » خلال فترة القرون الوسطى ، وحتى اليوم لايزال عدد أمثال هؤلاء الموسيقيين بالغ الاهمية . ومن أسماء مغني « الخيال » المسلمين المشهورين خلال القرن الحالي : امان علي خان ، عبد الكريم خان ، عبد الواحد خان ، بادي غلام علي خان ، فياض خان ، امير خان ، نصیر احمد خان ، نیسان حسين خان ، حافظ احمد ، یونس حسين خان ، وكثيرون وغيرهم .

كانت المساهمة الاجرى للموسيقيين المسلمين هي ترسیخ طریقة « الفارانا » ، التي تطورت مع تبسيط اسلوب « الخيال » . وطريقة « الفارانا » ، والتي هي بالاساس مدرسة موسيقية ذات تقاليد موسيقية فريدة ، تطورت كطريقة تعليمية وتدربيبة توصل المعلومات المتعلقة بالتقاليد الموسيقية الخاصة بالفارانا ، التي انتقلت الى اجيال متعددة ، واستفرقت على الاقل ثلاثة اجيال حتى أصبحت تدعى غارانا . وقد ازدهر العديد من الفارانا هذه في اجزاء متعددة من البلاد واستمرت في كونها مصدر التدريب الدقيق والمحافظة على التقاليد الموسيقية للبلاد . ومن بين ابرز مقطوعات الفارانا تلك التي تنتهي الى غواليلور ، وأغرا ، وجایپور ، وكيرانا ، ودلهي .

□ المساهمة الإسلامية في الموسيقى الهندستانية □

اكدت الغارانا بشكل خاص على الفنان المضبوط أو العزف على الآلة الموسيقية بحسب الاسلوب التقليدي الذي رسمه قواعده موسقي فريد من نوعه . ولكل غارانا نموذج وأسلوب ونظام خاص يدعم الجو المميز لعظمة موسقي ناجح ، ويساعد تلاميذ عبكري كهذا في الاستفادة من شعبيته وشهرته . ومن المعتقد أن الغارانا قد تطورت خلال القرن الثامن عشر من أجل المحافظة على تقاليد الموسيقى وعلى المؤلفات والاساليب التي طورها قليل من الموسيقيين البارزين في بلاطات حكام مختلف الولايات في شمالي الهند . وقد يكون ثمة سبب ممكн لتطورها وهو المنافسة القوية بين الموسيقيين الذين سعوا من أجل الحصول على تقدير الحكام ورعايتهم . ولم تقم الغارانا بمجرد ائحة الفرصة لأفرادها بالحصول على التقدير في البلاطات الملكية لكنها حتى ايضا على الابتكار والابتعاد عن الاشكال التي كانت تمارس عادة .

ومن بين الاشكال الموسيقية الامر تظل التارانا والثمرى والتبايا اشكالا مألهفة ايضا تطورت من خلال عملية تركيب الموسيقى المحلية مع المؤثرات التي جاء بها المسلمين .

وتدل التارانا على شكل من الفنان تتمازج فيه بعض المقاطع اللغوية الخالية من المعنى بصورة متكررة ويجري انشاؤها في آية « راجا ». وهذا الشكل ليس له هوية خاصة به ويعامل عادة كجزء من اسلوب الخيال . ويرتبط اصل التارانا بشكل عام مع ابتكارات الامير خسرو . ومن المعتمد لدى بعض المؤلفين وجود عدد من الاشكال المشابهة لها في النماذج الموسيقية العربية والفارسية ، مع ان بناءها كان مختلفا عن التارانا الهندستانية . وقد كانت مألهفة بشكل خاص في الجلسات الموسيقية للصوفيين وفي المجتمعات الدينية للمزارات (قبور الاولياء) . وهي تفني حاليا من قبل مفني الخيال كفقرة مما يقدمونه .

والشمرى شكل ممتع آخر من اشكال التأليف الموسيقي . ويعتبر نواب واجد علي شاه ، أحد عشاق الموسيقى الكبار ، ومن أشهر أنصار هذا الشكل . وكان هو نفسه مؤلفاً لقطوعات الشمرى ، وكان ذا أثر كبير في تبسيط قطوعات الشمرى التي لاتزال تغنى حتى اليوم .

ويعتقد ان شكل التابا في الغناء قد ابتكره شوري ميان من لوكتنو . ويحتوي هذا الشكل على أفكار من الحب والرومنسية . ولا تهدف التابا الى تطور تدريجي للفكرة الرئيسية ، لكنها تنشيء اللحن ضمن دورات وأنعطافات متقدمة . وهي تغنى في قطوعات الراجا نفسها مثل الشمرى .

تعتبر مساهمة المسلمين في الموسيقى الآلية وفي تقديم آلات موسيقية جديدة ذات أهمية متساوية . وبعض أكثر الآلات الشعبية رواجاً اليوم ، مثل الشاهناري والسرنفي والسارود والسيتار والطلبة ، وجدت خلال فترة العصور الوسطى . والعديد من العازفين المسلمين البارعين ازدهروا في بلاطات السلاطين والباطرة المغول ، وأدرجت أسماؤهم في كتابات القرون الوسطى . ومن العازفين المسلمين البارزين في القرن الحالي والذين قاموا بمساهمة ملحوظة في تطوير الموسيقى الآلية وتحسينها : علاء الدين خان ، حافظ علي خان ، أحمد جان تيراكوا ، بندو خان ، مشتاق علي خان ، علي أكبر خان ، عبد الحليم جعفر خان ، باسم الله خان ، علاء خا ، أمجد علي خان ، لطيف احمد خان ، زاكر حسين ، وشفاعة احمد خان .

كما ان مساهمة المسلمين في أدب الموسيقى وعلم الموسيقى جديرة باللحظة . فقد ترجموا أعمالاً سنسكريتية إلى الفارسية والأوردية ، وكتبوا أيضاً كتبًا تثقيفية استناداً إلى الحالة الفنية المعاصرة . واقدم كتابات فارسية معروفة حول الموسيقى الهندية هي « غونيات المنيا » (١٣٧٤) و « لهجات سينكندر شاهي » (في عصر « لودي » ١٤١٤ - ١٥٢٦) .

وقد أدرك الامبراطور أكبر (١٥٥٦ - ١٦٠٥) أن السبب الرئيسي للعداء بين الهندوسين والمسلمين كان تجاهل كل من الطرفين لدين

□ المساهمة الإسلامية في الموسيقى الهندستانية □

الطرف الآخر وثقافته . لذلك ، وبناء على تعليماته ، بوشرت ترجمات لاعمال في الماقبض الدينية والدنيوية معاً . وكتب أبو الفضل فصلاً كاملاً حول الموسيقى في كتابه «أين أكبرى» . وعلى الرغم من أنه قد لا يعتبر دراسة مبتكرة وأنه يعتمد بشكل كبير على الأدب السنسكريتي ! وجود وعلى المناقشات مع أصحاب العلم وطلابه في ذلك العصر ، إلا أنه يظهر فعلاً فيما مميزاً لأسس نظرية الموسيقى الهندية وممارستها .

خلال فترة القرون الوسطى التالية بوشر في وضع عدد كبير من الاعمال النموذجية في الموسيقى ، سواءً أكانت مبتكرة أم مترجمة عن السنسكريتية . وبالإضافة إلى تعليم القراء خصائص الموسيقى المختلفة ، كان الكتاب خلال هذا العصر مدفوعين أيضاً بدافع روحي للمحافظة على الارث الفني للموسيقى الهندية كما تضمنتها الاعمال السنسكريتية ، ولجعلها متيسرة للاجيال القادمة من الموسيقيين وعلماء الموسيقى . وبما أن معرفة الموسيقى ورعايتها كانت تعتبر سمة مميزة للشخص المثقف ، فقد بات ضرورياً للناس أن يقتنوا كتاباً حول الموسيقى باللغة الفارسية ، التي كانت لغة البلاط والطبقات الراقية في ذلك العصر . وللهذا السبب نشأت ضرورة لترجمة الكتب السنسكريتية إلى الفارسية والأوردية ، وكذلك لوضع كتب حول الموسيقى استناداً إلى حالة الفن المعاصر . والكتب الثلاثة الرئيسية التي تنتمي إلى هذه المرحلة هي : «راجا دربان» تأليف فقير الله ، تحفة الهند تأليف ميرزا خان ، ونجمة آسيفي تأليف غلام رازا . ومن الاعمال الهامة الأخرى ، ميرات افتتاب نوما ، ونادرات شاهي ، وكتاب النورس ، وسارميما أشرات ، الترجمة الفارسية لـ «راجا مالا» و «مادان الموسيقي» .

من الوصف السابق للمساهمة الإسلامية في الموسيقى الهندية يتضح أن مسلمي الهند في القرون الوسطى كانوا نتاج ما قدمته الثقافة المحلية خلال مسيرة خمسة عشرة سنة ، لقد أصبحوا هنوداً بالتفكير والمحادثة

□ الساهمة الإسلامية في الموسيقى الهندستانية □

والسلوك ، وكان الدين جزءاً من الثقافة ، لكنه لم يشملها كلها . وقد أظهر الدينان ، الهنودسي والاسلامي ، التدين في إشكاله المختلفة بالنسبة إلى أنصارهما . لكن الدين بحد ذاته لم يستطع أن يقوم بدور عامل تقسيم في المجتمع الهندي ، الا عندما كان موضع استغلال من حاكم متهرور مجرد من الشعور الوطني ، ويستحوذ عليه التعصب الديني او النظرية الطائفية ومن الواضح حتى بالنسبة للشخص العادي أنه من المستحيل عملياً فصل العناصر الإسلامية عن الهندوسية في الموسيقى الهندستانية . فقد تمازج الإثنان بشكل متناغم لاينقصم ضمن التسجيل الغنائي النابض بالحياة بحيث ان عملية فصلهما ستكون ممارسة عقيمة .

وقد أعلن أشاريما بريها سباتي ، العالم الموسيقي الهندي الشهير ، بحق انه بينما قد يكون ثمة اختلافات بين علماء اللاهوت الارثوذكسيين وبين الصوفيين فيما يتعلق بقدسية الموسيقى ، فان المسلمين الهندو كانوا معجبين بالموسيقى ، وقاموا بدور ناشط في تطويرها . ولا يمكن أن يوجد دليل أكثر تأثيراً على شعبية الموسيقى الهندية التي يظهر أنها قد جمعت في ثناياها الهندوس والمسلمين ، الصوفيين والعلماء ، القدسيين والسلطانين ، الاغنياء والفقراء ، وفي الواقع ، الرجال والنساء من مختلف الفئات والمزارات الاجتماعية . لذلك فان الموسيقى لم تقم فقط بدور فن مقصور على فئة قليلة او مصدر للمتعة والتسلية ، بل كوسيلة قوية أيضاً للتكميل الثقافي والتناغم الاجتماعي .

ترجمة شروح الصور :

ص ٣٨ - منشدو « القوالى » ص ٤١ بسم الله خان - شهناي
ص ٤٢ علاء رخا وزكي حسين - طبلة ص ٣٤ ولاية خان - سيتار ص ٤٤
الاخوان داكار - غناء ص ٥٥ بادي غلام علي خان (جالسا) مع افراد
من اسرته .

قصة قصيرة ..

الإهانة

تأليف: سعادت حسن مانتو

ترجمة: علي كنعان

لمحة عن المؤلف:

ولد سعادت حسن مانتو في سامبرلا (البنجاب) سنة ١٩١٢ ومات في لاهور (الباكستان) سنة ١٩٥٥ . وخلال هذا العمر القصير كتب مانتو أكثر من مئتي قصة قصيرة ، فضلاً عن عشرات المقالات والمسرحيات ، كما كتب عدداً من سيناريوهات الأفلام السينمائية . لكن شهرته ارتكزت أساساً على القصة القصيرة إذ يعد واحداً من أهم كتابها في العالم .

نشأ مانتو في أسرة كشميرية متوسطة من أمريستار ، ولم يكن لديه أية حماسة لمتابعة الدراسة الرسمية ، إذ أمضى سنتين في الجامعة دون أن يستطيع النجاح فتخلى

الامانة □

نهايا عن الدراسة . ومن الغريب أن (الاوردو) كانت سبب خيبيه ، لكنه بعد سنوات معدودات غدا واحدا من اعظم الكتاب في تلك اللغة .

تأثير مانتو بالحركة الثورية ضد الاستعمار البريطاني في الهند ، وكتب عن اولئك البوسae في قاع المدينة الرازحين تحت القهر والمرض والشقاء .

كان في السابعة من عمره ، حين ارتكب المستعمرون البريطانيون مجزرة جاليا نوالا باع ، وكان في بومباي سنة ١٩٤٧ حين حدثت المجازر بين السيخ والهندوس والمسلمين . وقد رفض مانتو ان يقف مع طرف دون طرف آخر ، كان ضد الجريمة والتعصب الاعمى والتقطیم .. مثلما كان ضد الاستعمار البريطاني - علة كل مصيبة من الهند الى افريقيا مرورا بالوطن العربي . وكانت قصصه طافحة بذلك الهيم الوطني والانساني .. وكانت حياة البوسae وكفاحهم اليومي موضوع ابداعه واهتمامه . لكن الموت اخْتطفه وهو في الثالثة والاربعين ، دون أن يعلم كيف ولماذا انقسمت الهند الى شطرين .. انه مسلم وروحه الوطني هندي فهل يقسم الروح ؟!

* * *

الاهمانة :

بعد عناء يوم مرهق ، تمددت على السرير واستسلمت للنوم حالا .
كان المشرف الصحي الذي تدعوه (السيد) قد غادرها منذ لحظات
محموما ، بعد أن كاد يخلع عظامها . كان بوده لو يبقى معها طوال الليل
لولا أن زوجته كانت مولعة به أيضا . النقود التي كسبتها من المشرف
الصحي لقاء جسدها دستها في عبها تحت صدريتها الملطخة باللعاب .
أحيانا كانت النقود الفضية تصدر خشخشة مع كل نهدة من صدرها ،
لكن تلك الخشخشة سرعان ما تتلاشى في دقات قلبها المضطربة . ويفيد
أن فضة النقود كانت تذوب وتنسرب في دم قلبها . كان صدرها دافئا
من الداخل . بعض ذلك الدفء من تأثير نصف زجاجة البراندي التي
حضرها المشرف الصحي معه ، وبعضه الآخر من البويرا التي شرباها
مزوجة بالماء بعد أن نفت الصودا .

كانت تستلقي على سرير ضخم من خشب الساج ، وذراعاهما
العاريتان حتى الكتفين ممدودتان كعوتين مقوسيين لطباررة ورقية حسرت
رطوبة الندى عنهما ذلك الكسأ الورقي الرقيق . وقد بدا ابطها الايمان ،
بلحمة المتجمد الذي ازرق من كثرة الحلاقة ، ناثنا وكأنه قطعة من جلد
دجاجة منتوفة .

كانت الحجرة صغيرة ، وقد بعثرت الفوضى أشياءها . وتحت
السرير ثلاث أو أربع شحاطات بالية .. ينام عليها كلب اجرب ويكثر في
نومه أزاء أشياء غير معروفة . كان جلده مشوها بالبقع التي سلخها
الجرب . ولو نظرت اليه من بعد لبدا لك كمسحة مطوية على الارض .
في الجانب الآخر كانت أدوات التجميل : أحمر الوجه والشفاه ،
وملاقط معدنية لشعرها متباشرة على منضدة صغيرة . وعلى مقربة منها

بيفاء يغالب النعاس في قفص بمشجب ، وهو يخفى عنقه في ريشه ، كان القفص محشوًا بشرائح من شجيرة الفواف وقشور من البرتقال المهرئ من شدة نضوجه ، وثمة سرب من الناموس والبرغش يحوم فوق الشرائح المنتنة . وكان إلى جانب السرير كرسي من الخيزران ملطخ الظهر ، وإلى يمينه وضعت حاكيا من طراز (صوت سيدة) على منصب ثلاثي القوائم أنيق الصنع . وكانت قطعة القماش السوداء المنشورة على الحاكي مهترئة ، كما كانت ابر الحاكي الصدئة مبعثرة فوق سطح المنصب وفي كل ارجاء الغرفة . وقد علقت على الجدار ، فوق المنصب تماماً ، اربع صور لأشخاص مختلفين .

. في زاوية الحجرة اليسرى ، وعلى مسافة قليلة من تلك الصور ، تربعت صورة مزوقة لفانيش وقد اقتلت بالورود الطازجة والذابلة . ويبدو أن الصورة قد انتزعت من لفة فماش قبل أن يحتويها ذلك الإطار . وبجوار الصورة ، وعلى الرف الملوث ذاته وضع فنجان من الزيت لتفدية السراج . وبسبب نقص الهواء ، كان اللهب يقف منتسباً كعلامة السعد الحمراء على الجبين .

باركت نقود الاستفتاحة التي تلقتها من زبونها الأول بلمسة من تمثال غانيش ثم مسحت بها جبينها قبل أن تدسها في عبها . كان صدرها فويا وفي وسعه ان يحمي اي مبلغ من المال تحت صدريتها . وكانت تخبيء بعض المال في حفرة أعدتها تحت قائمة السرير ، كلما جاء مادهو في اجازة من بونا . كان القواد راما لا قد علم سوغاندهي ان تخفي المال عن مادهو بهذه الطريقة . فقد قال لها ، حين علم ان مادهو نام مع سوغاندهي عشيّة وصوله من بونا : « متى كنت تتوددين الى مثل هذا اللعين ؟ يالها من قصة حب غريبة ! هذا التافه يستمتع بك ولا يدفع فلساً واحداً .. وفضلاً عن استمتاعه يقش المال منك ... لقد مضى علي عشر سنين وأنا في هذه المهنة ، وانا اعرف نقاط ضعفك يا بنات » .

□ الاهمانسة □

رام لال ، القواد الذي كان يعقد الصفقات لكل انواع الفتيات ، بدءا من عشر روبيات حتى مئة روبية في شتى احياء بومباي ، قال لسوغاندهي : « أيتها البائسة ، لا تتلفي اموالك .. ان عاشق امك هذا سوف يتغير بالثياب التي تستر جسده ! هيئي حفرة صفيرة تحت احدى قواصم سريرك ، واطمرني فيها تقوذك كلها ، وقولي له : أحلف بحياتك يا عزيزي مادهو ابني لم احوش فلسا واحدا طوال اليوم ، اطلب لي من أحدhem ، تحت ، ان يرسل الي كوبا من الشاي وقطعة من البسكويت اللذيذ ، ابني اموت من الجوع .. هل تفهموني ؟ هذا وقت عصيب ياحبيبي ، حزب الـ تـ مـ رـ المشـ روـبـ قد حظر المشـ روـبـ ، والاسعار في هبوط ، ولكن الانسان يدبر نفسه دائمـا . اقسم لك ان مجرد منظر الزجاجة وهي فارغة في غرفتك أثناء الليل ، فضلا عن رائحة الشراب ، يرغمنـي ان استبدل جنسـي معك ! »

كانت سوغاندهي تحب صدرها أكثر من سائر اعضاء جسمها الأخرى . وقد قالت لها جامنا يومـا : « شـ دـ يـ عـلـىـ هـاتـيـنـ الـكـرـتـيـنـ من الاسفل حتى تكون صلابتـهـماـ كـافـيـةـ حينـ تـلبـسـيـنـ حـمـالـةـ الثـدـيـنـ . »

واذ سمعت ذلك ، ردت سوغاندهي ضاحكة : « انت تظنين الجميع مثلـكـ يـاجـامـناـ ، يـبـتـذـلـكـ الرـجـالـ لـقـاءـ عـشـرـ روـبـياتـ .. وـتـتصـورـينـ انـ هـذـاـ ماـ يـحـدـثـ لـكـ وـاحـدـةـ .. لـيـسـ هـنـاكـ منـ وـغـدـ يـجـرـؤـ عـلـىـ لـمـسـ اـعـضـاءـ الحـسـاسـةـ .. يـاهـ ، عـلـىـ اـخـبـرـكـ بـمـاـ جـرـىـ الـبـارـحةـ :ـ فـيـ السـاعـةـ الثـانـيـةـ بـعـدـ مـنـتـصـفـ اللـيـلـ ، اـحـضـرـ رـامـ لـاـنـ مـخـلـوقـاـ مـنـ الـبـنـجـابـ وـقـدـ اـتـفـقـ مـعـهـ عـلـىـ ثـلـاثـيـنـ روـبـيةـ لـقـضـاءـ اللـيـلـةـ .. وـقـبـلـ اـنـ نـمـضـيـ اـلـىـ السـرـيرـ ، اـطـفـأـتـ المـصـبـاحـ .. فـبـدـاـ مـذـعـورـاـ .. لـقـدـ تـلـاشـىـ فـيـ الـظـلـامـ كـلـ تـأـلـقـهـ .. كـانـ خـائـفاـ .. قـلـتـ لـهـ :ـ «ـ عـجـلـ ، لـمـ هـذـاـ التـأـخـرـ ؟ـ اـنـهـاـ ثـالـثـةـ تـقـرـيـبـاـ وـسـيـطـلـعـ الـفـجـرـ قـرـبـاـ .. قـالـ :ـ «ـ خـلـيـ الضـوءـ ..ـ الضـوءـ ..ـ »ـ قـلـتـ :ـ «ـ مـاـذاـ تـعـنـيـ بـالـضـوءـ؟ـ »ـ

قل : أشعلي المصباح . قال : « أشعلي المصباح » . حين سمعت صوته
المرتعش ، لم اتمالك نفسي من الضحك ، واجبته : « لن اشعل
المصباح » ثم قرست فخذل الصلب ، فهب وأدار زر النور ففطّلت نفسي
بالشرشف حالاً وقلت : « الا تشعر بالخجل ؟ » عاد الى السرير فنهضت
وأنفلات النور .. ثارت أعصابه من جديد .. أقسم لك أنها كانت ليلة
مبهجة : تارة ظلام وطوراً نور ، ظلام ، نور .. ثم جاءت قرقعة الترام
فرفع بنطاله واندفع خارجاً .. اللعين لا بد انه ربح تلك الثلاثين روبيّة
في التسّار حتى تخلى عنها دون ان يحصل على شيء .. جامنا ، انت بلا
خبرة اطلاقاً ، انتي أعرف الكثير من الحيل لتدبير هذا النوع » .

كانت سوغاندهي فعلاً تعرف العديد من هذه الحيل التي اخبرت بها
واحدة او اثنتين من صديقاتها . وفي العادة ، كانت تحكي هذه الحيل
لمن جمّها : « اذا كان الرجل لطيفاً قليلاً الكلام ، فمن الممكن ان تزعيجه
 تماماً . ثرثري معه كثيراً ، ضايقه ، ناكديه ، دغدغيه ، استلقى معه ..
وان كانت له لحية ، مشطّيها بأصابعك وانتفي منها بضع شعرات ..
وان كان له بطن كبير ربتي عليه .. لا تتركي له وقتاً كافياً لتدبير رأسه ..
وسوف يمضي سعيداً . دون ان يمسك بسوء .. الرجال الهدّدون خطرون
 جداً .. انهم يحطّمون عظامك اذا أمكنهم ذلك » .

لم تكن سوغاندهي ذكية كما تظاهر بذلك . وليس لها كثير من
الزبائن . كانت فتاة عاطفية جداً . ان جميع الحيل التي تدور في رأسها
سرعان ما تسيخ في بطنها الذي اكتسى بعدد من التفضّنات بعد ان ولدت
طفلاً . وحين امتحنت تلك التفضّنات اول مرة ، ظنت ان الكلب الاجرب قد
منى بها بمخالبه . فكلما مرت به بفتى متّكّسلة ، كان كلّها المدلل يخمن
الارض ويترك فيها آثاراً مشابهة ليفطي بذلك خجله .

□ الاهمانسة □

كانت سوغاندهي من النوع التأمي الذي يعيش غالبا مع ما يجعل في رأسه ، ولكنها سرعان ما تذوب وتنتشر في بقية أنحاء الجسم حالما يتحدث أحدهم إليها بمودة أو يتغوه بكلمة رقيقة . كانت تعد الجماع بين الرجل والمرأة عملية سخيفة ، لكن أعضاء جسدها كانت مقتنعة به تماما . ان هذه الأعضاء تتوق للاسترخاء بعد رحلة عنيفة .. تدفعها للنوم أو لذلك النوع من النوم الذي يأتي بعد انهاك تام ..

كم هو مريح ! وكم هي لطيفة تلك النسوة التي تتبع خلخلة الأعضاء ! تارة تحس انك هناك ، وأحيانا تحس انك لست هناك ، وما بين الوجود والعدم تحس انك معلق في الهواء : فوقك هواء ، وتحتك هواء ، والى يمينك هواء ، والى يسارك هواء .. هواء ، ولا شيء غير الهواء .. وانه لمتمع ان تحس بالاختناق في ذلك الهواء ..

في طفولتها كانت تلعب لعبة الاختباء . وقد اختبأت مرة في صندوق أمها الكبير ، لكن تناقض الهواء والخوف من العثور عليها زادا في سرعة خفقان قلبها .. وكان ذلك مثيرا لها ..

كانت سوغاندهي تمنى لو تعيش حياتها مختبئة في صندوق مشابه ، بحيث يظل الباحثون عنها يفتشون خارج الصندوق . كان عليهم أن يبحثوا عنها أحيانا ، وكان عليها أن تبحث عنهم كذلك . ان حياتها خلال السنوات الخمس الماضية لم تكن الا لعبه من الاختباء والتفتيس .. أحيانا كانت تجد شخصا ما .. وأحيانا كان شخص ما يجدها . وعلى هذا المنوال سارت حياتها برتابة مضجرة . كانت سعيدة كما ينبغي لها أن تكون كذلك . لقد اعتاد سريرها الخشبي العريض ان يستقبل رجلا في كل ليلة . وكانت سوغاندهي تعرف الكثير من الحيل التي تتدبر بها أمور الرجال . وبالرغم من قراراتها المتكررة انها لن تستسلم لرغبات

□ الامانة □

الرجال الطائشة وانها سترد عليهم بخشنونة ، فان فيضا من عواطفها يمكن ان يجرفها بعيدا حتى تبدو وكأنها مجرد امراة مستاءة لا اكثر .

حين يقول لها زبونها الجديد او القديم : « احبك يا سوغاندهي » ، وهي تعرف جيدا انها اكذوبة ، فانها تغدو ناعمة لينة كالشمع ، انها تشعر وكأنها معشوقه فعلا . يالها من كلمة حلوة ! لكم تود ان تدللك بها اعضاءها كلها حتى تدخل في مسامها .. او تدخل هي فيها وتحكم الفطاء فوقها . وحين تشعر بعاطفة الحب جارفة ، كانت تريد ان تحضن الرجل النائم معها ثم تربت عليه وتهدهده حتى يستغرق في اليوم .

كانت تتمتع بطاقة هائلة من الحب ، وهي قادرة ان تحب اي رجل يزورها قدرتها على ان تعيش حبها الى مداه . كانت مشغوفة الى هذا الحد باولئك الرجال الذين علقت صورهم على الجدار المقابل . كان لديها شعور دائم بانها طيبة ، لكنها لم تكن تدرك لماذا يفتقر الرجال للطيبة . وعندما كانت تحدق في المرأة ، لا تملك الا ان تقول : « سوغاندهي » لم يعاملك الزمن معاملة لائقة يا سوغاندهي ! » .

تلك الفترة ، وبكلمة اخرى ، ايام تلك السنوات الخمس وليلاتها كانت منوطبة بكل عرق من كيانها ، ومع انها لم تكن محظوظة خلال تلك الفترة ، فقد تمنت ان تستمر ايامها على المنوال ذاته . كانت بلا طموح الى اي شيء يمكنها من تحويش المال . وكانت مستعدة لبيع نفسها لقاء عشر روبيات ، يقطع منها روبيتان ونصف الروبية عمولة للقود رام لال ، والسبعين روبيات والنصف الباقي كانت كافية لسد حاجاتها . وحين جاء مادهو من بونا ليسلب سوغاندهي ، على حد تعبير رام لال القواد ، فقد كان عليها ان تدفع له فدية تتراوح ما بين عشر وخمس عشرة روبيه . كانت متعلقة به الى حد ما . ولقد أصاب رام لال حين قال ان في مادهو

□ الامانة □

شيئاً ما فتن سوغاندهي . حين التقت مادهو اول مرة قال لها : « الا تشعرين بالخجل حين تعقددين الصفة ؟ ! أترفين ما الذي تساوميني عليه ؟ .. وهل تعرفين لماذا جئت اليك ؟ .. عشر روبيات ، كما تقولين ، يطرح منها روبيتان ونصف ، حصة القواد ، وسبع روبيات ونصف لك ، اليس كذلك ؟ . ولقاء هذه الروبيات السبع والنصف ، انت تعددين ان تمنحيوني شيئاً لا تستطعين منحه ، وأنا جئت من أجل شيء لا استطيع الحصول عليه .. اني اريد امراة ! ، ولكن هل تتوقين لرجل في هذه الساعة ؟ . ان اية امراة يمكن ان تكون جذابة لي ، ولكن هل تحبيني ؟ اية علاقة تربطني بك ؟ لا شيء ، عشر روبيات لا اكثر ، بل من هذه العشر ستطير روبيتان ونصف عمولة القواد ، والباقي سيصرف هنا وهناك .. وهذا ما يخشى بيني وبينك . وانت تسمعين خشختها كما اسمعها . لكنك تفكرين في شيء آخر ، وأنا كذلك . لماذا لا تفهمين ان احذنا يريد الآخر ؟ انا عريف في شرطة بونا وسوف ازورك مرة في الشهر ... تخلی عن هذه المهنة .. وساعتنی بك .. كم اجرة هذا الجحر ؟ » .

لقد أثرت بلاغة مادهو في سوغاندهي حتى خيل اليها في لحظة ما انها زوجة عريف في الشرطة . وبعدئذ ، قام مادهو بترتيب الاشياء المبعثرة في الحجرة ومزرق الصور العارية الملصقة على واجهة سريرها دون استئذان .. « سوغاندهي ، لن اسمح لك باقتناء مثل هذه الصور .. وابريق الماء هذا ، انظري كم هو قذر .. وهذه الخرق .. وهذه القطع البالية من الملابس .. كم هي منتنة ! ارميها بعيدا .. وأية فوضى صنعت بشررك ... و ... » وبعد ثلاث ساعات او اربع كان مادهو وسوغاندهي صديقين حميمين . لقد احسست بأنها تعرف الشرطي منذ عهد بعيد . وقبل تلك اللحظة لم يشعرها احد بوجود الخرق المنتنة ، والخرق القدرة ، والصور

□ الامانة □

العارية في الحجرة . ولم يجعلها أحد تشعر من قبل أن لها مسكنًا يمكن أن يكون بيت أسرة . لقد اعتاد الرجال أن يزوروها ويفادروها دون أن يشعروا بقدار سريرها . ولم يقل أحد لسوغاندي : « انظري ، أنفك مصاب بالرشح وسأحضر لك دواء » . لكم كان مادهو لطيفا ! كل ما قاله كان صادقاً وعملياً . لقد تحدث مادهو إلى سوغاندي بأمانة فتعلقت به . وهكذا اتحدا معاً .

راح مادهو يزورها مرة في الشهر قادماً من بونا ، وحين يفادرها كان يقول دائمًا : « اذا تورطت في البغاء بعد اليوم فلن يكون لي أية صلة بك . وإذا دعوت اي مخلوق فسأجرك وألقي بك خارج البيت . شوفي ، سوف أرسل إليك حوالات مالية من بونا لتواجهي بها مصاريفك . نعم ، كم هي أجرة هذا الجحر ؟ » .

لا مادهو أرسل فلساً واحداً ولا سوغاندي تخلت عن مهنتها .. كلًاهما كانوا يدركون كيف تجري الأمور . فلم تسأل سوغاندي مادهو مرة : « لماذا تتبعج ؟ انت لم ترسل ولو فلساً واحداً قط » . ومادهو لم يسأل سوئيغاندي أبداً : « من أين تحصلين على كل هذا المال وأنا لا أرسل إليك شيئاً ؟ » كلًاهما كانوا كاذبين ، وكلًاهما استمرا بالاتفاق . لكن سوغاندي كانت سعيدة كواحدة لا تملك أن تزيين بالذهب فكانت راضية بالحلبي التقليدية . وفي هذه الساعة ، كانت سوغاندي ، من شدة تعبها ، قد استفرقت في النوم . وقد نسيت أن تطفئ المصباح المعلق فوق رأسها فكان ضوءه الوهاج الحاد ينعكس على عينيها المفلقتين ، لكنها كانت في نوم عميق .

ثمة طرقة على الباب ... من يأتي في الساعة الثانية ؟ كانت أذنا سوغاندي الحالتان تحسان بالطرق المستعجل ، ثم جاءت طرقة عنيفة

□ الامتنانة □

فأجلقتها وجعلتها تنهمض ... ان اختلاط نوعين من الخمر وبقايا ألياف السمك بين أسنانها فرزت تعاباً كريه الرائحة فكان دبقاً ومرا للغاية . مسحت اللعاب بطرف قميصها وفركت عينيها . كانت وحيدة في فراشها . مدّت رأسها متذلّلة لتنظر تحت السرير حيث كان كلّها المسترخي على الشحاطات البالية يكشر في نومه أزاء أشياء غير معروفة . وكان البقاء نائماً وقد دفن رأسه في ريشه .

تكرر الطرق من جديد ، فنهضت سوغاندهي مغادرة سريرها . كانت تعاني من صداع شديد . شربت طاسة ماء من الإبريق ومضمضة أسنانها . وتجรعت طاسة أخرى ومضمضة أسنانها . وعبت طاسة ثالثة ثم فتحت الباب مواربا وهي تقول : « رام لال ؟ » أجاب رام لال منزعجاً وقد كل من الطرق : « ماذا جرى لك ؟ منذ ساعة وأنا أدق على الباب - أين كنت ؟ » ثم قال بلطف : « هل عندك أحد ؟ » ،

- « لا » أجبت سوغاندهي ، فرفع رام لال صائحاً : « لماذا لم تفتحي الباب ؟ لابد من وضع حد لذلك . أي نوم هذا الذي تستمتعين به ! اذا كان علي ان أهدر كل هذا الوقت في المساومة من أجل فتاة فلن استطيع ادارة عملـي - بدلـي ثيابـك والبسـي ذلك الساري المزين بالورود ، اجري بعض اللمسـات على وجهـك واتبعـيني . ان سيدـا مرمـقا ينتظرك في سيارـته هناك ... عجـلي وكونـي جاهـزة في الحال . » .

جلست سوغاندهي على الكرسي ذي الذراع وبكلـات تمـسط شعرـها أمام المرأة . ثم تناولـت سوغانـدهي قارورة البلـسم المعـطر عن المنـضدة وقالـت : « أشعرـ بأنـ حـالي لـيـسـتـ جـيـدةـ الـيـوـمـ يـارـامـ لـالـ . » .

أعاد رام لال المشـطـ الىـ المنـضـدةـ ، ثمـ التـفتـ اليـهاـ قـائـلاـ :

□ الامانة □

« كان عليك أن تخبرني بذلك باكرا . » راحت سوغاندهي تدلك صدغيها وجبينها بالبلسم ، ثم حاولت ان تزيل سوء التفاهم مع رام لال قائلة : « ليس هذا لانك ... أشعر بأن حالي ليست على مايرام ... لقد شربت أكثر من ... » أحس رام لال باغراء الشراب فسألها : « هل بقي شيء ؟ بودي أن أذوقه أيضا . » وضعت سوغاندهي الزجاجة على المنضدة قائلة : « لو بقي فيها شيء لما أصابني هذا الصراع اللعين ... اسمع يارام لال ، ذلك الرجل الجالس في السيارة ، أحضره الى هنا . » أجاب رام لال : « لا يستطيع المجيء ، انه سيد من الذوات .. كان خائفا ان يقف بسيارته عند ناصية الشارع ... هيا ، البسي وامشي حتى انعطافة الشارع .. سيكون كل شيء على مايرام » .

كانت صفقة تستحق سبعمئة وخمسين روبية . ان سوغاندهي لن تقبل بها ثمنا لهذا الصراع الاليم ، ولكنها بحاجة ماسة للمال . ان امرأة من مدراس تقيم في نزل مجاور قد قتل زوجها في حادث مرور وعليها ان تعود الى مدينتها بصحبة ابنتها اليافعة . كانت بائسة الى درجة انها لا تستطيع ان تدفع أجرة السفر . وفд حاولت سوغاندهي أمس ان تواسيها قائلة : « لا تزعجي يا اختي ، ان صديقي على وشك الحضور من بونا وسأدبرك لك بعض المال . » ان مادهو سيأتي من بونا ولكن كان على سوغاندهي وحدها ان تدبّر المال . ولذلك هبت مسرعة فالقطلت وشاحها وارتدت ساريها المزین بالورود ومسحت خديها بالاحمر ، ثم عبت طاسة أخرى من ماء الابريق البارد ومضت برفقة رام لال .

كان الشارع هادئا تماما ، وقد بدا اكبر مما عليه الاسواق في مدن المقاطعات . وكانت مصابيح الكاز تفيض بضوء أوسع انتشارا من ذي قبل ، مع انهم جعلوا بلواراتها ، بسبب الحرب ، ذات لون غائم . وفي ذلك الغبش ، كان من المكن ان ترى سيارة عند نهاية الشارع .

□ الامانة □

تصورت سوغاندهي أن الجو كان ثقيلاً بسبب صداعها ، بينما كانت ترنو إلى خيال سيارة سوداء في الضوء الخافت ، متوجسة من الصمت الغامض في الساعات الأخيرة من الليل . وكانت تحس بشيء من المراة في الهواء وكانتها صدمت برائحة البراندي والبويرا .

مشى رام لال أمامها حتى اقترب من السيارة وقال شيئاً ما للرجل داخلها ، وعندئذ وصلت سوغاندهي . تنحى رام لال جانب وقال : « أرجو أن تأخذ نظرة ... ها قد جاءت ، إنها فتاة رائعة ... حديثة في هذه المهنة . » وبعدئذ توجه إلى سوغاندهي قائلاً :

« تقدمي يا سوغاندهي ، الأفندي يريد أن يراك . » .

تقدمت سوغاندهي بضع خطوات وتوقفت قرب باب السيارة ، وهي تلف طرف الساري على أصبعها . أشعل السيد مصباحاً يدوياً أمام وجه سوغاندهي فبهر عينيها الناعستين ، لكن ذلك لم يدم طويلاً . ثم سمعت تكأ المصباح فاختفى الضوء وزمجر الأفندي : « أف ، لا ! » وجاء شرخت السيارة وانطلقت مبتعدة . لقد غادرتها السيارة قبل أن تقوى سوغاندهي على التفكير في أي شيء . كان ضوء المصباح مايزال يتموج في عينيها ، فلم تستطع أن ترى وجه الأفندي جيداً . ماذا حدث ؟ وتلك الـ « أف ، لا » ماذا تعني ؟ كان صداتها ما زال يتردد في أذنها . ماذا ؟ ماذا ؟ ثم سمعت صوت القواد رام لال : « ألم تعجبيه ؟ لباس ، أنا ذاهب — لقد أضعت ساعتين بلا جدوى . » وحين سمعت رام لال انتفضت يداها بعنف . أين كانت تلك السيارة ؟ ... وأين كان ذلك الأفندي ؟ ... وتلك الـ « أف ، لا » تعني أنه لم يستلطفها .. ابن الـ .. » رغبتها في أن تشتم توقفت على طرف لسانها . من تستطيع أن تشتم ؟ السيارة اختفت . كان ضوءها الخلفي الأحمر يفرق في ظلام السوق وسوغاندهي

□ الامانة □

تحس ان «أف ، لا» كان جمرا متوجه يخترق صدرها كمثقب .
احست وكأنها تزعق «يا سيد ، يا أفندي ! توقف بسيارتك ولو لحظة.»
لكنه كان قد مضى بعيداً .

توقفت في السوق الخاوية . الساري المزين بالورد ، الذي اعتادت
ان تلبسه في المناسبات الخاصة ، كان يرفرف مع نسيم الهزيع الاخير
من الليل ، ولم تكن سوغاندهي تحب اصطدام قماشه الحرير . ودت
لو تمزق الساري المرفرف الى خرق ، صائحة «أف ، لا» .

وحين فكرت انها قد زينت وجهها لتناول الاعجاب ، راحت تتعرق .
ثم أخذت تعزي نفسها لتدفع عنها شعور الارتباك : «انا لم أعتن بهندامي
من أجل ذلك الرجل ، هذه هي عادتي ... انها عادة كل شخص ...
لكن الساعة الثانية بعد انتصاف الليل ، القواد رام لال ، وهذا البازار ..
وتلك السيارة - وذلك المصباح ...» كانت تفكر وذرات الضوء تتحرك
حولها في الهواء الى اقصى حدود تخيلها ، وكانت تحس ان ضربات محرك
السيارة في كل هبة ريح .

البلسم الذي دلكت به جبينها ساخ في زينتها ودخل في مسامها
بفعل التعرق فأحسست سوغاندهي انه جبين شخص آخر . هبة ريح
لامست جبينها المندى ... كان صداعها ما يزال على حاله ، لكن ثقل
أفكارها واصطدابها زاد من سعد انتشار ذلك الصداع . حاولت
سوغاندهي مرارا ان تحرر نفسها من تلك الافكار . لكنها لم تفلح . لقد
أرادت وجع الرأس كما أرادت الوجع في الساقين ، والوجع في البطن ،
والوجع في الذراعين - ذلك الوجع الذي تنسى به كل شيء الا الوجع .
في هذه الدوامة من الافكار ، حدث شيء ما لقلبها . أكان وجعا ؟ لقد
انقبض قلبها لحظة ثم انبسط . ما الذي طرأ ؟ يا للعنزة ! انها تلك
الـ «أف ، لا» ذاتها هي التي كانت تقبض القلب وتبسطه .

□ الامانة □

مشت خطوة نحو بيتها لكنها توقفت وفكرت : « رام لال القواد قال انه لم يحب وجهي ، لا لم يتكلم عن الوجه .. كل ما قاله انه لم يستطعني .» وجهي لم يرق له ، لا أكثر . يكن ،انا كذلك لا احب بعض وجوه الرجال . . . ذلك الذي زارني في الليلة الماطرة كان وجهها قبيحا . هل اغتظرت وعبست ؟ لم أشعر بالحقد حين تمدد في السرير لينام معي ، ولكن ، الم أمسك نفسي من التقيؤ ؟ لباس ياسوغاندهي . . . لكنك لم ترفضيه !

ولم ترفضيه ! لكن الافندي صاحب السيارة بصدق علي . « أفالا » ماذا تعني ؟ من أين أحضرت لي ذلك الحرذون يارام لال ؟ أنت تتباھى بهذه الفتاة . . . هذه المرأة تستحق عشر روبيات ! البفل لم يكن بمثل هذا السوء ! . . . كانت سوغاندهي مستغرقة في افكارها عندما انتابتها موجة حارة من أخمص قدمها حتى قمة رأسها . كانت تغضب من نفسها حينا ، وأحيانا تشتم رام لال الذي أزعجها في الثانية بعد منتصف الليل . لكنها ساحتها فجأة ولم تفكرا في ذلك الافندي . وهذه الفكرة دفعت عينيها واذنيها وذراعيها وساقيها وكيانها كلها الى التلتف والبحث عنه في كل مكان . . . كانت تستحوذ عليها رغبة طاغية في ان يتكرر الحادث ذاته . . . مرة واحدة فقط . . . وعندئذ ستتقدم من السيارة ببطء ، يد من السيارة ستسلط الضوء على وجهها وتستسمع صوت « أفالا » وهي . . . سوغاندهي ستتشبث بأظفارها في وجهه بجنون . . . ستهاجمه كقطة متوجحة وستفرز أظفارها الطويلة في وجهه ، ستجره من شعره خارج السيارة وستكلمه بشراسة حتى تتعب . . . وعندئذ يمكن ان تبكي . . . ان شدة الغضب والعجز اثارت سوغاندهي الى درجة ان قطرات كبيرة من الدمع تلأللت في عينيها . سالت سوغاندهي عينيها : « لم البكاء ؟ اي سوء أصابكما ؟ » خفق السؤال في عينيها وردت الاهداب بارتعاشة . فحدقت سوغاندهي في الجهة التي انعطفت فيها السيد .

□ الامانة □

« من اين جاء ذلك الصوت المرتعد ؟ » أجهلت سوغاندهي وتطلعت هنا وهناك . آخر ، انه قلبها ! لقد ظنت انه محرك السيارة . « إن لقلبي ايقاعا سليما ، فلماذا يتباطأ ويرتعد ؟ انه يشبه اسطوانة حاك مشروخة ، توقف في نقطة معينة تحت الاية وتعيد المقطع الفنائي مرارا وتكرارا ! » .

كانت السماء ملائى بالنجوم . تطلعت اليها سوغاندهي وقالت « كم هي جميلة ! » أرادت ان تحول تفكيرها في اتجاه آخر : « جميلة ». ولكنها سرعان ما سرحت مع خواطيرها : « النجوم جميلة ، ولكن انت خرقاء جدا ! هل نسيت ان وجهك منبود ؟ » .

لم تكن سوغاندهي بشعة . ان صورها التي طالعتها في المراآة خلال السنوات الخمس الماضية ، عادت فظهورت أمام عينيها واحدة واحدة . لاشك أنها تفتقد السحر الذي كانت تتمتع به قبل خمس سنوات ، يوم كانت حرة من هذه المضايقات كلها وهي تعيش في كتف والديها . لكن مرور السنين لم يقلب حسنها إلى بشاعة . كانت امراة من النوع الذي يبحث عنه الرجال . وفي نظر سوغاندهي ذاتها ، كانت لها جميع المزايا التي يتمناها الرجل في المرأة لقضاء بضع ليال .

كانت بنيتها الجسمية متناسقة . وفي بعض الاحيان ، كانت تتأمل فخذيها أثناء الاستحمام ولا تتمالك نفسها من الاعجاب بأنهما مثيران . وكانت تتمتع بمزاج طيب ، فخلال السنين القليلة الماضية نادرا ما زارها رجل ولم يستمتع معها . كانت طيبة القلب ، عذبة العاشرة ، وفي عيد الميلاد الماضي ، وكانت تعيش في غول بيتها زارها أحد الفتى . وفي اليوم التالي حين تناول سترته من المشجب اكتشف ان جزدانه مفقود . لقد اختلسه

□ الامانة □

خادم سوغاندهي . احس الفتى بهول المصيبة ، لانه جاء من حيدر آباد ليقضي اجازته، وليس معه فلس واحد للرجوع. فأشفقت عليه سوغاندهي وأعادت اليه الروبيات العشر . «أي عيب في ؟» .

طرحت سوغاندهي هذا السؤال على جميع الاشياء حولها : مصباح الكاز المفتش ، العمود الحديدي ، أحجار الرصيف المربعة .. وحصى الطريق الخلعة . لقد نظرت الى هذه الاشياء واحدة فواحدة ، ثم تطلعت الى السماء التي كانت تنحنن فوقها ، ولكن سوغاندهي لم تتلق أي جواب ! كان الجواب في داخلها . كانت تعرف انها ليست شريرة ، بل انها طيبة بالتأكيد . ولكنها تريد شخصا ما يثبت ذلك . شخص ما - شخص ما - شخص يلمس كتفها وهو يقول : «سوغاندهي ، من يقول انك سيئة ؟ ان من يقول عنك سيئة هو نفسه سيء ... لم يكن ثمة من حاجة لقول لا » . كان يكفي أحدهم أن يقول : «انت لطيفة جدا يا سوغاندهي» .

وراحت تفكير من جديد في السبب الذي يجعلها تمنى ان تحظى من أحدهم باطراء . لم يكن لديها مثل هذا الدافع من قبل . لم لاحظت الاشياء الميتة من حولها في هذا اليوم وأرادت ان تفرض عليها احساسها بأنها طيبة ؟ لم تستطع ان تعرف لماذا كان لكل عرق في جسدها استجابة الام ؟ لماذا كانت تريد ان تضم في حضنها كل شيء في العالم مثلما تفعل الام ؟ ولم تعرف لماذا كانت تريد ان تلتتصق بالعمود الحديدي ذي المصباح وتمسح به خديها لتمتص رطوبته .

بعد حين ، شعرت ان مصباح الكاز الاعشى ، والعمود الحديدي ، وأحجار الرصيف المربعة ، وكل شيء من تلك تلك الاشياء التي كانت قريبة منها في سكون الليل ، كان يتطلع اليها بحنان . حتى السماء المنحنية فوقها ، والتي كانت تشبه قطعة قماش سميكه مغبرة وملاي بالثقوب ،

شعرت بأنها كانت تفهمها ، وكانت هي أيضاً تفهم تلك النجوم المتلائمة . ولكن ، ما طبيعة ذلك البال المضطرب في داخلها ؟ .. لماذا كان في داخلها احساس الطقس المحتقن قبيل هطول المطر ؟ كانت سوغاندهي ت يريد من مسام بدنها كلها أن تفتح لتفتح الطريق لكل ما كان يغلي في داخلها . ولكن ، كيف يمكن تحقيق ذلك ؟

كانت سوغاندهي تقف في طرف الشارع ، على مقربة من صندوق البريد . لسان الصندوق الحديدي الأحمر ، وهو يتدلّى في الفوهة المفتوحة ، تتمت شيئاً فتحركت عيناً سوغاندهي نحو الجهة التي اختفت فيها السيارة ، لاشيء هناك ... كان لديها رغبة طاغية بأن ترى السيارة مرة ثانية ... مرة واحدة فقط ! .. « ولكن ، دعونا منها ومن سيرتها ، لماذا ينبغي علي أن أحطم نفسي ؟ خير لي أن أعود إلى البيت وأنعم بنومة هادئة . ما الداعي لخوض هذا الجدال ؟ إنه للمشاحنة دون جدوى ...

عودي يا سوغاندهي إلى بيتك ، عبي طاساً من الماء البارد ، ودلكي وجهك بقليل من البلسم العطري ، ثم نامي ... وانعمي بنومة مريحة وسيكون كل شيء على مايرام . وليدذهب الأفندي وسيارتة ... إلى جهنم ! » .

شعرت سوغاندهي بانتعاش وكأنها قد خرجمت من حوض الماء بعد الاستحمام ، كما شعرت أن حالتها الذهنية رائقة وهي الحالة التي ينعم بها المرء عادة بعد أداء الصلاة . ولقد تعثرت أكثر من مرة وهي تمشي عائدة إلى بيتها لأن أفكارها كانت بلا ثقل . لكن الحادث تجدد في قلبها مثل ألم مbagت راح ينتشر في كل خلية من خلايا جسمها ، فتشاكلت خطواتها . كانت تعاني من احساس شديد بأنها لم تستدرج من بيتها في

□ الاهانة □

البازار الا لكي يهينها ذلك الرجل الذي سلط الضوء على وجهها . وفيجاً شعرت أن أحدهم يتحسس أضلاعها ليعرف ما يكتنز به جسدها من احمرار وما يكسوه من صوف... ذلك الافندي الله يجعل... أرادت سوغاندهي ان تصب عليه لعناتها ، ثم أدركت أنها بلا جدوى . لن تنعم بالرضا اذا أحضر ولعنت كل خلية من خلاياه . ولا بد لها في حضوره ان تتلفظ بكلمات ستجعله لا يعرف طعم الراحة طوال حياته .

كانت ستتنزع ثيابها لتقف أمامه عارية وتقول : « هيا .. خذ بفيتك مني . هذا ما جئت من أجله . خذ مني بمقدار مادفعت ، ولكنك لن تستطيع ان تساوم على كياني وما اكتنه في داخلي ، وحتى ابوكل لا يستطيع ». كان هناك سلسلة من الطرق الجديدة في رأس سوغاندهي لكي تشفى غليل انتقامتها . آه ، لو تستطيع ان تقابل ذلك الافندي مرة اخرى ! فلو أتيح لها ان تواجهه فسوف تفعل كذا ، وستفعل كيت وكيت . سوف تنتقم منه بهذه الطريقة ، لابل بتلك . ولكن ، حين اقتنعت ان من المستحيل لقاء ذلك الافندي مرة أخرى ، فقد كان عزاء سوغاندهي ان قذفه بشتيمة غير مؤذية ، شتيمة غير مؤذية لا اكثر ، ولكنها ستلتتصق بانفه الى الابد .

في هذه الحالة من الاضطراب صعدت سوغاندهي الى حجرتها . اخرجت المفتاح من صدريتها لتفتح القفل ، لكن يدها دارت في الهواء اذ لم يكن هناك قفل . دفعت سوغاندهي الباب فأصدر صريراً وتحرك . هناك من سحب الرتاج من الداخل فانفتح الباب ودخلت سوغاندهي . ضحك مادهو من بين شاربيه ثم أغلق الباب وقال لسوغاندهي : « يبدو انك امتثلتاليوم لنصيحتي . المشوار الصباحي مفيد للصحة . اذا ثابتت على هذا المشوار الصباحي بانتظام ، فسوف يطرح عنك الخمول »

وسيزول صداعك الذي تشكين منه في كثير من الاحيان . لاشك انك تمشيت الى حدائق فكتوريا ، اليس كذلك ؟ » لم ترد سوغاندهي عليه ولا كان مادهو راغبا بـأي جواب . في الواقع ، حين كان مادهو يتكلم لم تكن سوغاندهي مضطرة للمشاركة . وعندما يكون هناك ما يستدعي الحديث فقد كانت تتكلم عنه قليلا . جلس مادهو على الكرسي الذي كان ظهره ملطخا ببقعة كبيرة من الزيت الذي اعتاد ان يدهن به شعره . وضع ساقا على ساق وراح يقتل شاربيه ، جلست سوغاندهي على السرير وقالت : « كنت اليوم في انتظارك . »

احس مادهو بارتباك شديد : « في انتظاري ؟ .. كيف عرفت اني سأقوم بـزيارةك اليوم ؟ » .

انفرجت قليلا شفتها سوغاندهي المزمومتان عن ابتسامة شاحبة : « البارحة رأيتك في المنام . صحوت فلم أجد احدا ، لذلك رأيت من الافضل ان اتمشى قليلا في الهواء الطلق ... و ... » فقال مادهو بمرح : « وعندئذ وصلت ، اوه ، يالناس الكبار وأفكارهم الناضجة ! يقول أحدهم بذكاء : الحب يجلب الحب ... متى حلمت ؟ » .

اجابت سوغاندهي : « حوالي الساعة الرابعة . » نهض مادهو عن الكرسي وجلس بجانب سوغاندهي على السرير . « وانا رأيتك في المنام في الساعة الثانية تماما ، وانت ترتدين الساري المزين بالورد وتقفين قربى ... هذا الساري ذاته ، وفي يدك ... ماذا كان في يدك ؟ نعم ، كان في يدك صرة كبيرة من النقود .. وضعتها بين يدي وقلت : « لماذا تنزعج يامادهو ؟ .. خذ هذه الصرة .. مالك او مالي .. واحد لافرق .. سوغاندهي ، أقسم لك .. لقد مضيت واشتريت البطاقة لاتي الى هنا .. كيف اخبرك بالمشكلة التي اواجهها ؟ .. ابني متورط بقضية دون اي ذنب

□ الاهانة □

لو كان معي عشرون روبية لاستطعت التخلص من المفتش بتقديمهما رشوة له ... ألسنت متعبة؟ تمددي لا فرك لك قدميك.

المشي متعب، اذا لم يكن الانسان معتادا عليه ... تمددي وخليل قدميك نحوي ..».

تمددت سوغاندهي واضعة ذراعيها تحت رأسها كوسادة وخاطبت مادهو بنبرة لم تكن لها: « من هو ذلك اللعين الذي أقام ضدك دعوى يا مادهو؟ ان كنت خائفا من الحبس ، دعني أعرف ... من حسن التدبير ان تعطي المال للبولييس ان كنت متورطا ... على الانسان ان يشكر طالعه ليظل طليقا ... يكفي ، لم أعد متعبة .. لاتتبجح وتسرد علي الحادثة كاملة .. ان قلبي بدأ يدق بعنف منذ سمعت بأن هناك دعوى ضدك ..».

ابتسم مادهو كالسكران . لقد ظن ان الفرصة مواتية للحديث فقال فجأة: « سأعود في قطار الظهيرة ... اذا لم اعط المفتش خمسين أو مئة روبية قبيل المساء ، عندئذ .. لاحاجة ان أعطيه أكثر .. أظن الخمسين ستكون كافية ».

« خمسين ! » تمنت سوغاندهي وتحركت باتزان بالغ نحو الصور الاربع المعلقة على الجدار . كانت صورة مادهو الثالثة من اليسار ، وقد جلس على كرسي ويده على فخذيه وخلفه ستارة مزينة بالورود ، وهو يمسك زهرة بيده ، وثمة كتابان ضخمان على منضدة صغيرة بجانبه . كان مادهو واعيا بشدة انه أمام آلة التصوير ، ولذلك بدا وكأن كيانه كله يبرز خارج نفسه ! وكان يتطلع الى الآلة وعيناه جاحظتان وكان اتخاذ ذلك الوضع للتصوير كان مؤلما جدا له .

قهقهت سوغاندهي .. كانت ضحقتها حادة الطرف الى درجة ان مادهو احس بوخزة ، فنهض عن السرير واقرب من سوغاندهي متسائلا:

« صورة من آثار كل هذا الضحك ؟ » أشارت سوغاندهي الى الصورة الاولى من اليسار ، وهي صورة مشرف البلدية الصحي . « .. تلك .. صورة مشرف البلدية .. تأمل قليلا وجهه القبيح .. يقول ان راني وقعت في حبه .. اف ، ياله من وجه كريه ... » قالت ذلك وانتزعت الاطار بقوه شديدة الى درجة ان المسamar خرج من الجدار ساحبا معه الملاط المحيط به . كان مادهو مايزال ذاهلا حين قذفت سوغاندهي بالاطار خارج النافذه فهو من الطابق الثاني وكان لارتطام الزجاج المهمش بالارض صوت مسموع . قالت سوغاندهي : « الكناس عند راني سيقوم بالتقاط هذه النفات وسيأخذ سيدى الامير معه ايضا .. »

تبسم مادهو بصعوبة ثم تضاحك : « هيء .. هيء .. هيء .. »
 انتزعت سوغاندهي صورة صاحب العمامة بيده ومدت اليد الآخرى الى
 صورة مادهو . انكمش مادهو داخل نفسه وكأن يدها اندفعت نحوه .
 صار الاطار والمسمار معا في يدها خلال جزء من الثانية .

ضحك خافقة وقالت : « أف ، لا » ثم رمت بالاطارين من النافذة . ترافق الى سمعهما صوت ارتطام الزجاج بالارض ، احس مادهو بأن شيئا تحطم في داخله . تضاحك بعناء شديد ولم يقل الا : « احسنت صنعا ، لم اكن احب تلك الصور .. » تقدمت سوغاندهي على مهل من مادهو وقالت : « الا تحب تلك الصور ؟ .. ولكن ، هل من شيء في داخلك يمكن ان يحب ؟ هذا الانف الكبير .. وهذه الجبهة كثيفة الشعر .. وهذا المنخران المنتفخان .. وهاتان الاذنان المقتولتان .. وهذه الراحة من فمك .. وهذه القذارة المنبعثة من جسمك ؟ .. أنت لا تحب صورتك ، اوه .. لا ! .. كيف تستطيع ان تحبها ؟ .. كانت تخفي عيوبك .. كانت .. والايات تقول كلمتها : ان من يخفى عيوبه لابد ان يكون شيئا . » تابع مادهو تراجعيه حتى اصطدم ظهره بالجدار ، ثم قال

□ الامانة □

لسوغاندهي بصوت لا يخلو من اصرار : « اسمعي ياسوغاندهي ، ييدو انك عدت لممارسة تلك المهنة ثانية .. وأنا انذرك للمرة الاخيرة ...» التقطت سوغاندهي جملته لتكملها بالنبرة ذاتها : « اذا عدت لممارسة تلك المهنة ثانية .. فلن تقوم بينما أية صدقة . اذا دعوت اي مخلوق الى هنا مرة أخرى .. فسوف اجرك والقي بك خارج البيت .. وسأرسل اليك مصروف البيت حالما اصل الى بونا ، نعم ، كم اجرة هذا الجحر؟» وقف مادهو حائرا .

تابعت سوغاندهي : « ها أنا أخبرك : اجرة الجحر خمس عشرة روبية في الشهر ، وعشر روبيات لي .. وكما تعلم فان القواد يأخذ روبيتين ونصف ، وكل ما يبقى سبع روبيات ونصف ، أليس كذلك ؟ وهذه الروبيات السبع والنصف قد وعدتك بها ولكنني لا استطيع وأنت ترغب في الحصول على شيء لا تستطيع الحصول عليه .. فأي علاقة تربط بينما ؟ لاشيء ! لاشيء الا تلك الروبيات التي تخشخش بيني وبينك ولذلك قررنا أن يكون واحدنا للأخر ... أولا ، كان بيني وبينك تلك الروبيات العشر ، والآن خمسون روبية .. أنت تسمع خشختها وأنا كذلك . أية فوضى صنعت بشعرك ؟ » .

قالت سوغاندهي ذلك وقدفت فبعة مادهو باصبعها ، فلم يرق ذلك مادهو فصاح بمرارة : « سوغاندهي ! » .

التقطت سوغاندهي منديلا من جيب مادهو ، تشممته ثم أقت بـ على الارض : « هذه الخرق ، هذه القطع البالية من القماش ... كم رائحتها كريهة .. ارميها بعيد !! » ..

زعق مادهو « سوغاندهي ! » فرددت سوغاندهي بحدة : « آه ، ياضنى سوغاندهي ! لماذا جئت الى هنا ؟ هل تعيش أمة هنا لتعطيك خمسين روبية ؟ وهل أنت من الوسامـة حتى اقع في حبك ؟ .

□ الامانة □

يالك من كلب حقير ! ت يريد ان ترعبني ؟ هل أنا من اتباعك ؟ ومن تكون ؟
لص او مختلس جيوب ! ما الذي جاء بك الى بيتي في مثل هذه الساعة ؟
أ تريد ان استدعي البوليس ؟ أنت متورط بقضية في بونا ، فهل ت يريد
آخرى ... ؟ .

احس مادهو بالخوف ولم يتمالك نفسه ان يسألها بصوت خانع :
« ماذا جرى لك ؟ » ردت سوغاندهي صارخة : « لي أم لامك ؟ من أنت
بحق الجحيم حتى تسألني ؟ أخرج والا ... ! » بدأ كلبها الا جرب ينبع ،
بعد ان كان نائما على الشحاطات المهرئة في مواجهة مادهو ، فضحتك
سوغاندهي . استحوذ الخوف على مادهو فانحنى ليلتقط قبعته ، لكنه
سمع صوت سوغاندهي مرعدا : « اياك ان تلمسها ، دعها في مكانها
هناك . انقلع الى بونا وانا سأرسلها اليك بالاجر » ثم راحت تضحك
بصخب وجلست على كرسي الخيزران . ارغم كلبها الا جرب بنباحه
المتواصل مادهو على مغادرة الحجرة . وبعد ان طارده وهو يهبط الدرج ،
عاد الكلب ملوحا بذيله الا جرد فأقترب من سوغاندهي وراح يصفق اذنيه
بجوار قدميها فتوجست منه نذير شؤم ، وأحسست بدھشة رهيبة تتحقق
بها ، وحشة لم تكابد مثلها من قبل . كان تحس ان كل شيء كان خاويا
تماما كالقطار الذي انزل المسافرين في شتى المحطات ثم توقف وحيدا
تحت المظلة الحديدية . هذا الشعور المفاجئ بالفراغ داخل سوغاندهي
كان موجعا لها جدا .

لقد حاولت طويلا ان تملأ ذلك الفراغ ولكن دون جدوی . حشت
رأسها تلقائيا بالكثير من الافكار ، لكنه كان كالمنخل . فكلما ملأت رأسها
الفته فارغا في اللحظة التالية . سرحت مع خواطرها لمدة طويلة وهي
جالسة على كرسي الخيزران ، لكنها لم تستطع ان ترسو في اي مكان
يريح قلبها .. فالتنقطت كلبها الا جرب واحتضنته ومضت لتنام في
سريرها الخشبي العريض .

□ الامثلة □

على هامش القصة :

لم اقرأ لهذا الكاتب من قبل ، لكنني حاولت جاهدا أن أقترب من روحه الشرقي .. ولعلي لم أخطئ كثيرا . ان اسم سوغاندهي يعني (عبير) في لغة الكاتب الأصلية ، وهو اسم يتكرر عشرات المرات في القصة .. حتى خيل الي أن لغة الاوردو خالية من الضمائر ، لكن بداية القصة أكدت لي عكس ذلك . وهذا يعني ان لهذا الاسم مكانته في نفس الكاتب .

لقد احتفظت الترجمة الانكليزية بعدد من الكلمات (الاوردية - الهندية) ، وكان للصديق هاريش شاندولا الفضل في فهمها ومقاربة معانيها . وقد آثرت ان اترك كلمة (البازار) - كما وردت - بدلا من (السوق) في بعض الجمل مراعاة للسياق ، اذ احس ان كلمة (بازار) ادنى قيمة من كلمة (سوق) .

- غانيش : إله الطالع السعيد في الموروث الهندي ، وهو ابن شيفا ويرمز اليه برأس فيل وجسد انسان .

سوغاندهي ، بطلة القصة ، تمتلك البغاء منذ خمس سنوات، لكنها ماتزال طفلا في أفكارها وأحلامها وحتى حيلها ولعبها المفضلة . في حجرتها ببغاء لانسمع له صوتا .. فهو يؤثر النوم لأن العلاقات الإنسانية الحميمة لا وجود لها في تلك الحجرة .. لسبب بسيط هو ان الرجال الذين يزورونها عاجزون عن اقامة مثل تلك العلاقات . أما الكلب الاجرب الذي أحضرته في ختام القصة .. فقد كان ، من زاوية انسانية ، افضل من جميع الرجال الذين مروا في حياتها .

ع ٠ ٩

* * *

الدّوّة الْأَلْفِيَّة

خالدة أصغر

ترجمة: أسامة أسرار سعيد

(Khalida Asghar)

فتحت الباب . أربكتني الضوء الباهر وحرارة الخارج بعد تجربة العتمة الرطبة في الداخل . أغلق الباب الرمادي ذو الحاجز الفباري دون أن تصدر نوابضه صوتا . تصاعدت رائحة صبغة اليود والكحول من خلف الباب المغلق . كان هناك اناس يجلسون على المقاعد الجلدية الطويلة يقلبون بكل سل صحفا ومجلات ، من بينها : « المرأة » (Nawa - e - Wagat) و « باكستان تايمز » . كنت أقف في الخارج ، في السرائق . قبل بضعة ثوان كنت في الداخل وانا الآن أمام السرائق ، حيث توجد مراجمة صغيرة محاطة بسياج كثيف . من هنا فقط يستطيع المرء أن يلمع مسكنة من الازهار وزهرا أصفر يتفتح مثل كتووس صغيرة . لا أعرف كيف أسميه وبمحاذاة المرج امتد ممر غير مرصوف انتهى عند البوابة البيضاء . بعد ان هبطت خمس درجات من السرائق ومشيت على طول السياج وصلت الى البوابة وفتحتها . أصدرت محاورها صريرا . خارج هذه البوابة امتد طريق مزدحم .

□ الدودة الالفية □

خطوت الى الخارج . أغمضت عيني قليلا لاستوعب كل ما هو أمامي .
تلشت الظلمة الحمراء في الظلمة الخضراء . بعدها ، تلشت بقع الضوء
الشاحب في زرقة سوداء كانت تتبدل أحيانا نحو الابيض . استمرت
صور الاشياء باللمعان ومن ثم التفت الانشوطة حول عنقي . بدا فكاي
بالتراخي ، كان فمي فاغرا . حاولت أن اصر بأساني بقوة وبدأت قبضاتي
توجعاني ، مع ذلك ، بقيت الاسنان العليا والسفلى منفصلة .

اخيرا ، أخرجت الزجاجة من جيبي وبلغت قرص دواء . أنا أعرف
أن دودة الفية تنمو في داخلي ، تمد اعصابها شيئا فشيئا وتزرعها في
شراييني ، لكنني لا أصدق رغم اني أعي ذلك . كان الطبيب قد اخبرني
عنها لتوه في تلك الفرفة . مع ذلك ، اتعجب كيف تستطيع حشرة أن تنمو
في داخلي . بدا لي الامر وكأنه بعيد عن الصحة .

ذاب قرص الدواء في فمي وبدأ فكاي ينطبقان تدريجيا على بعضهما .
حدقت بالطريق المزدحم . يوجد نهر يحزر بالبشر ، بالعربات والتاكسيات
والدراجات والسيارات وفي الجهة المقابلة ، في مخزن حامد للتجارة العامة ،
هناك شخص ذو نظارة سوداء سميكه الاطراف ، منهمك بصحيفة ، يمرر
يداه على شعره . قربه ، صبي بائف ضخم جدا وشعر اسود كثيف جدا
وكتفين منحنتين يضع زجاجة كريم امام امراة ترتدي « البركا » . وعلى
رفوف المخزن وضع الكثير من العلب الكرتونية اللامعة ، العديدة
الالوان .

« حامد للتجارة العامة » . يدهشني اني انظر الى هذا المخزن للمرة
الاولى رغم اني مررت قربه عدة مرات . بجوار هذا المخزن يوجد مخازن
آخر : « أحذية سليمان » ، مخزن امين للأدوية ، صالون الملوك
للحلقة . ثمة شاب يرتدي مئزا يدلله شخص بوجه يتوجه حمرة
وشرايين صدغية تتسع . وكانت زهيدا بارقين تغنى الكافي (Kafi)
في الراديو .

استطيع ان اميز صوت « زهيدا بارفين » والفنين الآخرين من مسافة بعيدة ، حتى وسط الضجيج . وأيضا يدهشني ان بعض الناس مثلا ، حتى أصدقائي ، لا يستطيعون التمييز بين الاصوات .

ومن محل « سليمان للاحذية » خرج رجل نحيل صغير القامة يمسك أصبع صبي بعينين متوجهتين ويحمل علبة أحذية . وهذا يجعلني أتذكر فجأة أنني خرجمت الى الجهة المقابلة لمنزلي . لذلك ، وبعد انعطافه ، وصلت الى موقف العربات . أصطفت ثلاث عربات جنبا الى جنب . اثننتان بلا ركاب ... في احداهن كان أحد السائقين يدخن باسترخاء . للمرة الأولى اليوم لاحظت ان للعربة شكلًا حيا غريبا . ويبدو لي أنني أبحث عن شيء حي عوضا عن عربة تدبر اثناء المسير وجهها وتنظر الي وتئن كالدودة الالفية التي تترعرع في داخلي .

ويصد ان ينفث السائق نفسا ثقيلا من سيجارته ينظر الي : الى أين ستذهب يا سيد ، ويسأل بحماس فاتر : الى سامناباد ؟ « اصعد ... » يدير العداد ويجهز العربة ذات المقاعد المنحدرة حديثا بأغطية بلاستيكية مطبوع عليها ازهار خضراء وحمراء . وأمام وخلف السائق ثبتت مرآة صغيرة على « مدراء » ، وعلى البابين اليميني واليساري علقت حبال سلكية بشرابات تفوح منها رائحة الفبار والبنزين . ادهشتني الرائحة المختلطة وحقيقة اني متوجه الى سامناباد . ما هي سامنا آباد ؟ سامناباد صحيحت اللفظ .

بعد ذلك ، وللمرة الأولى ، ادرك اني انسى اسماء الاشياء . يموت الشيء حالما يفقد اسمه . وانا لا اتجسد في حجم معين لاكرر هذه الاسماء لهذا السبب ، وبينما انا في الطريق ، احاول ان اقرأ جميع اللوحات . شيفاري - ي - آباد ، شيخ عطا الله ، محامي ، ماركة تيتلي للخيوط ،

توايل شاميتم الساخنة ، تميمة للحب سوف تجذب قلب المنشورة ولو كان من حجر . الا أن كثيراً من اللوحات والملصقات المثبتة الى الجدار ، تعبير بسرعة فلا استطيع قرأتها ، لذلك احاول أن اذكر اسماء أشياء قريبة مني .

كان هناك أشياء كثيرة معي : قميص ، ربطة عنق ، دبوس لربطة العنق ، قلم ، محفظة ، عملة ، فراطة . لكن لا اعرف لماذا فقدت الاشياء اسماءها وأنا مصمم على الاحتفاظ بالاسماء . منذ ذلك الوقت وأنا اكرر اسم كل شيء غيباً . أريد حقاً أن ادرك الاشياء من خلال الكلمات ، لهذا غالباً ما تستمر قائمة طويلة من الاسماء بالتجمع في ذهني و كانه مطلوب مني أن أرددتها بصوت مرتفع في مكان ما . يزداد الولع الجنوني بالاسماء كل يوم . أحياناًأشعر بالفيرة من الناس حولي ، بعد ذلك تتحول الفيرة الى كراهية والكراهية تحاصرني و كانها جنون اسود . للبشر الذين حولي اسماء كثيرة أنا شجرة منها ولن يصبحوا أبداً جزءاً من ذاكرتي . يبدو لي أن الناس يحرسون في داخلهم اسماء كثيرة ولهذا السبب اتمسك بها باحتقار . ان الرغبة بالاسماء غريبة جداً و اشعر الان انه يوسعني أن اكتب شيئاً ، وفي الحقيقة ، منذ عشر او خمس عشرة سنة ، كان هناك شيء يحثني على الكتابة . لهذا السبب اشتريت ماعونا من الورق وزخرفت طاولتي بالقرطاسية . لكن عندما أخرجت قلمي شعرت وكأنني أقرأ بدلاً من أن اكتب . لم يكن هذا هو الوقت المناسب للكتابة وسيكون هناك وقت للكتابة . وبالتالي بدأت بالقراءة ، وبعد قراءة بضعة اسطر جاعني محرض الكتابة . امسكت قلمي الا أنني لم اقدر ان اكتب . في الحقيقة ، علي أن اكتب عن شيء ما لم تتوارد الكلمات لتعبير عنه . لهذا رميت القلم جانباً وبدأت القراءة ثانية بعد أن اوقفت القراءة خمس عشرة سنة، وبشيء

□ العودة الالفية □

يشير الفرابة بما فيه الكفاية ، شعرت اني احب الكتابة . هل استطيع ان اكتب؟ اشتريت لهذا السبب ماعون ورق وكسوت طاولتي بالقرطاسية . بعدها حملت قلمي وبدأت اكتب ساعات وساعات حتى تعرقت جبهتي وسخن القلم - احسست بالاحترق في اصابعي - ولكن لاحظت بعد ان كتبت انه يوجد اسماء للأشياء على الورقة فقط . هذا هو الامر - تلك الرغبة بالكتابة - فقط اسماء شيء . جميع الاشياء التي اعرفها ورأيتها وما اريد ان اراه . ولو كان بوسعي ان اكتب اسم كل شيء لاحتاجت بالتأكيد مئات الصفحات .

لكنني لا استطيع ان احظى بالفراغ اللازم لمهمة كهذه . دائما هناك شخص قربى ليعتنى بي ، في حين اني اخبرت الجميع اني استطيع ان اتناول الدواء بمفردي .

انا ايضا املك ساعة فيها عقارب لحساب الثواني . رغم ذلك ، يتجلو الناس حولي وانا لا اريد ان اكشف سر كتابتي بعد . يوجد سبب محدد لهذا . لحت فقط لكاتب من اصدقائي ان لا معنى للكتابة المستمرة ، على الكاتب ان يجمع الاسماء ، على كل شخص ان يبحث عن اسمائه المستقلة ، يجمعها مع بعضها وهذا يكفي .. وهذا ما دفع صديقي الى الضحك : اذن ، القواميس هي الادب العظيم للعالم . اشعرتني قلة معرفته بالاشمئزاز ، اذ ان القاموس يحتوي على الكلمات فقط لا على الاسماء . ان الاسماء اشياء موجودة مع الانسان وفيه . وثمة من يرى ان الانسان يمكن ان ينسى اسماء الاشياء التي تشكل جزءا منه . الا ان كل هذا كان بعيدا عن فهم خديقي ، لهذا السبب بقيت هادئا . والآن ، انا اكتب بسرية اثناء الليل ، وحالما تحفظ الاسماء على الورق انساها وبهذا شيء في داخلي . اعلى ان ابني جميع الاشياء ؟ هل انا احث دمي ، عظامي ،

□ الدودة الالفية □

جلدي ؟ كيف سيكون أسلوب حفظ الاشياء بعد ذلك وفهم المعرفة ؟ هل نقتل الاشياء بعد امتلاكها ؟ غالبا لهذا السبب ، أثناء الليل ، أعيد، بوعي ، خلق بعض الاشكال امام عيني واثبت اسماءها عليها . بيد ان الاشياء التي لا اسماء لها تزداد عددا وعلي ان اعيد قراءة ما كتبته في منتصف الليل . أثناء القيام بذلك اشعر بالفيض من الناس الذين يعيشون حولي . يخبطون اسماء في صدورهم .

والناس يعرفون انهم مؤمنون على اسماء ولهذا ينبعط صدرهم وينقبض بسهولة أثناء التنفس .

يتملكني احيانا احساس بأنني منهك من الكتابة اذ احس بمخالب تتحرك وبأغصان تصدر حفيقا في داخلي ، وبوجود جبل مشنقة حول عنقي . يرتعي فكاي ويمتلئ فمي برضاب قدر لا يصدق ولا يتطلع . اشعر بالاسترخاء قليلا . في هذه الحالة تبدو كتابتي عيشا . لا يوجد اسم ، او أي شيء اكثر حيوية من هذه الدودة الالفية التي تمد مخالبها . اتساع ، تقلص ، جميع الاسماء .

فجأة تضع زوجتي زجاجة الدواء وتخرج قرصا : اسرع ، لقد تأخرت نصف ساعة . لا اشعر اني احب تناول الدواء . يتلاشى صوتي احيانا . تذكرني هذه الحالة بقصة الدكتور جيكل والسيد هايد . وارغب ان اشاهد نفسي في لحظة التحول هذه . لكنني غالبا ما ابقى بعيدا عن المرأة . في الحقيقة ، لا يوجد مرآة في غرفتي .

احيانا يحلق الحلاق ذقني . وعندما امشط شعري في الحمام امام المرأة تختفي لحظة التحول . اخرا ، في احدى الليالي ، وضفت المرأة قربي وشفلت نفسي بالكتابة . بدا ان جميع الاسماء التي امتلكتها كانت منهكة . الان ، لا اقدر ان اكتب ثلاثة او اربعة اسماء في اليوم وانتظر

وقتا طويلا والقلم في يدي وبطريقة ما ، جميع الاشياء جاءت الى نهاية عندما اخرجتها مني . وعندما تصبح في الخارج تتحول الى كلمات ، لذلك اشعر انني مجوف تماما ، ما عدا في تلك الساعة عندما تنمو الاغصان ، تخدشني شرائيني وتتنفس في داخلي في تلك الليلة ، انتظرت والقلم في يدي . تكاد عقارب الساعة ان تلامس الواحدة والنصف والمنبه على وشك الرنين . قبل ان تنام زوجتي ضبطت زووجتي المنبه قبل ان تنام بحيث يرن كل ساعتين . اعطيتني الدواء . الا انني اليوم عطلت المنبه . بعد ذلك فكاي ارتخيا واطبقت اهدابي . عصرت قدمي وضفت على اسنانى . تعرفت من الجهد المبذول . بعدها تقلب شيء في حنجرتي وصدرى انها الحشرة نفسها التي تنموا في داخلي . حفرت الحشرة بمخالبها الطويلة في حنجرتي تمتد امامي ظلمة المعنى الرطبة . نظرت الى المرأة في اللحظة الحرجة وتأكدت من عبшинة الاسماء . سنوات عديدة عشت مع نفسي وحددت نفسي باسم ، الا ان هذا التحديد كان مصطنعا . هناك هوية اخرى خلف الهوية المصطنعة ، لب البذرة تحت اللحاء السميكي . هذا اللب هو بدون اي شكل ولهذا السبب لا يسمى . مع ذلك له هويته الجزئية . وبالتالي ، شاهدت نفسي وصدغاي لم يكونا ... آه ... : انها الساعة الثانية . نهضت زوجتي بسرعة وأحضرت كأسا من الماء : اسرع تناولها ، انت مستيقظ حتى هذا الوقت من الليل . نعم ، اجبت بصوت ضعيف . انظري ، ان فكي يلتويان ، قلت هذا لزوجتي وأدرت وجهي جانبا ... نظفت وجهها بالدوبياتا (Dupatta) وعرفت انها كانت تبكي . كان لكل شيء قناعه دودة الفية مدت أغصانها وحكت خلايا الاعصاب داخل قناع الاسماء الذي لا حياة فيه . لهذا السبب تبلعت ذاكرتي اسماء اشياء كثيرة .

الآن اعيش مع الحد الادنى من الاسماء . في بعض الاوقات لم استطع تذكر اسماء اشياء ضرورية جدا ، سيدير أولادي وجوههم جانبا ويمسحون دموعهم . سيبتسمون ويتحدون بابتهاج في حضوري . لهذا السبب تخيلت الاشياء المحسوسة بدلا من الاسماء . وكان امرا ملحا ان استحضر الاشياء الى الذاكرة بلا اسماء . لهذا السبب، بدأت بقراءة اشياء متنوعة في المنزل . أحيانا اذكر بشيء قديم ، قديم جدا ، فمثلا ، في احدى الليالي ، تذكرت فجأة غليوني القديم جدا ، نهضت من النوم وجلست . شيء ما يجبرني أن أبحث عن اشيائي - ولم اعرف منذ متى خباته في مكان ما . أيقظت زوجتي وذكرتها بالغليون الذي اعتدت ان ادخن به منذ ست او سبع سنين . قالت زوجتي بصوت حزين : اذهب الى النوم الا أني ألحث . ادهشني لماذا تحدرت الدموع من عينيها . نهضت وبخت عن الغليون في المنزل ، في العلب والادراج ، واخيرا وجدته في صندوق الوراق التالفة . نظرت اليه . لسته . بعد ذلك أعدته الى مكانه .

الآن ، عرفت انه كان حاضرا . لو لم يكن هناك ، عندها ؟
بالنسبة الي كان مجرد التفكير نفسه لا يتحمل بالتدريج ، لم اتخيل اشياء خاصة .

الآن ، أنا لا ابحث عن اشياء خاصة ، بالاحرى ابحث عن الاشياء فقط . اشياء ، اشياء لا تحصى . في أحد الايام وفي درج الطاولة وتحت اوراق عديدة وأقلام رصاص وقطع ورق صغيرة عثرت على اوراق صفراء شاحبة . بهذه الوراق لفت صور زمادية بأشعة اكس . صندوق من الاصلاع الدائرية امتدت داخله اغصان كثيرة مثل ارجل ام اربع واربعين . كان يوجد ظلمة داخل الاصلاع . والفراغ بعد ذلك الججمة، رمز يذكرني بالخطر - الصق عليها نفس الفصن الذي يشبه ام اربع واربعين . فكان

مربعان مقسمان الى قطع صغيرة في الامام مليئان بالظلمة والفراغ . على كل من الورقتين كان أسمى مكتوبا في الاسفل . بعد ذلك تحسست ونظرت الى اضلاعي المكتسبة بالجلد ورأسي المقطى بالشعر ... هذا الصندوق من الا ضلاع الدائرية ... وتلك الدودة الالفية التي بدأت تزحف في داخلي وتمد اقدامها وتحك شرائيني . وبدا ان هذه الدودة ستدير وجهها، تنظر الى وثن - وهذا سيكون معنى الخدش السائلي - الذي لا يمكن تجنبه ، يتسع دائما وحيـا دائمـا . والمعنى الاول والاخير لكل شيء . انظري : هذا انا . حدثت زوجتي وبعثرت الاوراق الرمادية امامها . الا انها لم تفهم شيئا . نعم .. الان ليس لأشعة اكس هذه من فائدة .. ضعيها في اي مكان .

اشعر الان اني لست نفسي - لدي زوجة وأولاد - أصدقاء ومعارف وجميع البشر المتجولين على الطرقات وفي المساكن المهجورة ، الوجود برمته . ليس له هوية اطلاقا سوى ان الاسم مكتوب في الزاوية . عندما يزاح الاسم عن الانسان يتوقف عن كونه موجودا .

وعندما ينتهي الاسم يعيش كل انسان فراغه . هذا الفراغ (التجوف) هو الدودة الالفية . ونحن نحس فراغنا في داخلنا رغم ان رؤيتنا تؤكد لنا بشكل واضح انه ليس لنا هوية . بعد ذلك ، ركزت كلها على الدودة الالفية التي تتغذى في داخلي . اردت ان اعرفها وأراها . لكن استنادا الى الطبيب لا يمكن رؤيتها حتى بأشعة اكس بما أنها كائن حي ، تتموج وتصدر صوتا ولها مخالب . في أحد الايام وضفت أمامي كومة من الاوراق كتبت عليها كلمات لا تحصى . لكنني لم استطع تحديد الكلمة بينها ، فجأة تعالى ذلك الانين الذي بدأ ينمو في داخلي حتى احسست كأنني سأنفجر - شيء ما ينمو في داخلي يمتضى دم الجميع .

□ الدودة الالفية □

حاولت ان أستعيد تنفسى ، الا أن العرق بدا يتدفق من جبهتي . فتحت زوجتي فمی بسرعة ووضعت قرص الدواء . لكن كان هناك ابر لا تحصى مكان لسانی .

كان الدواء ايضا مثل ابرة امتزجت بابر أخرى - شيء ما - كان ينمو ، يتسع في داخلي - كان جلدي على وشك الانفجار . بعد ذلك أدركت انه حان وقت ذلك الانين الذي كان الكلمة الاولى والأخيرة ، الصوت الاول والآخر .

بيد اتنى سمعت الطبيب يقول : تخلص من هذه الدودة الالفية ، اقتلها . لا ، لا ! اردت ان اقول ان هذا اللب السام الذي ينبع من متجذرا في داخلي - في كل مكان ، يحتل كل ركن من جسمي وكل كلمة اريد ان اتفوه بها . لكتني لا اذكر ما قلت - فيما اذا كنت قد تفوته بشيء ما ام لا ، عندما تلاشى صوتي - والآن ، الى اين يأخذونني ؟ اعرف انهم يأخذونني بعيدا الى مكان ما ، الى مكان مهجور ، الى الظلمة والصمت العميق . هنا ستقتل دودتي الالفية ، هذا الصوت الاول والآخر ، هذه الكلمة الاولى والأخيرة .

* * *

الشرطي جمال

- جي . اس . شارات تشاندرا
 - ترجمة : إينال عرسان
-

« المثل القديم القائل بان السكوت من ذهب ، يعود الى ذاكرتنا من خلال هذه القصة الرائعة التي تدور حول النجاح في العمل الرسمي . »

* * *

ليس من السهولة بمكان تلبية رغبات النفس ، والتوصل الى ما نطمح اليه خلال الخدمة الرسمية . بدأ عمل كشرطي متدرّب بامر قاضي البلدة ، بالرغم من أن والدي « جمال الاكبر » تقاعد برتبة « دافيدار » بعد خدمة ثلاثين عاماً أخلص خلالها للحكومة وكأنها والده . الجميع ، من انسان ووحش وحشرة على بعد ميل من بلدة « نانجا نجود » كانوا يرتجفون مجرد سماع اسمه ، عندما كان يغادر في الصباح متوجه الى المحطة بذاته الكاكية اللون وقد لمع « بكلة » نطاقه التي تعكس ضوء الشمس في عين اي شخص مريب معمية ايام عن اي خطط مشينة . وشارباه المشدبان المعقوفان اللامعان بفعل الدهن ، يبدوان على شكل هلال على

□ الشرطي جمال □

وجنتيه ، وعمامته الملفوفة على رأسه كانت أطول « بانش » من تلك التي يعتمرها المهراجا نفسه . البلدة كلها كانت تشع بالامن والانفساط . كان الناس يمشون على جانب الطريق احتراما لـ « الدافيدار صاحب » . كان يقود دراجته الهوائية وكأنه يقود الفيل الملكي نفسه مختالا الى مقر الشرطة . لم يكن ليحيد انسا واحدا عن منتصف الطريق لاي عربة خيل او ثيران تلاقيه في الطريق . هكذا كانت أيام مجده . حتى يومنا هذا يجتمع الناس ليتبادلوا الاحاديث والذكريات حول جمال الاكبر ، دافيدار الدافيدارات !

لو لم اكن اينا مثل هذا ااب الرائعولي كل هذا التراث المجيد لما تحطيت بالصبر وفهمت الطريقة التي عينت بها في هذا المستوى المتدني من التسلسل الوظيفي ولم اكن لاغلق فمي في وجه هذا التجاهل لنسيبي بعد كل شيء فإن ابن لاب مشهور كأبى يستحق درجة أعلى على سلم القانون المتوسط في الكيمياء وعلم النبات والحيوان . لاشك أن أولئك الاولاد البراهمة حاذقين جدا فيما يتعلق بالكتب ويحتازون الامتحانات بدرجات محلقة لكن وبما انهم يقتاتون على النباتات فلست اعتقد بأنهم قادرين عضليا على اللحاق بسارق هارب أو على مصارعة انحل قاتل . فقط من هم ليسوا براهمة امثالى بفضل النبي واللحم الجيد الذي احصل عليه من دكان « سابو » القصاب ، اللدان ساعدانى على تنمية قوتي وجلدي ليتناسبا مع متطلبات وظيفة حكومية كالعمل في الشرطة . أنا ايضا اعلم بأن والدي لو كان على قيد الحياة ولو كان كبار الضباط الذين عرفتهم طوال حياته لازالوا في « نانجانجود » لكن قد عبر لاحدهم ببساطة عن رغبته في الحصول على ترقية لابنه ، ولرقيت على اثرها على الفور .

□ الشرطي جمال □

لكنه قد رحل ووجوه جديدة تحتل جميع المناصب الهامة . على كل فانا واثق بأن الصنائع الحميدية في خدمة الحكومة ستشر في النهاية ولن يمر وقت طويل قبل أن أصل الى ما استحقه بمقدراتي وبأسلافي .

لست أتضائق البتة من واجبي الصباحي الذي يتمثل في الوقوف لحراسة بوابة القاضي . وانا فخور بزببي ، حيث أرتدي « بكلة » نطاق والدي التي لازالت تشع ، وقد قصصت عمامته لتناسب قياس رأسي . وقد سمعت بأن الناس يتهمونني بكوني أذكرهم بوالدي على الرغم من أنني لا اقود دراجة . في بعض الاحيان تراودني احلام نهار بطولية خصوصا في الايام الحارة حيث أتخيل ان منزل القاضي هو احتياطي الحكومة من الذهب وانا الحارس الوحيد عليه . اقوم باستجواب من يقترب خمس خطوات من البوابة بنفس السلطة التي يحوزها تقىب في الجيش .

وانا دائم الاستعداد للامساك بالهراوة المعلقة الى جانبي . في احيان اخرى اتخيل ان اقرباء لص او قاتل يتربصون بـ « سعادتكم »(*) يريدون قتلها قبل ان يحكم بقضيتهم . لكن غالبا لم يكن احد يأتي لمقابلة الحاكم في منزله او يقترب من البوابة عدا بعض الابقار والحمير الضالة تأتي « وتشمسم » هنا وهناك حول المكان وتنتظر إلى مرة او اثنتين حتى اهوي عليها بهراوتي فتذهب مبتعدة . والدي كان يقول لي « لكي ينجح المرء في مهنة الشرطة عليه ان يكون يقظا ومطينا عندما يحرس بوابة عليه ان يتصرف وكأنه يحرس روح المراجا وجسده » .

(*) راوي القصة لا يتكلم الانكليزية وقد تعلم ان يخاطب القاضي بقوله Your honor وهي تعنى سعادتكم فظنها اسمها او لقبا .

« سعادتكم » القاضي رجل جيد بالرغم من انه براهميا نباتيا هو الآخر ، وهو ضخم كما الثور . حسب اقوال سابو القصاب وبوتاسي صاحب دكان الخردة ، فهو اذكى من عين في « نانجا نجود » . كان لطيفا جدا معي . كنت أصل الى البيت في الساعة السابعة صباحا احرس البوابة حتى العاشرة ، في العاشرة وخمس دقائق أدخل وأحمل جميع كتب القانون وملفات القضايا التي حضرها على الطاولة وانتظره ليخرج من المطبخ فأقوم بتحيته تحية قوية وانتظره ليرتدى عباءته السوداء وقلنسوته ثم أسير وراءه حتى قاعة المحكمة ، وعلى بعد ثلاثة خطوات ونصف كما تقضي الاصول . عند قاعة المحكمة افتح الباب المؤدي الى حجرته وأقف استعدادا الى أن يدخل ثم أضع جميع الكتب أمام الـ « مونشي » الاكبر وأخرج لانتظر خارج الباب وعلى بعد اتمكن من خلاله من سماع صوت « المونشي » . عندما يجلس القاضي على كرسيه في الساعة الحادية عشرة صباحا أعلن انعقاد المحكمة وعند اتمام هذا تنتهي هذه المرحلة من مهمتي فأقضي الوقت حتى العصر في الشرفة مع الفلاحين وأقرباء المتهمين ، وعادة ادعى الى مقصف المحكمة ، وبالرغم من انه مكان نباتي فاني آكل حتى تمتلىء معدتي بما يكفي لفتره العصر . ترفع المحكمة في حوالي الرابعة او الرابعة والنصف فأقوم بجمع ملفات القضايا والكتب التي يشير لي عليها لاعيدها ، فأحملها وأمشي وراءه الى المنزل . في المنزل انتظر بضعة دقائق لارى ما اذا كانت السيدة « القاضية » (*) ترغب في أن أقضى لها بعض الحاجيات وبعدها أصبح حرا . إنها حياة ليست سيئة فالعمل لديهم قليل .

(*) « لسذاجته يظن بأن زوجة القاضي قاضية » .

فقط فيما ندر يفقد القاضي اعصابه كما يحصل في بعض الايام عندما يغضبه محام ما أو قضية معقدة استعصى عليه حلها فيصب جام غضبه على .

ذات مرة أتى ذلك المحامي المشهور الذي يدعى السيد «تشيتي» من مدينة «مايسور» للتناقش معه حول قضية سرقة . لست أدرى ما هي النقطة التي اختلفا حولها لكن من اسلوب صياغهما بالانكليزية ، وهي لغة المحكمة ، كنت وائقاً من أن حديثهما الهب اعصاب القاضي إلى حد جعله لا يرفع المحكمة لفترة استراحة القهوة المعتادة بل تابع حتى نهاية اليوم تاركاً الجميع يجوعون ، ليس هنالك ذعر كالذي يسببه قاضٌ نباتي فاتته استراحة القهوة . عندما أنهى عمله وفي الطريق إلى البيت ، كان يمشي إلى المنزل بخطوات غاضبة وكانت أمشي بل أهروه وراءه ، وكان يتمتم وبهمم طوال الطريق باللغة الانكليزية ، كيلاً أفهم مالاً يفصح عنه وغضب جداً من طريقة مشي وراءه فصاح بي قائلاً : أنتي أمشي كح Zhaoon مصاب بالتهاب المفاصل وانتي أكسل متدرج عمل بأمرته . عندما وصلنا إلى المنزل تذكر أنه نسي مظلته في المحكمة واقسم بأن تلك كانت غلطتي . كنت أعرف طباعه فلم أناقش قوله هذا وببساطة استدررت على أعقابي عائداً إلى المحكمة لاحضار المظلة قبل أن تنفتح في وجهي أبواب جهنم . ليس أمراً خطيراً أو عملاً شاقاً أن أعود إلى المحكمة مسافة ميلين من أجل المظلة ، أما أن بدأت تمطر بشكل هائل فتصبح تلك العملية مزعجة جداً ولكن عزائي كان في أنني لن أضطر للاحتجاز بماء المطر في طريق العودة ..

عندما عدت بالمظلة كان القاضي لا يزال غاضباً وجن جنونه عندما رأى أنني استعملت مظلته لاحمي رأسي التافه وغير المهم . وكان يريده أن يطردني لأنني أهنت المحكمة ، لكن السيدة «القاضية» تدخلت بكونها من القهوة الساخنة «لسعادكم» أتفقد رأسي .

□ الشرطي جمال □

انقضت عشرة أشهر منذ أن ابتدأ عملي كمتدرب . في اليوم الذي سبق أمس ذهبت السيدة « القاضية » بصحبة طفلها لزيارة عائلتها في مدينة « ميسور » وبدأت أحضر وجبات « سعادتكم » من فندق موقف الحافلات . قبل رحيلها قالت لي السيدة « القاضية » « جمال اطلب من مدير فندق موقف الحافلات ان يبعث بالوجبات لسيديك مع خادم براهمي وقل له ان يفسل الوعاء مرتين بالماء الساخن وأن يضع ورق الموز في قعره » ، أخبرت المدير برغبة السيدة ولكنها قال لي . « انظر إليها الشرطي جمال . هل تظن بأن جميع مستخدمي من البراهمة ؟ لدى نقص في الخدم وان بقيت أرسل البراهمة منهم في توصيل الطلبات الخارجية فمن الذي سيهتم بالمطبخ ؟ بما أن السيدة قد ذهبت فلا فرق هناك ، سأضع لك الوعاء بكيس من الخيش فتحمله الى سيدك دون أن تمسه » البارحة حملت وجبات الطعام للقاضي وتركتها على طاولته ولم يسألني أيَّة سُؤالٌ تتعلق بالأشخاص الذين لسوها . أظن أنه رجل متتحرر عندما تذهب زوجته ، ولا يقلق رأسه القانوني بالمسائل الطائفية بين المسلمين والبراهمة التي تعنى بها النساء كثيراً .

اليوم عندما أحضرت له طعام الغداء طلب مني لا أذهب لوجبة المساء وأن أنتظر عند البوابة لأنه ينتظر ضيفاً عند المساء . استغرقت هذا الامر اذ أنه كان يصرفني بعد أن أوصله الى المنزل . واليوم يوم الجمعة وهي الليلة الخاصة التي اجتمع فيها مع « سابو » و « بوتسامي » في حانة « باباما » لندخن « الفانجا » ونشرب التودي (※) .

(※) « الفانجا » نوع من المخدر والتودي شراب مسكر من التمر .

وقفت عند البوابة العن حظي العاشر . قرابة السابعة والنصف سمعت صوت الدراجة النارية لمساعد قائد الشرطة تقترب من المنزل فقامت من على مقعد الحراسة وسويت هندامي وحيث مساعد قائد الشرطة بمجرد أن أوقف المحرك فسألني عن سيدتي وأمرني أن أوقف الدراجة وراء المنزل . مكث في الداخل قرابة النصف ساعة ثم خرج مع « سعادتكم » كانا يضحكان ويتحدثان بالإنكليزية بطريقة « خارج المحكمة » ذات الواقع السار .

قال لي القاضي وهو يتخطائي « أريدك ان تبقى عند البوابة طوال المساء اذ أنني أسمع عن الكثير من السرقات هذه الايام وابقي»الثيرموس« معك من أجل قهوتي الصباحية » .

فقلت بخنوع « نعم سعادتكم » . مشيا ببطيء نحو جناح الضيوف الواقع خلف المحكمة وتركتي أمن حظي . لا « غانجا » ولا تودي هذه الليلة ، لو كنت أعلم مسبقاً بشأن هذه المهمة الخاصة لأجبرت « سابو » بالأمر . لابد أنهما في حانة « بایاما » ينتظرانني وربما تكون « بایاما » قد أعدت « كورما » الفشان خصيصاً لنا وحفظت التودي بارداً في الدن الأرضي ، بدأ لعابي يسيل وحن جسدي لتلك السحب الزرقاء السماوية من الفانجا . أنا مسلم جيد أمارس العبادات ولعل الله يتفهم الصراع بين شخصيتي ، العامة منها والخاصة ، ويعمل شيئاً لأجلني . والدي كان يقول لي « جمال نفسك الخاصة يجب أن تطير العامة » سوف تجلب لك الخدمة العديدة من المنافع والمعنى وهنا جمالية الخدمة حيث تستطيع أن تستمتع بها كمتع خاصة ، أنا واثق من أن أبي عندما قال هذا الكلام لم يكن يشير إلى وضعي هذا الذي لم يكن ليفهمه لأنه لم يكن يدخن « الفانجا » .

□ الشرطي جمال □

لابد أن الله قد استجاب بشكل ما لصلواتي لأنني رأيت « سابو » و « بوتسامي » يتوجهان نحوى فقفز قلبي فرحا وقلت لهما « أحييكما أنها الصديقين فحسن قلبكما هو الذي جلبكما إلى هنا ». « لا يا صديقي فقد طردتنا « بابااما » لأننا لم ندفع ثمن طلباتنا المرة الماضية. وقالت سوأة بحماية الشرطة أم لا أما الدفع أو أن تبحثوا لكم عن مكان آخر يقدم نفس الخدمات التي أقدمها ، وأنا أتحداكم » .

وبما أنك لم تأت فقد فكرنا بأن نأتي إليك علك تجد لنا مخرجا « ذهينا إلى خلف المنزل حيث توجد غرفة صغيرة كانت تستخدم لتخزين الحطب وهي فارغة الآن بعد أن اشتريت السيدة « القاضية » موقدا يعمل بالكازور وركبت سخانا للماء في الحمام . لم تكن تلك الغرفة لتقارن بحانة « بابااما » المفروشة بالمساند والرقع الجلدية الناعمة ولكن كان هناك لحاف قديم ومصباح يكسوه الهباب كان لا زال يعمل . فتح سابو حقيبة الخيش المنتفخة وأخرج منها ثلاثة زجاجات من « التودي » وأزال أوراق الموز الجافة التي كان يغلق بها الفانجا التي كانت من أفضل الانواع حسب ما استطعت أن أميز من رائحتها ، أما بوتسامي فقد شفل عقله السميك وتوقف في فندق موقف الحافلات واشتري بعض « الباكودا » و « الامبودي » لنمضفها « طار الوقت ملحقا » كما يقول شاعر الأوردو عمر . دخان الفانجا السلس الحلو ملا رئتي بالخففة وهدأت آلام سامي وشعرت بقوة غريبة ولم أعد أخاف شيئا . صحبة الأصدقاء من الرجال هي أحدى المرات التي يستمتع بها المرء حتى دون النطق ولو بكلمة واحدة لكن الفانجا والتودي لم يكونا يستحقا المرء على المتعة الصامتة على الاطلاق بل كانوا يطلقان اللسان ويجعلان الروح تسبح بخفة وحرية أكبر . تبادل صديقاي النيمية حول أهل البلدة ثم بدءا

يستجوبانني حول سيدتي وعائلته . فأخبرتهم بغياب السيدة «القاضية» والوجبات وعندئذ سألني سابو قائلاً « لم تعتقد بأن سيدك قد تناول وجبة نباتية هذا المساء ؟ » .

لم أفكر بهذا الامر جديا حتى هذه اللحظة . أولئك البراهمة لهم عادات مجنونة فيما يتعلق بالطعام ، فهم أحياناً يتناولون الكثير من الطعام وأحياناً يجوعون أنفسهم حتى الموت في بعض مناسباتهم السعيدة يعكسنا نحن المسلمين فنحن لانجوع أنفسنا الا في رمضان ! اجبته قائلاً « كيف لي ان أعلم ، ربما لا يحب طعام الفندق او أنه افتقد طعام زوجته وصحبة أطفاله ، ثم لم كل هذا الاهتمام بالأمر ؟ » .

الفانجا كانت قد بدأت تتملكني ، أردت أن يعرف أصدقائي أنني شجاع ولست مجرد شرطي خانع فان قلبي وروحى كروح وقلب « دافيدار » أردتهم أن يسألاني عن نفسي لاعن الشائعات حول السلطات العليا . لكن سابو تابع قائلاً وكأنه لم يسمع ما قلت « سمعت الاقاويل عن حبه للوجبات غير النباتية » صدمني لقوله هذا فقد كان الامر شائكاً وينطوي على المسؤولية الكبرى وليس موضوعاً للشائعات . أنا خادم الحكومة والقاضي مثل مباشر للحكومة التي أخدمها و « عمل الحكومة كعمل الله » كما كان يقول والدي وأنا لست خائناً سواء أكنت تحت تأثير الفانجا أم لم أكن فسالتة بشيء من الفضب « ما الذي تقوله ؟ أنا أخدم « سعادتكم » منذ عشرة شهور وأعرفه أكثر حتى من زوجته فأنا أحمل ملفاته واستمع لاحكامه . أراه وأسمعه طوال الوقت عدا وقت نومه ولم أره قط يأكل اللحم . ولم يفعل ذلك ؟ إن بنيته كبنية ثور اعتماداً على النباتات وهو يحب المخلل والفجل فلم ترمي شخصه الكريم بالواسخ وهو رجل دولة كبير . من الأفضل لك أن تتوقف عن هذا الكلام » .

□ الشرطي جمال □

بوتسامي الذي كان يدخن بصمت حتى الآن قال « جمال لاتكن أعمى ، لقد سمعت مثل هذه الشائعات أيضا البارحة ، فقد زود سابو جوزيف الذي يعمل في جناح الضيوف بقطع سمينة من لحم الخروف وبدجاجة اوسترالية طلبت خصيصا من مايسور من سوق « رسل » وجوزيف ليس لديه ضيوف ! اليوم ايضا رأيت زوجته تشتري جميع أنواع الخضروات والبهارات من السوق أتظنها اغتننت فجأة بين ليلة وضحاها ؟ او أنها حملت في عامها الخامس والخمسين ؟ مساعد قائد الشرطة ليس نباتيا وعلى مايبدو فإن صداقته مع سيدك تمتد الى ما قبل تعينهما هنا »

توقف قليلا ثم أضاف قائلا :

« لست أظن أن أكل اللحم هو الشيء الوحيد الذي يجري في جناح الضيوف هذه الليلة ! » .

لم أفهم ما الذي كان يعنيه او أني لم أسمعه بشكل جيد جرعت كمية كبيرة من التودي وأخذت نفسا عميقا من الفانجا بسرعة لكي أتفلب على المفاجأة . لم كان على صديقي الحميمين أن يكذبا بشأن أمور خطيرة كهذه ؟ لم يحملوا ضفيينة على القاضي ولا على مساعد قائد الشرطة وبالإضافة الى هذا كله فهمما يحملان عبئا كبيرا بشأن اخفاء أمر شربهما وتدخينهما عن عائلتيهما كيلا يفتح أمرهما . لم أكن قد اقتنعت بشكل كاف . والدي كان يقول « الكل يريد ان يرى بعين الشرطي لأن ذلك يجعل أدلة مقبولة » لكن كرجل شرطة لا تخدعنك رؤى الآخرين فعليك ان تنظر بنفسك الى كل شيء ، بما يسمح به النبي ، ثم ترسم قناعتك ورؤيتك بنفسك » .

أردت أن أذهب وأرى بنفسي ولكنني لم أشا أن يظن صديقاي بأن قصتهم قد انطلت علي وبأنني ساذج .

البقية على الصفحة (٢٥٧)

النساء المسلمات في الهند

بقلم: ثارا علي بيج

ترجمة: أمل ماري

ثارا علي بيج :

كانت ثارا عاملة اجتماعية بارزة ، رئيسة (إس أو إس) قري
الاطفال في الهند واحدى مؤسسات المجلس الهندي لرعاية الطفل ،
وقد كتبت هذا المقال قبل وفاتها بوقت قصير .

* * *

يعتقد بأن النساء المسلمات أكثر النساء اضطهاداً في العالم ، وهذا يعود إلى سببين وهما : أولاً الحجاب وحق الرجل المسلم بالزواج من أربعة نسوة ثانياً . وبينما كان زواج الرجل من أكثر من امرأة هو حق طبيعي للرجل الغني ، وسواء عند قدماء الصينيين أو الهند أو روما أو في بوتان الحديثة ، إلا أن المورفيين في أمريكا (هم طائفة دينية أمريكية أنشأها جوزيف سميث عام ١٨٣٠) لم يروا خطأً في هذا الامر أيضاً . وقد عدت شرعية تعدد الزوجات رمزاً لفوقية الرجل ، في حين عد الحجاب رمزاً لاضطهاد الانثى .

□ نساء مسلمات في الهند □

نادراً ما ذكر أن النساء المحجبات كن مجبرات أحياناً على ارتدائه، أما فسق الرجال فهو ظاهرة عالمية وقد تفهمها القدماء على نحو كامل . إن الفتاة الهندية العصرية التي تركت حافلة أو أي واسطة نقل عامة في أيامنا هذه هي عرضة للتحرش بها من قبل الرجال بحجة أن زيهما الحديث يستفزهم . لقد كان « البرقع » مجرد وسيلة لمحجب الوجه والجسم عن نظرات العامة .

وقد حدد النبي محمد ﷺ بشكل جلي درجات القرابة من الذكور التي تجيز للمرأة الظهور أمامهم دون حجاب كما لو أنها أمام امرأة أخرى . وفي يومنا هذا نادراً ما ترى امرأة في شوارع الهند ترتدي البرقع التقليدي .

غير أنه توجد في مدينة دلهي القديمة حديقة اسمها بردة باغ تقوم الفتيات أو النساء اللواتي هن في طريقهن إلى المدرسة أو الجامسة أو إلى أداء زيارة ما بترك برقعهن فيها لقاء وصل استسلام من قبل مراقب الحديقة ، ومن ثم يذهبن إلى دلهي الجديدة (نيودلهي) دون حجاب .

وعند عودتهن يسترددن ردائهن ويرتدبن للعودة إلى منازلهن وذلك فقط من أجل مراعاة الجيران . منذ سنوات مضت كانت نساء عائلة النواب تخضعن لحجاب صارم حتى عبر انفاق من القماش للنزول من سياراتهن إلى منزل صديقة ما . أما عندما يكن في قضاء اجازة في دار جلنغ فتراهن يركبن الخيل ويتنزهن ويذهبن إلى النادي بدون حجاب .

« البردة » وهي كلمة تعني الستارة . كانت عادة الرمز القانوني أو الشرعي لحماية نساء عائلات الطبقات العليا من عامة الشعب . وهذا الأسلوب مازال متبعاً حتى يومنا هذا في راجستان بين نساء الهندوس

وكما أنه يستعمل من قبل طبقات الشعب الدنيا كدلالة على منزلة اجتماعية رفيعة . ويدعى العديد من المؤرخين المزيفين أن سبب تواجد البردة بين عائلات الهندوس يعود للفزوات الإسلامية . الا انه في الواقع موجود لدى عائلات الهندوس العريقة كافة في الهند من أدناها إلى أقصاها ، من أجل إخفاء النساء وليس عزلهن . وفي الحروب كان أخفاء النساء من أجل حمايتها من العبودية والاغتصاب .

عبر تاريخ الهند الطويل ومنذ عصر الكسندر مروراً بالمغوليين وحتى المغاليين كان الطموح المزدوج للسلب والسيطرة مستمراً . أما في أوروبا قبل الميلاد فقد شن الرومان حروباً على القبائل والتجمعات المجاورة بحثاً عن الأراضي والعبيد والثروات ، واجتاحتوا الهضبة الإيرانية ، وانحدروا باتجاه الهند . لم يستوطن الحكم الإسلامي في هذه القارة إلا بعد عهد الامبراطور بابور (١٤٨٣ - ١٥٣٠) الذي أحضر معه الادارة وثرة ثقافية ومباني رائعة وثروات أخرى وهذا ما ألم المغامرين في عصر اليهابية أن يفكروا بما يسمى بامبراطورية الغرب .

لقد كتبت ابنة بابور ، التي عاشت حتى بلغت الثمانين من العمر ، سرداً تاريخياً مذهلاً عن حقبة المغول التي تشمل فترات الملوك الاربعة . لقد كان المغاليين مؤرخين حقيقين ذكوراً وإناثاً على السواء ، وكان العديد من هؤلاء النساء شاعرات أو أدبيات . كانت مذكرات بابور الشخصية صريحة ونزية وواضحة مثل كتاب الماتما غاندي « تجارب صادقة » . ولكن لا أحد يماثل ابنة بابور جلبدان بيفوم (وكلمة بيفوم تعني سيدة مسلمة رفيعة المستوى) التي دونت بصدق الحياة المستمرة لهؤلاء المغوليين الرحل الذين كانت نساؤهم يذهبن للحروب ويعشن معظم حياتهن تحت الخيام ويلدن أولادهن وغالباً ما كن ينتقلن للهرب من المخاطر ،

□ نساء مسلمات في الهند □

وأحياناً أخرى كن يتولين السلطة مثل عقيلات الرومان القدماء اللواتي
كن ينزعن إلى ذلك – إذا كان الملك ضعيفاً أو محاصراً .

بسبب عدم وجود الطرق ووسائل التنقل باستثناء الخيول والجمال
فإن المسافات التي كانت تقطعها نساء المغالي في حياتهن تعد شاسعة جداً .
انها تزيد عن ثلاثة آلاف ميل من قلب ايران وحتى دلهي عبر مناطق
مهجورة مروراً باراضي وعرة وجبال وصحراء . وقد استغرقت جلدان
بيفوم مع بعض من حاشيتها سبعة اعوام لاداء فريضة الحج الى مكة .

بإمكان المرء أن يتصور الحاجة القصوى للسفن الخشبية في تلك
ال أيام من أجل التجارة التي كانت تقوم في العصور القديمة بين الهند
وأوروبا ، مصر وفينيقيا . كانت تلك السفن ملائمة فقط من أجل تجارة
البهارات والعاج والانسجة القطنية ونباتات الاصبغة ، ولكن ليس لنقل
السيدات النبيلات . غير أنهن كن يرتدن ملابس الحج البيضاء فيتحدين
صعوبات السفر بالبحر والبر ملتزمات بالتواضع والتقييد بالتعاليم .

بالرغم من كونهن مسلمات إلا ان العزلة كانت تمثل بالنسبة لهن
التفوق الاجتماعي ، فمثلاً نور جيهان الملكة المهيبة زوجة الامبراطور جيهانجير
كانت وراء الرزى التقليدي .

كانت تدير شؤون الدولة مع النساء وتلعب البولو ، وكانت تصطاد مع
أفضلهم مصارع مهباً على خيل ملكي . لقد كانت رامية ممتازة . ففي
أحدى المرات قتلت أربعة نمور بستة رميات سريعة متتالية ، وهي لم
تكن أقل مهارة في المناورة من مهابت حسان الذي اعتقلهم في انقلاب
غريب في القصر الامبراطوري والذي جعل من الامبراطور سجناً له حتى
مات زوجته المراوغة وخلصتهم من مصيرهم المحتم . كان جيهانجير قاتلاً
بأن يترك لتعاطي الخمر والشعر ولقرارات زوجته الراجحة العقل .

كانت الحياة في القصر الامبراطوري في تلك الايام مثل الحياة في البلطات الملكية في أزمنة وأمكنة أخرى ، مليئة بالمهرجانات والولائم التي تحمل طابع التبدير الامبراطوري، وكانت بازارات منى التي تقام في ضواحي حصون أغرا أو دلهي أشبه بالمهرجانات التي تقام في ضواحي قصر الفرساي حيث كانت نساء البلط تبسطن سلعهن لاغراء الملك وحاشيته على شرائهما. ويقال ان الامبراطور جيهانجير الذى نظرة على نورجهان التي أصبحت ملكته فيما بعد ، في احدى زياراته الى بازار منى ، فوقع في غرامها ولم يهدأ له بال حتى أصبحت زوجة له . وهذا يعني ان التغزل كان جزءاً من الصورة الموغالية ، وعدد لا يحصى من اللوحات الفنية المصفرة يظهر لهما العاشقين من العائلة المالكة .

في السنوات اللاحقة ، قامت ثلاثة أجيال من البيفوم (سيدات مسلمات رفيقات المستوى) في بوبال بالحكم في بلدنهن بشكل حكم وحيد، نادراً ما حدث في سجلات التاريخ هذا التتابع في حكم النساء في بوبال . لقد حكمت الأم والجدة وأم الجدة على التوالي دون انقطاع ، وكان آخرهن بيغوم نواب سلطان جيهان ، حيث كانت سيدة متفهمة ، حيث كانت منذ عام ١٩٢٠ ولدة عشرة سنوات رئيسة جامعة اليفارة للمسلمين .

عين البريطانيون في أوائل عهدهم في عام ١٨٠٠ بيغوم سامرو حاكمة مستقلة وهي زوجة ولتر رينهار وهو جندي فرنسي محظوظ وقد قادت جماعتها وأدارت مقاطعتها بمهارة متمرة ، ولم يقعها كونها مسلمة ، وقد عاشت حتى سن الخامسة والثمانين في سارданا قرب ميروت ، ويعتقد انها كانت تعيل احد رافقي القرن التاسع عشر الذين يعيشون عالة على النساء ، وذلك بسبب سحره الفتان .

□ نساء مسلمات في الهند □

لقد كانت أغلب نساء العائلة المالكة عبر التاريخ شاعرات ومشجعات للفن والثقافة، الا ان كافة النساء اللواتي بربن منذ عهد بابور كن متعلمات والدليل على ذلك كتاباتهن التي غالباً ما كانت تقود الاحداث في وقت الازمات .

اما حميدة زوجة حميون وام الامبراطور « اكبر » في اواخر عهدها كااكبر فرد في العائلة المالكة ، فقد تدخلت لاصلاح حفيدها الاكبر سليم الذي كان متمراً على والدة الامبراطور جيهانجير ، ويعود الفضل الى رسائلها وتأثيرها حيث حضر سليم اخيراً الى وليمتها العظيمة وكب على قدمي والده وأحضر له الهدايا وثلاثمائة وخمسين فيلاً . ان تدخل حميدة هذا انقذ الموقف ، في هذه الوليمة العائلية التاريخية الفريدة اعلن جيهانجير ان سليم هو خليفة له . وأصبح هذا فيما بعد الشاه جيهان الذي بني قصر تاج محل تكريماً لزوجته ممتاز التي يهيم بها . لقد بنى الفراعنة نصباً تذكارياً لتخليد امجادهم ، ولكن ملكاً مسلماً هو الذي كرم المرأة .

وبموجب فرائض النبي ﷺ ومنذ القرن السابع بعد الميلاد ولأول مرة في تاريخ الانسانية تم الحفاظ على حقوق المرأة . ونظراً الى ان الاسلام ظهر كشعلة في وسط حروب دائمة بين القبائل العربية ، وكان النبي نفسه مطارداً على الدوام من قبل قبائل قريش ، فمن المذهل تاريخياً أنه كان لديه وقت لكي يحدد بوضوح جلي طبيعة علاقة الرجل بالمرأة ، واعطيت المرأة حقاً صريحاً للتملك ، وحماية الفتيات والایتام ، وحق طلب الطلاق ، ورعاية اطفالها في سن الحضانة .

« انما النساء شقائق الرجال »

الجنة تحت اقدام الامهات

خيركم خيركم لزوجته

خافوا الله في الامور التي تخص النساء

لعن مثل ماعليهم

في مجتمع كان فيه قتل الاطفال الاناث شائعاً ، اعطي النبي محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه أهمية للبنات تعادل أهمية الابناء . مثل حق رعايتها من قبل الآباء وحق التملك بحصص موزعة بشكل دقيق تخص كلاً من البنات والزوجة والارملة . اضافة الى ذلك فقد قال النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه في وقت مابين عام ٦٣٢ بعد الميلاد « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » .

الامر الذي كان مدهشاً من وجهة نظر تلك الحقبة من الزمن هو تفهم النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه لطبيعة الانسان العادي . وبينما كان الزواج سراً مقدساً وظهور النساء هي المثل الاعلى . وبكلمات القرآن الزواج هو الميثاق المقدس ، واذا لم يكن هناك تكافؤ ملحوظ بين الشريكين ، فإن لكل من الرجل والمرأة الحق بالطلاق ضمن فترة زمنية تساعدهما لاعادة النظر في شيء لا يمكن الرجوع عنه .

وعلاوة على هذا عند الزواج يحق للنساء الحصول على المهر الذي يعد هدية ويسمى فهمه عند اعتباره بأنه تمويض مادي للزوجة اذا حصل الطلاق .

لقد جرت في الهند حديثاً حادثة مهمة حيث كان المهر الذي طلبته عائلة العروس يبلغ مائة الف روبية ، وافق العريس غير أنه قال ان المبلغ كبير وأنه يحتاج الى وقت طويل لجمعه ، فأغلقت العروس أبوابها في وجه الزوج ولم يتم الزفاف حتى أصبحت النقود في يدي العريس .

ولسوء الحظ ، فإن الحقوق الاجتماعية التي منحها الاسلام للمرأة قد تم تحريفها عن قصد عبر التاريخ ولاسباب مجتمعة : أولاً جهل النساء أنفسهن لحقوقهن الخاصة ، ثانياً جمع أحاديث الرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه من قبل الرجال الذين كانوا يحكمون الامة ، وفيما بعد من قبل الفقهاء الذين كانوا يفسرون القرآن والاحاديث والشريعة كما يريدون ، وأخيراً الصراع بين

□ نساء مسلمات في الهند □

الاسلام وال المسيحية منذ بداية القرن السابع عشر . كانت كلتا الديانتين في اوج فتوحاتهما التبشيرية التي اكتسحت ارض المعارض في غرب آسيا وأوربا وأفريقيا ، وأصبح الاسلام بعد سبعة قرون من تأسيس الكنيسة المسيحية يشكل تهديداً جديداً على المسيحية . كلتا الديانتين كانتا تعتمدان على حكم رجال الدين . كلتا هما نشأتا مما يسميه الانسان بالوحى الالهي غير ان الاسلام لم يكن فيه نظام كنيسة . الا انه اعتمد في انتشاره وتوسيعه على حماسة المؤمنين واتباع عائلة النبي ﷺ وفيما بعد على الخليفة والامام .

يضم العالم الاسلامي المعاصر اثنين وعشرين دولة عربية وحوالي ثمانية عشرة دولة غير عربية مثل اندونيسيا والباكستان وايران وبنغلادوش أما الهند فهي ليست دولة اسلامية الا ان المسلمين يشكلون الاقلية العظمى فيها حيث ان عددهم يقدر بحوالي ٣٥٪ من عدد سكانها الكلى . ومع فقدان القوانين والفتاوی فقد تدهور وضع النساء المسلمات عبر السنين وفي كافة الاتجاهات ، يتركز تواجد المسلمين في الهند في مقاطعات الجنوب التي كان يحكمها الحكام المسلمين في السابق مثل حيدر آباد وإتيار براديش وكشمير ودلهي وبنغال واجزاء من الجنوب وبعد ان فقدوا قوتهم السياسية حدث ما هو محتم . بقي الرجال متوجهين في خيامهم وزاد اضطهاد النساء وعم الفقر .

ومع التقسيم ، رحل العديد (من المسلمين) الى الباكستان وهلك القسم الاكبر من طبقات أصحاب الحرف التقليدية مثل الصاغة والنحاسين والخائفين والطرازيين والعدد الاكبر من الطبقات العليا المثقفة كانوا ينشدون فرضاً جديدة في ذلك البلد الجديد .

وقد اصر محمد علي جناح - حاكم الباكستان - على تسميتها الهند الهندوسية . غير ان هذا كان شعارا سياسيا فقط . لقد كتبت شهرة لطيف كتابا اسمه « وضع النساء المسلمات في الهند » وهو مشروع بحث تابع للمجلس الهندي لابحاث العلوم الاجتماعية . وقد درست بتعمق مراکز اوائل الحكم الاسلامي من اجل التوصل لمعرفة وضع النساء في المجتمعات الاكثر محافظة . وفي وقتنا هذا انتقل عدد لا يحصى من النساء المسلمات الى مناطق اخرى من الهند وتم احتواهن في سياق المجتمعات الاخرى . ومن الجدير بالذكر هنا ان الصداقات بين المسلمين والهندوس كانت شار بشكل سياسي لأن الدين كان محورا واضحا للاستفلال السياسي .

لقد عاشت تلك المجتمعات في امان بعضها مع بعض عبر التاريخ وحتى يومنا هذا .

ان المؤسسين الذين وضعوا دستور الهند بعد الاستقلال في عام ١٩٤٧ اصرروا بحكمة على تأسيس دولة تناح فيها لكافة فئات الشعب ولكل الجنسين كامل حقوق التعليم والفرص الاخرى ، وبسبب هذه القاعدة الحكيمة (بالرغم من ان الدين أصبح وسيلة سياسية في العديد من الامثلة في الحقائق اللاحقة) فان السبب الرئيسي لصعوبة ايجاد معلومات اكيدة عن تطور المرأة المسلمة في برنامج التنمية في الهند في يومنا هذا يعود الى أنه لم يتم تدوينه على أساس دينية . حيث ان الاحصائيات والابحاث تتعلق بمعطيات ذكر (اثنى) (وريفي) حضري . غير انه ظهرت بعض البيانات الهامة في احصاء عام ١٩٨١ وهذه تتعلق بسن الزواج .

ففي المناطق الريفية يوجد حوالي ٥٧٪ من النساء سواء من الهندوس او المسلمين يتزوجن في عمر ١١ - ١٨ عاما . بينما في المناطق

الحضرية فان الرقم يبلغ ٤٩٪ بين النساء الهندوس و ٥٢٪ بين النساء المسلمات . وهذا يدل على تحفظ اكبر بين النسوة المسلمات في المدن بالرغم من زواج الاطفال الذي كان ظاهرة لدى الهندوس والذي ادى الى صدور قانون منع زواج الاطفال في عام ١٩٢٩ .

مهما كانت الحواجز والعقبات الواجب تخطيها فانه من الواضح ان النساء المسلمات استفدن في الأربعين سنة الاخيرة من الحرية المعطاة لهن للتعليم والعمل . وفي دراسة اجريت عام ١٩٨٧ على منطقة يغلب فيها تواجد المسلمين وتقع في دلهي القديمة ظهرت بعض المعلومات الهامة . فالنساء اللواتي هن ربات بيوت معزولات (كما يطلق عليهن) . هؤلاء النسوة يساهمن بشكل جوهرى في دخل الاسرة اما بواسطة اعمال التطريز او الخرز . وهذه الاعمال يكثر عليها الطلب في محلات الموضة في العاصمة . وشكل السمسارة مشكلة للنساء اللواتي كن يخدعن ولا يعرفن الاجر المستحق لهن لانه لم يكن باستطاعتهن عقد صفقات البيع بأنفسهن كونهن معزولات .

غير ان فتاة مسلمة تعيش في نفس المنطقة حاكت بيدها سترات من الصوف قامت بالتلغلب على السمسارة في لعبتهم هذه فقادت بنفسها بشراء الماد ومن ثم تسويق بضاعتها . ومن الممكن ان تحدو حذوها نسوة آخريات الا ان رجالهن جميعا رفضوا السماح لهن بممارسة تلك الحرية . يعاني الرجل المسلم في الهند من تمازج الكبراء المفرطة مع الخوف من انتقاد مجتمعه . وقد كان ذلك عاملا رئيسيا في تخلف المسلمين في الهند وانحطاط المهرة من المعماريين والحرفيين والفنانين باستثناء المفكرين والشعراء والموسيقيين الذين بقوا محترمين في جميع أنحاء البلاد . وبالتالي كانت النساء في تلك المناطق المحافظة يفتقدن التعلم . ولو كن

متعلمات فقد كانت تنقصهن القدرة في مجابهة الظلام الموجود في منازلهن، وفي العديد من الحالات لم تكن النساء مدرکات تماماً للحقوق التي منحها لهن الاسلام .

يمكن ان تتكرر تلك القصة في العديد من اجزاء الهند ، ولكن كانت توجد بعض الحالات الاستثنائية مثل رشيدة بيفوم، وهي من أحد الاحياء الفقيرة في كالكتا حيث تجرأت على الخروج خارج منزلها والعمل في مجتمعها . وقد كانت محظوظة لأن والدها المتحرر والحكيم اعطتها فرصة شاملة ، غير أن زوجها طلقها لأنها تبنت موضوع تحسين حيها واتهما بالفجور لتجوالها في الطرقات بدون حجاب ولتكريس نفسها لخدمة المجتمع بشكل علني .

يغلب تواجد النساء المسلمات في منظمة سيفا SEVA في لوك ناو وهن متخصصات بنوع خاص من أعمال التطريز المتقن يسمى (تشييطان) على منسوجات قطنية شفافة ، كما ان مدينة كواردينينا مشهورة بازدهار أعمال التطريز الرائعة بالخيوط الذهبية وتسمى هذه « زار دوزي » والحرير والمجوهرات من عصور الموغال ، وبالتالي أبدعن انسجة وأثوابا مثل الانسجة المطرزة على الكتفا والاقمشة المقصبة المطرزة يدوياً .

هناك ايضاً روشان بن شيخ غوجارات والتي بمهاراتها الملتزمة انشأت مجمعاً تعاونياً لاعمال التطريز الذي أصبح مخرجاً اقتصادياً في المنطقة لعدد لا يحصى من النساء المسلمات . ان روشان بن هي امرأة نموذجية ، قوية ، وقوية ، ومنظمة ، ومجددة ، ولها صفة مميزة هي أنها لم تكن ترضخ أبداً لامر الرجال وأثبتت أنها قادرة على العمل طوال ساعات وأن تكسب أجرها ف تكون عنصراً فعالاً في المجتمع.

هذا وهناك منظمات مثل منظمة داتسکار في دلهي ساعدتها في زيادة ترويج أشغالها فأوجدت بذلك مخارج جديدة لواهبها المبدعة .
وهذا يعني انه يجب ان تتواجد عند المرأة المسلمة كل من الثقة بالنفس والشجاعة والقوة على المثابرة ، وهذا لا يختلف في الجوهر عن مبادئ المنادين بمنح المرأة حق الاقتراع الذين نادوا اولا لتحرر المرأة في كل أمريكا وانكلترا .

انه من الممتع ان ترى أن العديد من نساء المسلمين المتدينين أصبحن مستقلات بغض النظر عن العقبات الاجتماعية التي جابهنها لأن والدهن كان يعطيهن الدعم الاخلاقي . بينما يكره العديد من الازواج كفاءة الزوجة ومقدرتها على كسب العيش . وفي بعض الحالات كانوا يوبخونها أو يؤذونها جسديا متتجاهلين فرائض الرسول ﷺ والتي يتمسكون بها على أنها ثابتة والتي تنص على حسن رعاية المرأة الفاضلة . وقد ورد في القرآن الكريم ما معناه « أكرمكم فضيلة الذي الله هو الذي يحسن معاملته لزوجته ». وغالبا ما أدى التصرف الطائش لأحد الازواج الى الطلاق . وحسب الشرعية الإسلامية يحق للمرأة طلب الطلاق . ويحذر القرآن الازواج من انه اذا أصبح التعايش بين الزوجين مستحيلا فالطريق الوحيد الذي يمكن اتباعه هو انفصال الزوجين بسلام ولكن - هذا شرط هام - لا يسمح باتباع اي اسلوب آخر مثل الهجر او القسوة في التعامل في اي حال من الاحوال .

يمكن ذكر العديد من الامثلة الجيدة فهناك نساء أستاذة في الجامعات والكليات حتى ان بعضهن كن يدرس وهن مرتدات زي البرقع التقليدي ولكن لديهن مؤهلات عالية الا ان أغلبهن من النساء العصريات اللاتي يعيشن حياة عصرية ، كانت زارينا باتي التي هي من اسرة متدينة جدا من عطار

يراديشي تذهب الى المدرسة في زي البرقع وتزوجت في سن السابعة عشر . وفي أثناء سنواتها العشر التي قضتها في الخارج مع زوجها درست في مدرسة لندن للاقتصاد وفي مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية . وقد طلقت فيما بعد ثم تزوجت ثانية ، ولكن عندما حدث هذا ففصلت عن عملها كمعلمة في كلية دلهي . وذلك لزواجهما من رجل غير مسلم ، حتى في الدوائر العلمية . ان التفسير الصارم للتعاليم الاسلامية من ان الرجل يجب ان يتزوج من هي من غير دينه يمكن ان يهدى المرأة بالرغم من ان زواج افراد مختلفي الديانة لا يعتبر امرا غير شائع في الهند .

فمثلا نائبه الرئيس الضليعة في القانون ، العادلة هداية الله تزوجت من رجل غير مسلم كما فعل صادق علي الذي هو حاكم سابق لمدينة بومباي . وأيضا الدبلوماسي السياسي القائد المشهور عاصف علي الذي زوجته أردننا كانت الشريك الذي حذر النبي ﷺ .

كافـة النـسـوـة من ان يـكـنـ مـثـلـها . وـقـدـ أـصـبـحـتـ صـادـقـ عـلـيـ خـبـيرـ فيـ شـؤـونـ اـفـرـيقـيـاـ . وـلـكـنـهاـ وـكـانـتـ فيـ كـافـهـ الاـوـقـاتـ تـدـعـمـ زـوـجـهاـ فيـ نـهـجـ حـيـاتهـ مـثـلـ هـذـهـ الـزـيـجـاتـ كـانـتـ تـتـمـ دونـ آـيـةـ عـقـبـاتـ فيـ الـجـمـعـاتـ ، الاـ اـنـهـ كـانـتـ تـظـهـرـ اـحـيـاـنـاـ بـعـضـ الـعـقـبـاتـ عـنـدـمـاـ تـتـزـوـجـ فـتـاةـ مـسـلـمـةـ منـ رـجـلـ غـيرـ دـيـنـهاـ . غـيرـ اـنـهـ لـمـ تـظـهـرـ آـيـةـ عـقـبـةـ بـالـنـسـبةـ لـجـمـيـلـةـ بـرـيجـ بوـشـانـ التـيـ كـانـتـ قـدـ كـتـبـتـ الـعـدـيدـ مـنـ الـكـتـبـ عـنـ الـمـجوـهـاتـ وـالـازـيـاءـ وـالـصـنـاعـاتـ الـمـعـدـنـيـةـ الـهـنـدـيـةـ وـعـنـ النـسـاءـ مـسـلـمـاتـ وـالـفـنـ اـلـاسـلـامـيـ وـعـنـ الـبـيـئـةـ . كـماـ لـمـ تـظـهـرـ آـيـةـ عـقـبـاتـ اـمـامـ اـمـيـنـهـ اـحـمـدـ التـيـ تـزـوـجـتـ الدـبـلـوـمـاسـيـ فـيـشـنـونـ آـهـوـجاـ . لـقـدـ كـانـتـ اـمـيـنـهـ عـالـمـةـ فـيـ فـقـهـ الـلـفـةـ وـلـدـيـهـ مـوـاهـبـ لـغـوـيـةـ عـالـيـةـ كـماـ اـثـبـتـ وـجـودـهـ كـرـسـامـةـ مـبـدـعـةـ كـانـتـ تـصـوـرـ الـاـوـرـدـوـ الـقـدـماءـ وـالـشـعـرـ الـفـارـسـيـ باـسـلـوبـ فـرـيدـ الـىـ حـدـمـاـ .

□ نساء مسلمات في الهند □

لقد بربرت النساء المسلمات لعدة أجيال في مجال الفنون ، ففي القديم كان المغنيون (عدا الموسيقيين) من النساء لدى المغالي والبلطات الإسلامية الأخرى سواء في أودة أو حيد أباد او فيما بعد في الولايات الإسلامية المترفة . وبعضهن كن راقصات وفي معظم الأحيان كن راقصات مهذبات مثل فتيات الجيش في اليابان ، من أجل بهجة الرجال فقط ، لكن الآخريات كن جزءاً لا يتجزأ من عائلة موسيقية محترمة حيث لا يوجد فرق بين الرجال والنساء او بين المسلمين والهندوس . من بين المغنيات الأكثر شهرة هناك راسولان ، وبيفوم (السيدة المسلمة الرفيعة المقام) وأكثر الأسطورة وبيفوم روشنارا . أما أنابورنا ديفي وهي الزوجة الأولى لراخي شانكار وهو قائد مشهور لفرقة موسيقية تعزف العود الهندي فقد كانت هي نفسها عازفة لهذا العود وبالرغم من ان اسمها كان هندياً إلا أنها كانت شقيقة عازف آلة السارود المشهور وابنة الموسيقي العظيم علاء الدين خان .

ومن الفنان والموسيقا كانت هناك خطوة صغيرة في العصور الحديثة الى عالم الفيلم الخرافي الهندي الذي يحرك الخيال ويحتوي عادة على سبعة أغان على الاقل وعلى العديد من الرقصات .

لقد ساهمت النساء الى حد كبير كنجمات في هذه الأفلام وأصبحن اليوم بأعداد لا تحصى . في الاعوام الاولى للسينما في بومباي كانت مهوب زوجة الممثل والمخرج البارسي (من زاردشت) ، صهر أب مهوي وهي ممثلة معروفة جداً . ثم كانت هناك الممثلة المأساوية والجميلة ناديا ميناكوماري التي لعبت دور المرأة الصلبة جوهر ، ودور نرجس الناعمة التي أصبحت فيما بعد عضواً في البرلمان .

ومن بين النجوم الحديثين اللواتي اكتسبن شهرة في أدوارهن الجريئة الحديثة هناك زينات أمان وبارفين بابي ، بينما قامت نفيذة علي بتمثيل فيلم واحد « جنون » وهو صورة جميلة لفتاة أثناء حرب الاستقلال في عام ١٨٥٧ ، وهناك شبانه عزمي التي اثبتت جدارتها في وقتنا الحالي كممثلة من الدرجة الأولى .

تقوم النساء المسلمات في وقتنا الحالي بجميع المهن وبشكل فعال وفي كافة المجالات . وقد لا يستخدمن بأعداد كبيرة وخاصة في الاعمال المبدعة . ولكن تجاهلن اللوم والتحامل ضدهن وأثبتن بروزهن بشكل راسخ . وربما كان العنصر الاكثر أهمية هو الدور الواسع للمرأة المسلمة في مختلف المهن . ان اولا التعليم او التدريس وفيما بعد التمريض هي المهن التي تنجذب لها النساء بشكل عام في الهند . وكانت مدرسة حمدارد للتمريض في دلهي متخصصة في تدريب النساء المسلمات على التمريض.

انشئت العديد من المدارس والكليات من قبل نساء لامعات حتى من مئة سنة سبقت . وكانت احدى هؤلاء الرائدات فيما بعد السيدة الجليلة واهد جيهان زوجة شيع عبد الله التي أسست مع زوجها أول مدرسة للفتيات المسلمات في اليفارة عام ١٩٠٦ (وأصبحت هذه المدرسة فيما بعد كلية وجاء من الجامعة) . وهي مثل والدة شهراواردي في البنغال التي كانت رئيسة كلية البنات في كالكتا . لقد كانت جامعة اليفارة للمسلمين (١٩٢١) الكلية التي أسسها سيد احمد خان . بينما أسس كلية الفتيات المسلمات تاج حيدر . وفي يومنا هذا ٢٥٪ من الطالبات هن فتيات مسلمات . أما في بومباي فقد كانت كلثوم سيانى رائدة تعليم النساء المسلمات باللغات وذلك قبل الاستقلال زادت قوة هذه الحركة فيما بعد وبالتالي تم تبني تعليم النساء باللغات في كافة المجتمعات في جميع أنحاء الهند .

كان للعديد من النساء دور فعال في التعليم الأكاديمي الدولي في جامعات مختلفة وفي مواضيع بين لغات الاوردو والإنكليزية والهندية والكيمياء والعلوم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، هناك على الأقل ثلاثون امرأة مسلمة تعلم في مجالات واسعة من المواضيع في مختلف الكليات في دلهي . ففي جامعة جواهر آل نهرو في دلهي توجد عمران غدير وهي محاضرة في الطب الاجتماعي ، وآيتا حبيب وهي عالمة اجتماعية، وزويا كسن وهي تدرس العلوم السياسية ، وزويا التي لم تكن من بيئه محافظة وكانت قد نالت شهادة الدكتوراه من جامعة بن في الولايات المتحدة شاركت مؤخرًا في تأليف كتاب هام يسمى « الهوية والعمليات السياسية للدولة » كما وقد ألفت كتابا آخر يسمى « الهيمنة والتبعية للسياسة الريفية في ماطعة اوتر براديسي الغربية » . ومن بين النساء الأكاديميات الآخريات هناك جيهنار شاة والتي كانت استاذة في جامعة ميليا الإسلامية، وفهمية ناكبي ، وكشوار سليم اللتان كانتا تدرسان الكيمياء . احتلت غامان غافر مركزا مرموقا في العلوم الإسلامية ، بينما كانت زهيدة زايدی استاذة اللغة الإنكليزية في جامعة اليفارة والتي هي تجمع سكينه فيه تواجد الذكور .

لقد تطور تعليم النساء في عهد النظام الأخير في حيدر آباد بحيث حافظوا على وصايا النبي ﷺ بتعليم النساء إضافة إلى تعليم الرجال . والذي قام بهذا بالتأكيد هو السيد عماد الملك وكانت النتيجة انشاء مدرسة ماهوبايا للبنات . كما قامت ابنته سايد طيابا بيفوم بتعليم ابنتها على جوار جانغ اللغة الفارسية والعربية والإنكليزية ورسخت فيه حب الآداب والفلسفة والعلوم والتاريخ التي كانت أساسا لحياته الأكاديمية فيما بعد كرئيسا لجامعة اليفارة وسفيرا للبلاد في العديد من البلدان وفي الأمم المتحدة ، كانت زهرة زوجة علي - مضيفة سياسية ذات مكانة مرموقة

وَالَّتِي تَحْدُثُ عَنْ جَمَالِهَا بِبِلَاغَةٍ أَنْدَرِيهِ مَالْرُو ، أَمَّا ابْنَتُهُ بِلْقِيسِ فَقَدْ تَزَوَّجَتْ مُسَاعِدَ قَائِدِ الْقَوَافِلِ الْجَوْيِةِ . وَكَانَتْ هِيَ أَيْضًا آيَةً فِي الْجَمَالِ وَفَنَانَةً وَمُزَخْرَفَةً وَمُضِيقَةً نَشِيطَةً وَكَاتِبَةً . لَمْ يَحْفَظْ أَيُّ مِنْ نِسَاءِ الْعَائِلَاتِ عَلَى الْبَرْدَةِ (الْحِجَابُ الْهَنْدِيُّ) وَرَبِّمَا لَمْ تَحَاوَلِ الْعَدِيدُ مِنْ نِسَاءِ حِيدَرَ آبَادَ الْحَصُولَ عَلَى تَعْلِيمٍ عَالٍ غَيْرَ أَنْ زَهْرَةَ بِلْفَرَامِيَّ وَهِيَ مِنْ عَائِلَةٍ مُتَفَهِّمَةٍ كَانَتْ أَوَّلَ مُحَاكِمَةً وَكَانَتْ بِفَوْمِ زِينِ يَارِكَانَ رَئِيسَةً أَوَّلَ كُلِّيَّةً لِلنِّسَاءِ .

رَبِّمَا كَانَتْ زَهْرَةَ حَمَاهِيُونَ مِيرِزاً أَوْلَى اِمْرَأَةَ حَارِبَتْ مِنْ أَجْلِ حَقُوقِ الْمَرْأَةِ وَذَلِكَ بِوَاسِطَةِ الْمَجَلَّةِ الَّتِي كَانَتْ تَحرِرُهَا وَالَّتِي أَصْبَحَتِ الْيَوْمَ تُترَكُ عَلَيْهَا الْأَضْوَاءَ مِنْ قَبْلِ أَتَبَاعِ تَلْكَ الْحَرْكَةِ النَّشِيطَةِ فِي الْوَلَيَّاتِ الْمُتَّحِدةِ . وَإِذَا عَدْنَا إِلَى الْوَرَاءِ إِلَى عَامِ ١٨٩٦ نَجَدْ أَنْ شَامِسُولَ أَوْطَامُولْفِيَّ مُمْتَازَ عَلَيْهَا اِنْشَاءَ صَحِيفَةً اِسْبُوعِيَّةً فِي لَاهُورَ تَحرِرُهَا زَوْجُهُ السَّيِّدَةَ الْجَلِيلَةَ مُحَمَّديَّ . وَقَدْ أَوْجَدَتْ هَذِهِ الْجَرِيدَةُ مُخْرِجَةً مِنْ نِسَاءِ الْكَاتِبَاتِ الَّلَّوَاتِي كَنْ يَعْمَلُنَّ فِي عَزْلَةٍ فِي مَنَازِلِهِنَّ بِحِيثِ اَظْهَرْتُوا مُواهِبَ الْأَدْبُرِيَّةِ وَالشِّعْرِيَّةِ لِهُؤُلَاءِ النِّسَاءِ .

كَانَ لَدِيْ كُوارْتُولِينَ حِيدَرَ الرَّوَايَةِ وَالشَّاعِرَةِ الشَّهُورَةِ خَلْفِيهِ صَحَافِيَّةً مُبَكِّرَةً مِنْ وَالَّدِتَهَا ظَاظَارَ سَاجَادَ حِيدَرَ "تِي" كَانَتْ مُحْرِرَةً لِأَحَدِي مجلَّاتِ الْأَطْفَالِ عِنْدَمَا كَانَتْ تَرْتَدِي زَيِّ الْبَرْدَةِ قَبْلَ أَنْ تَبْلُغِ الْعِشْرِينَ مِنْ عَمْرِهَا . ثُمَّ بَدَأَتِ الْكِتَابَةُ لِأَحَدِي الْمَجَلَّاتِ الَّتِي تَصْدَرُ بِلِغَةِ الْأُورُودُ، وَكَانَتْ ذَاتَ آرَاءٍ بَعِيْدَةِ الْمَدِيِّ بِخَصْصَوْصِ دُورِ النِّسَاءِ وَحَقْوَهُنَّ . وَفِي الْحَقِيقَةِ كَانَتْ مِنْ عَائِلَةٍ تَكْتُبُ الرَّوَايَةَ ، وَكُوْرِتُولِينَ نَفْسُهَا كَانَتْ أَكْثَرُهُمْ تَأْلِقًا فَقدْ منَحتْ فِي عَامِ ١٩٦٧ الْجَائِزَةَ الْفَخْرِيَّةَ لِأَكَادِيمِيَّةِ سَاهِيَّتِيَا لِادِبِ الْأُورُودُ، وَجَائِزَةَ الْأَرْضِ السُّوْفِيَّيَّةِ عَامِ ١٩٦٩ لِتَرْجِمَةِ كَتَبِهَا . هُنَاكَ أَيْضًا الْكَاتِبَةُ

□ نساء مسلمات في الهند □

كشوار سلطان وهي من عائلة حسيني المحافظة في مقاطعة اوتيراديش وقد فازت بجائزة اليونسكو ككاتبة مسرحية وهي اليوم أكثر النساء شعبية في محطات الراديو . كما كتبت عطية حسين وهي من عائلة بارزة رواية رائعة صورت فيها الحياة تلك الايام وعنوانها « ضوء الشمس على عمود مكسور » . وقد تمت اعادة طبع هذه الرواية من قبل دار النشر الفيفارو في لندن لكثره الطلب عليها في جميع أنحاء العالم .

اما في مجال الصحافة فان رازيه اسماعيل التي كانت مراسلة سابقة في الهند لصحيفة كريستيان ساینس مونیتور Christian Science Monitor ، وهي حاليا المسؤولة عن خدمات المعلومات العائد لليونسيف في دلهي information Services في صحيفة تايمز اف إنديا Times of India وهناك سيمما مصطفى التي كانت تكتب في تيليفراف كالكتا Telegraph of Calcutta . وساديا ديهلافي وهي محررة لمجلة بانو التي هي مجلة جادة للنساء .

اما فاطمة الطالب فقد كانت كاتبة مستقلة . وانيز جانغ في مقالاتها الخاصة التي كانت تنشرها في عمود « هن » في صحيفة نيويورك تايمز New York Times أعطت نظرة عن حياة النساء في حيدر آباد ، وقد نشرت حديثا كتابها « نساء غير محجبات » وهي تكتب عمودا دائما في صحيفة تايمز اف انديا Time of India

اما أمينة جيال ابنة السيد اكبر حيدري فقد كان لها نهج هام كمحررة مستقلة وهي تضع رسوما، تفصيلية في كتب الاطفال وهي ناشرة في احدى دور النشر .

كانت قدسية زايدى الكاتبة المسرحية التي اوجدت المسرح الهندوستانى في دلهي في السبعينات ، وابنتها شاما التي تعد منتجة افلام

ومصممة وكاتبة نصوص ، أنتجت مع زوجها م.س ساشيو فيلم « غرام حواء » وهي قصة مؤثرة حول التقسيم الذي حدث في عام ١٩٤٧ ، وعن حالات البوس للعائلات التي استقرت في الهند لقرون ، وعن العائلات التي استُوصلت من جذورها وعاشت في رعب دائم خوفاً من الحروب السياسية. كما أنتجت حديثاً مسلسلاً تلفزيونياً اسمه « اكتشاف الهند » مستندة إلى كتاب جواهر لال نهرو . لقد اجتذب انتاج الأفلام والراديو والتلفزيون العديد من النساء المسلمات من أجل إخراج النصوص والمشاركة في العمل . وقد عملت شاما حبيب الله – ابنة الروائية عطية حسين – في أفلام دولية ضخمة مثل « غاندي أتابوروا » وتعمل سلمى سلطان، وسرورت سانجار في تلفزيون دلهي بينما قام مركز الاتصالات الجماعية في جامعة ميليا في دلهي بتدريب عدد من صانعي الأفلام الطليعيين ومن هناك قامت وبالتالي العديد من الفتيات بشكل مستقل بعمل أفلام وثائقية عن المشاكل الاجتماعية مثل الزواج المبكر وارتفاع المهر .

إلى جانب عائلة الزايدى ، كانت هناك عائلة موهوية أخرى من النساء اللواتي حققن إنجازات كبيرة وهي عائلة الطيابجي وهؤلاء النساء كن قد نسين منذ عصور خلت كيفية ارتداء البرقع . كانت كامالا الطيابجي محامية في المحكمة العليا في لندن لمدة عشرين عاماً وعادت إلى الهند في وقت مجاعة بيهار في عام ١٩٦٧ وقادت بعمل فوري حيث نظمت وأسست صندوق المرأة الهندية مع أربع وعشرين امرأة . وقد أصبح الآن معبأً من قبل المئات من ربات البيوت من أجل الكسب وانتاج أصناف من المربى والمعلبات والمخلات (يتم تصدير بعضها) ، والطبع على الأقمشة القطنية وأنواع من الخام وانتاج الحقائب النسائية وألعاب الأطفال القماشية كما ويختزن الملابس للأسواق المحلية . إن صناعة العباءات وخياطة ملابس

□ نساء مسلمات في الهند □

الاطفال هي من الخصائص البارزة لانتاج ربات البيوت تماما مثل اعمال الخرز واشرطة البريم اليدوية وأغطية الطاولات . كل ذلك يتم بكثرة من أجل تعزيز دخل النساء في منازلهن .

كانت السيدة الجليلة حميد علي عاملة اجتماعية بربت في السنوات التي قبل الاستقلال ، وهي أيضا من عائلة طيابجي . وأختها التي كانت محبوبة كثيرا ريهاناماتا امانى كانت متفوقة ووهبت نفسها من أجل عبادة المعتزل الديني المهاجم غاندي وأصبحت فيما بعد امراة مقدسة يقصدها العديد من الباحثين عن الحقيقة من أجل حكمتها وبركتها .

كانت ريهانا مثل اعداد لا تحصى من النساء المسلمات في بومباي - متحررة أكثر من المعنى العصري للتحرر ، وبالرغم من انه كان لديها في منزلها خلفية تعود للعصر الفيكتوري غير أنها أحبت المذهب الصوفي ، وهذا رابط قوي بين ايران والهند في القرون الوسطى .

عندما بلغت الصوفية اوجها في شمال الهند قامت شيخات النساء المسلمات بوعظ الجماعات ، وكان اتباعهن من الهندوس والمسلمين على السواء . وقد اشتهرت من بين هؤلاء النسوة لال ديد في كشمير التي غالبا ما عرفت باسم لا لا عريفه ، والثورية هبلا خاتون التي عارضت علينا في القرن السادس عشر توسيع الامبراطور اكبر في الشمال وذلك في خطبها وفي شعرها الغنيف .

وفي وقتنا الحالي نجد ليلي طيابجي التي تنتمي ايضا الى عشيرة الطيابجي المتفهمة وذات الثقافة العالمية ، كانت تصمم ملابس عليها سومات عرقية متقدمة ، وقد طرحت نفسها الكثير منها عندما كانت في داستكار - المنظمة التي كان لها فيها دور رئيسي ، والتي كانت تشجع الاعمال اليدوية

للنساء من كافة انحاء العالم . كن يقدمون المشورة لتحسين التصاميم ، ويقمن بمعارض لتسويق وعرض البضائع ، ولدى ليلى ايضاً موهبة في التصاميم المسرحية حيث ساهمت بمهاراتها في العديد من الانتاجات المسرحية .

لاقت النساء المسلمات نجاحاً كبيراً في مجالات الصحافة والكتابة والقانون والخدمات الاجتماعية . وفي حقل الخدمات الاجتماعية لم تكن السيدة الجليلة وهاب الدين من حيدر أباد فقط رئيسة منظمة النساء الريفيات بل أقامت أيضاً هيئة هامة لإنقاذ النساء المسلمات اللواتي أصبحن معدمات بعد أن كن في السابق تحت رعاية أفراد طبقات النظام في حيدر أباد . وفي الازمنة الصعبة بعد أن فقدن الحظوة اثر زوال ولايات الامراء قامت بتجميع ورشات للطباعة على القماش وصناعة العباءات والتطريز وأغطية الطاولات والاسرّة وعمل الوسائل ومقارش الطاولات ، كل هذه المنتوجات كانت تجد لها سوقاً كبيراً . كما قامت بادارة مدرسة حضانة الاطفال الفقراء في بلدتها . وقد رحب بهذا كل فرد من افراد عائلتها .

لقد جذبت الرعاية الاجتماعية عدداً لا يحصى من النساء المسلمات مثل زارينا كاريمبوي في بومباي التي أوجدت برامج لزيادة دخل النساء في الأحياء الفقيرة ، وحتى إعداد الطعام للمنازل والمكاتب وكانت فاطمة إسلاميل الرائدة التي أوجدت بمنظمتها الفريدة للمعاقين جسدياً ، بعد إصابة ابنتها بشلل الأطفال التقلصي ، نهجاً جديداً للمعاقين في الهند ، فقد قادتها مأساتها الخاصة للعمل على تخفيف مأساة الآخرين . أما السيدة الجليلة علي زاهير فكانت رئيسة المنظمة الوطنية المسماة المجلس المركزي للرعاية الاجتماعية ، كما كانت السيدة الجليلة معصومة في حيدر

أباد من قبلها ، ربما كان هذا المجلس وسيلة اجتماعية فريدة لتحسين الكثير من النساء الريفيات والاطفال خاصة ، وبالرغم من انه كان يمول من قبل الحكومة غير انه احتوى أكثر من عشرين ألف امرأة من أجل الخدمات الطوعية من جميع انحاء العالم بعضهن مسلمات . كانت السيدة معصومة سليلة عائلة متنهية من حيدر أباد ساهمت بشكل كبير في النشاطات الاجتماعية والفنون والصحافة .

اما القانون فهو حقل آخر تركت فيه المرأة المسلمة المثقفة اثرا جليا . كانت القاضية فاطمة بيفي أول قاضية مسلمة في الهند بعد ان اكتسبت شهرتها العظيمة في المحكمة العليا في كيرالا ، اما في محاكم دلهي فقد كانت سوناخان ، وسنبل رزفي ، وزبيدة خاتون ، وهيبة حسان وآخريات كن يعملن في ميادين حقوقية يكثر فيها – خلافاً لذلك – تنافس عمل الرجال ، وتوجد الكثير منهن في المدن الرئيسية في الهند ايضا .

وفي السياسة كان للنساء دور فعال منذ الاستقلال ، وفي السنوات الأخيرة كانت نجمة هبة الله نائبة الناطق في المجلس التشريعي الاعلى . كانت محسنة كيودي وزيرة التطور الحضري وعضوًا في مجلس الوزراء . أما عضوات البرلمان مثل سيدة خاتون وأكبر جهان عبد الله وعايدة احمد اللواتي تم انتخابهن من بين جمهور هائل من الناخبين في الحياة الديمocratique الهندية ، فقد كان عليهن اجراء حملات انتخابية في كافة الظروف المعروفة للحملات الانتخابية ولكن ربما غير معروفة عند النساء اللواتيكن يعشن حياة مستقرة عبر التاريخ . كانت حميده جيد الله ، وهي زوجة لواء سابق ، عضواً في البرلمان أيضاً ونساء هذه العائلة اللواتي يتمركزن في كوكنا ، كان لهن جميرا نشاط في الحياة العامة . أما ميمونة سلطان وهي سياسية نشيطة فقد كانت رئيسة المجلس التشريعي في بوبال . غير ان

السيدة الجليلة عابدة احمد تميزت عن النساء المسلمات الاخريات لأن زوجها فخر الدين علي احمد كان رئيساً للهند ، عدا عن ذلك فقد كانت مهتمة برعاية الاطفال وأسست دار للاطفال المشردين .

من المناصب الهامة التي نالتها امراة مسلمة هي زليخة احمد مديرية مدرسة ادارة الفنادق في كالكتا . أما رهينة جيال فقد حصلت على منصب نادراً ما تحصل عليه امراة مسلمة . فقد كانت المسؤولة التنفيذية في مجموعتين فنادقيتين رئسيتين في الهند . كما كان لشهيناز حسين قصة نجاح مذهلة . فقد قامت بمفردها بإجراء عقود مقاولات حديثة كانت تديرها بنفسها ، فهي لم تقم فقط بانتاج مواد تجميل تعتمد على الاعشاب ، وإنما كانت لها ايضاً علاقات عامة كبيرة ، وهي حالياً تسوق منتجاتها الطبيعية في أكثر من خمسين مؤسسة تجميل في الهند وعشرين مؤسسة في الخارج .

ربما تكون هذه صورة غير كاملة عن وضع النساء المسلمات في الهند ، فقد أغفلنا ذكر العديد من النساء اللواتي ساهمن على نطاق محدود في المجتمع بتشريف اسم المرأة ، وساهمن في تطوير الهند . وهذا يؤكد ، بعيداً عن السياسة ، أن الطابع الاسلامي في هذا البلد هو جزء من التنظيم الكامل الذي جعل من الهند بلداً مفعماً بالنشاط والحيوية ، أما الحجاب بحد ذاته لم يكن الا شيئاً واهياً ولم يحجب النساء المسلمات لأنهن يشكلن جزءاً لا يتجزأ من الحياة العامة في الهند .

* * *

تطوّر الشعر العربي في الهند

عن نقاقة الهند - المجلد ٣٧
العددان ٣ و ٤ ١٩٨٦
بقلم: د. محمد أسالم الإصلاحي
جامعة كشمير، سري نجر

بعد ان وطد المسلمين اقدامهم في ربوع الهند عكفووا على دراسة اللغات المحلية تمهدا لنشر التعاليم الاسلامية في ا أنحاء البلاد وفي نفس الوقت جذبوا اهتمام المواطنين الى اللغة العربية باعتبارها لغة دينية لاهل الاسلام ومن جراء ذلك لم يمض روح من الزمن حتى تمكن عدد كبير من الهند من اللغة العربية وأساليبها وجعلوها يؤلفون الكتب ويقرضون الابيات في هذه اللغة المقدسة . وليس من شك في ان اللغة العربية لم تتمتع قط بمكانة رسمية في شبه القارة الهندية ولكنها لم تزل تعتبر مرجعا اساسيا لللامام بالعلوم الاسلامية الشاملة وذلك لأن تعاليم الاسلام بأكملها قد انزلت في لغة الرسول الكريم ﷺ ومن ثم يصح ان تعد اللغة العربية اللغة الرابطة بين المسلمين .

وفي هذا المقال حاولنا ان نسلط الضوء على الابيات التي قرضاها المسلمون الهنود باللغة العربية خلال بضعة القرون الماضية ومن جانب

آخر ركناً جهودنا على أن نبرز ميزات الشعر العربي الهندي الهامة ونقصد بذلك أن نفرق بين الشعر العربي والشعر العربي الهندي ويجدر بالذكر هنا أن المسلمين عندما تقدموا نحو الغرب وسيطروا على الاندلس والدول المجاورة لها وأحكموا حكمهم في هذه البقعة الخاصة جاء أدباؤهم وعلماؤهم بأعمال أدبية تمتاز بأساليبها الرقيقة المنفردة بآفكارها القيمة الجذابة. وفي الحقيقة كانت هذه الصفات ولidea الاحوال الجغرافية والبيئة الأدبية المحلية التي لعبت دوراً نشيطاً في اثراء الاساليب الأدبية للفة العربية . ومن هنا نلاحظ في الأدب العربي الاندلسي بعض الاوزان الشعرية التي لم يكن للعرب بها عهد . وفي هذا الصدد نكتفي الاشارة الى الوشحات والرجل اللذين بموسيقاهم الخاصة ونغمتهم الرائعة وايقاعهما الجذاب كانوا وسيلة اتصال العرب بنظائرهم الاندلسيين .

غير أن الشعر العربي الهندي يميّز اللثام عن ان الشعراء الهندو بدلاً من ادخال الاساليب والافكار الهندية في الأدب العربي حذوا بوجه عام حذو أساليب الشعراء العرب المنمقة ولم يعنوا بضرورة إغناء الأدب العربي بالأراء والافكار الفلسفية والمنطقية التي أتاحت للهند القديمة سمعة واسعة في البلدان العربية . ولو اهتم شعراونا بهذا الجانب لاستفاد الأدب العربي كثيراً واضيف اليه باب جديد تحت عنوان مدرسة الشعر العربي الهندية . ومهما يكن من الامر فان ذلك لا يعني أن ابيات الشعراء الهندو تخلو كلية من البصمات المحلية وليس لها آية اهمية عند العرب وفي الواقع ان الأدب العربي الذي جاء به العلماء الهندو على الرغم من بعض النقائض يستحق أن يلفت اليه انتظار الباحثين والكتاب . وفي ضوء هذا البيان نستعرض فيما يلي اعمال بعض الشعراء الهندو الذين تعلموا اللغة العربية ثم تمكناً من نظم الابيات فيها ونالوا شهرة واسعة في الاوساط العلمية والادبية .

□ تطور الشعر العربي في الهند □

هذا وان اول شاعر هندي قرض الاشعار في اللغة العربية هو مسعود بن سعد سلمان لاهوري . كان سعد ضليعاً في ثلاثة لغات وهي العربية الفارسية و « باشا » (اسم لغة محلية) وكان يقدر على نظم القصائد في هذه اللغات وفاق اقرانه في هذا المجال وتبوأ مقعده في سجلات الادب العربي الهندي ، ولتقدير مكانته الشعرية يجب ان نشير الى ما جاء به رشيد الدين وطواط في كتابه « حدائق السحر » وقد نقل وطواط عدیدا من أبيات سلمان لتوضيح بعض الاصول البلاغية ومن أشهر هذه الابيات المنقوله نخص بالذكر الشعر التالي :

شق بالحسام فانه ميمون واركب وقل للنصر كن فيكون

وفي نفس الكتاب نجد أيضا أبيات سلمان التالية :

وليل كان الشمس ضلت مهرها وليس لها نحو المشارق مرجع
نظرت ائيه وانظمام كأنه على العين غربان من انجوع وقع
فقلت تقلبي طال تيلي وليس لي من لهم منجاة وفي الصبر مفرز
أرى ذنب السرحان في انجو طالعا فهل ممکن ان الفزاله تطلع

ومن الملاحظ ان الركود قد ساد جو الشعر العربي الهندي بعد وفاة سلمان لاهوري وفي القرن الثامن الهجري برع القاضي عبد المقتندر ابن محمود سليمان الشريحي على ساحة الهند كشاعر عربي له شأن ملحوظ نظم قصائد عديدة باللغة العربية وكان القاضي من تلامذة الشيخ الشهير نصير الدين شراغ الدھلوي وقد درس عليه الادب الجاهلي بعمق ودقة ومن هنا نرى في شعره تأثيراً فوياً لخصائص قصائد الشعراء الجاهليين كما نجد فيه عدیداً من الكلمات المشكّلة والتراكيب الثقيلة الى جانب الاسلوب الذي يناسب بوجه عام الى الشعر الجاهلي وانه يستخدم

بعض الاحيان الفاظا عويصة لا يمكن فهمها بسهولة وبذلك نلاحظ قصائد تزخر بتشبيهات لا يعرفها القراء الهنود وعلى سبيل المثال فانه يحاول في احدى قصائده ان يصور منظرا يحوي بصورة خاصة الصحراء والجمل والواحة والنخل ودمنة الحبيبة الاعرابية ويقول :

ياساق الظعن في الاسحار والاصل
سلم على دار سلمى فابك ثم سل
عن الظباء التي من دابها ابدا
صيد الاسود بحسن الدل والنجل
حتى يجبيك عنهم شاهد العطل
وعن ملوك كرام قد مضوا قددا
بيتا من القلب معمورا بلا حول
فدى فؤادي اعرايبة سكت
من نور وجنتها ، من حسن غرتها
من طيب طرتها، من طرفها الشمل
فرقا جليا بعزم الساق والكفيل
كانها ظبية ، تكن بينهما

ويتضح من هذه الابيات أن الشريحي قد اتبع أساليب الشعراء القدامى من أمثال امرئ القيس ولبيد بن ربيعة وزهير بن أبي سلمى وغيرهم وان كلمة سلمى بنفسها تنم عن مدى تأثر الشاعر بشعراء العرب الجاهليين وبناء على هذا لا انفق مع البروفسور معيد خان على ما كتبه في كتابه شعراء جولكnde للعربية قائلا :

ان شعراء شمال الهند مثل مسعود بن سعد سلمان وامير خسو والقاضي عبد الجليل البلجريامي وغلام علي آزاد البلجريامي كانوا مولعين بالاسلوب المتكلف والصورة البلاغية التي تعتبر من أهم الخصائص للادب الفارسي .

هذا وان الشاعر الفارسي الكبير الذي سماه الايرانيون « طوطى الهند » اعني الامير خسو كان أيضا يقرض الابيات باللغة العربية وقد عثينا أثناء البحث على عديد من قصائده الغربية التي سكتب فيها

□ تطور الشعر العربي في الهند □

احاسيسه الرقيقة غير اننا لم نتعرف بعد على اي ديوان يشمل اشعاره العربية . ومن هنا لايزال بعض الباحثين يشيرون الشكوك حول الابيات التي تنسب اليه وايا كان الامر فانه لاريب في ان الامير خسرو كان يمتلك قدرة كاملة على اللغة العربية كما كان يتمكن من النحو والبلاغة والعروض واللغة العربية وبذلك نلاحظ ان قصائده تتم بالرقة والسهولة والاحان، وللتعبير عن افكاره اللطيفة انه يختار بعض الاحيان اسلوباً وكلمات تخفي في ذاتها لهجة ايقاعية وان الابيات التالية خير دليل على هذه الصفات لاسلوب خسرو وبيانه :

داب الفؤاد وسال من عيني الدم
وحكى الدوامع كل ما انا اكتم
ياعاذلا بانعزل دعني باكيما
أن السكون على اتحب محرم
من بات مثلني فهو يدربي حالي
طول الليائي كيف بات متيم

ومع هذا كله نقول بمنتهى الثقة ان الامير خسرو برغم صفاته الشعرية الممتازة لم يتمكن من الحصول على المكانة الرفيعة في تاريخ الادب العربي الهندي ، ولعل شاعريته الفارسية قد حالت دون عنايته بالشعر العربي وبغض النظر عن هذا فان اللغة الفارسية في زمن الامير خسرو كانت لغة السلاطين والامراء والحكام فكان الناس جميعهم يعجبون بالاسلوب الفارسي وكان العلماء والادباء والباحثون يمدحون ويحفظون قصائد الشعراء الفرس فأغلب الظن ان قصائد خسرو قد نالت في بداية الامر استخفافاً على ايدي مؤرخي الادب ثم اندثرت في الايام القادمة .

وبعد الامير خسرو يذكر اسم الشيخ نصير الدين في تاريخ شعراء العربية الهنود وكان الشيخ من ابرز مربدي الحضرة نظام الدين اوليماء وتعلم اللغة العربية على ايدي الاساتذة الكبار في عصره ونظم عدة قصائد

باللغة العربية ومدح فيها زعيمه الديني ومن الملاحظ ان ابيات الشيخ العربية تتجرد من الافكار البدعة وذلك لانه بذل جهوده في أكثر الاحوال لجمع الالفاظ المشكلة والترakinب الثقيلة في قصائده العربية وينسب اليه البيت التالي بوجه عام .

سالت انعلم من احياك حقا ف قال العلم شمس الدين يحيى
وكان شمس الدين يحيى استاذ الشاعر وقد علمه اللغة العربية
الى جانب العلوم الاسلامية المتداولة .

وبعد الشيخ نصير الدين برباع على ساحة الشعر العربي الهندي الشاه ولـي الله بن عبد الرحيم الدهلوi وطبقا للمؤرخين البارزين والد الشاه بمدينة دلهي ونال فيها تعليمه الابتدائي وان أستاذته قد لعبوا دورا هاما في جذب اهتمامه الى الادب العربي وبخاصة الى شعره ، ومن خلال قرائتنا لقصائده العربية نحس انه كان يقدر على اساليب الشعر العربي مثل شعراء العصر الجاهلي وكتنه شـب وترعرع من صفوـة قبيلـة الهوازن او عاش فـترة طـولـة بـمصاحـبة نـسـاء بـنـي تمـيم وـذلك لـان قـصـائـده تـزـخرـ بالـفـاظـ وـتـراـكـيبـ وـلـفـاتـ تستـعـملـها هـاتـانـ القـبـيلـاتـ بـوـجـهـ عـامـ وـلـتـدعـيمـ هذهـ الفـكـرةـ نـقـدمـ الـأـبـيـاتـ التـالـيـةـ :

اذا كان قلب المرء في الامر خائرا فاضيق من تسعين رحب السباب
وتشغلني عنـي وعنـ كل راحتـي مصـائب تـقـفوـ مـثـلـماـ فيـ المصـائبـ

وجاء بعد الشاه ولـي الله عدد كـبـيرـ منـ الشـعـراءـ الـذـينـ نـالـواـ سـمعـةـ وـاسـعـةـ فيـ مجـالـ الشـعـرـ وـالـادـبـ وـمنـ أـبـرـزـهـمـ السـيـدـ عـبـدـ الجـليلـ الـبلـجـرامـيـ وـالـشـيـخـ باـقـرـ مـرـتضـىـ الـمـدـرـاسـيـ وـالـشـيـخـ عـبـدـ العـزـيزـ بنـ ولـيـ اللهـ الـدـهـلـوـيـ وـالـشـيـخـ رـفـيعـ الدـينـ بنـ ولـيـ اللهـ الـدـهـلـوـيـ وـالـمـفـتـيـ مـيرـ عـبـاسـ

□ تطور الشعر العربي في الهند □

والمفتي اسماعيل بن وجيه الكناوي ومولانا السيد ظهور الحسن ومولانا شبير حسن الجونفوري ومولانا زين الدين الملاباري ومولانا محمد عبد العزيز الكاليكوتى وأمثالهم كثيرون

مع ان الشعراء المذكورين نظموا قصائد عربية رائعة ولكن قصب السبق كان للمولوي غلام آزاد البلجريمي في قرض الابيات باللغة العربية فيقول المولوي عبد الحي : المولوي آزاد يستحق استحقاقاً كاملاً ان يلقب بلقب « حسان الهند » وان هذا اللقب دليل واضح على مكانة آزاد كشاعر عربي في الادب الهندي وقد ابرز النواب صديق حسن خان في كتابه « نشوء السكران » ميزات آزاد الشعرية فيقول ان المولوي آزاد كان فقيها بارزاً ومحدثاً جليلاً وكتاباً بارعاً وشاعراً ممتازاً للغة العربية وان عدد أبياته العربية في مجموعة قصائده يربو على احد عشر الفاً .

وعلى أية حال فان المولوي آزاد نظم عدة قصائد ابتكر فيها أساليب جميلة لمدح الرسول الكريم ﷺ وعلاوة على ذلك أبدع أسلوباً منفرداً للتعبير عن أحاسيسه العذرية ، ومن الملاحظ ان مثل هذا الاسلوب قلماً يوجد في الشعر العربي بأجمعه . ومن ناحية أخرى كان آزاد يماثل مسعود ابن سعد سلمان في المقدرة على ثلاثة لغات وهي الفارسية والعربية ولغة « باشا » وانه لم يعتن بتراكيب وتشبيهات وكتابات هندية فحسب بل حاول لأول مرة ان يزود بها قصائده العربية ومن هنا نجد في كثير من أبياته تعبيرات وتشبيهات وأساليب محلية كما نلاحظ فيها افكاراً وعواطف تفوح منها رائحة هندية ومن الجدير بالذكر ان هذا الجانب من شاعريته كان ولا يزال موضع النقد والنقاش لدى النقاد والباحثين فمثلاً يقول المؤرخ الكبير الاستاذ شibli :

ان قصائد آزاد العربية تتصنف بالافكار والاساليب الفارسية والهندية الى حد انه من المشكل ان تدعى قصائد عربية وفي الحقيقة كان

آزاد يفتخر بأنه قد نجح في ادخال التشبيهات والافكار الهندية في الادب العربي، وأيا كان الامر فان علماء الادب يعلمون ان هذا الجانب من شاعريته يبدو وصمة عيب بدلًا من وسام الشرف والامتياز .

وفي رأينا ان هذه الناحية لشاعرية آزاد ليست بعيوب او نقص بل هي ميزة يطلبها العرب في أبيات شعراء غير العرب وذلك لأنهم في حالة فقدان هذه الميزة يعتبرون قصائد شعراء غير العرب مجرد تكرار لافكارهم واساليبهم الشعرية ، وب المناسبة هذا المكان نشير الى ما عبر عنه صاحب ابن عباد عن العقد الفريد لابن عبد ربه قائلا ان هذه بضاعتنا ردت علينا ويعني ذلك ان الكتاب المذكور في رأي صاحب غير هام ولا يليق بالثناء والتقدير ولا يوجد به اضافة جديرة بالذكر للادب العربي ومن هذا القول نستنتج ان شعراء العربية الهندية لو ادمجووا الاساليب والافكار المحلية في قصائدهم العربية لكان تاريخ الشعر العربي في الهند مختلفا تماما .

ومهما يكن من الامر فان احدا لا يشك في ان المولوي آزاد زين ابياته العربية بالاسلوب الذي يمتاز به الادب الهندي كما حلاما بالافكار والاخيلة التي تشتهر بها بلاد الهند واستخدم في قصائده كلمات تحمل معنيين والبيان التاليان احسن مثال على هذا القول :

نضت هندية يوماً علينا من الاجفان سيف الامتنان
اغث يا ربنا غوث البرايا لقد قتل المتييم هندوانى

فكلمة « هندوانى » هنا تدل على معنيين احدهما بمعنى سيف هندي والثاني امرأة هندية ومن ناحية أخرى نرى بيته الآخرين اللذين ينمان عن رغبته في استعمال التشبيهات والاستعارات الخاصة بلفة « باشا » ويقول :

نيلوفر طرفك السكران من سنة
ب شأنه قلبي المشتاق يهتم
فعم أمس حناء البدن منفتحا
وعم أضحى حناء الشمس ينضم

وفي رأيي لم يستخدم من قبل أحد من الشعراء العرب والهنود مثل هذه التشبيهات والاستعارات ومن ثم نلاحظ ان ديوان آزاد يزخر بكلمات وتشبيهات يمكن اعتبارها اضافة ثمينة الى الشعر العربي بأكمله ولا يعني هذا القول ان المولوي آزاد لم يطالع ولم يتأثر بالادب العربي الكلاسيكي وان شاعريته تخلو تماما من اثر الادباء والشعراء القدامى لانه يعترف بنفسه بهذا الاثر قائلا :

الفت سفرا في البدیع وغيره
ونظمت سمعا من ثمانين جهان
قد كان عبد الله واضح فنه
وله اليها غایة الاحسان

ويتبين من هذين البيتين ان المولوي آزاد قد تأثر كثيرا بالادب العربي القديم وبذلك نراه يتبع احيانا خطوات الشعراء القدامى مثل المتنبي وأبي تمام والبحتري وأمثالهم فأبياته التالية تبلور أسلوبه الشعري المفعم بالالفاظ العذبة والتركيب الرخيمة كما تميّط اللثام عن تأثيره بالشعر العربي القدم :

ادرک عليلا لقاء منك يكفيه
وطرك الناعس المراض يشفيه
ما كنت ادری نحو الجسم يفشيه
الهجر يقتله والوصل يحييه

وفي ضوء ما أسلفنا ذكره لانبالغ اذا اعتبرنا المولوي آزاد من ابرع وأبرز الشعراء في تاريخ الادب العربي كله ، وأيا كان الامر فان عددا كبيرا من الشعراء الهنود قرضاوا الابيات باللغة العربية بعد آزاد ولكن لم يتفوق

عليه أحدهم في هذا المضمار ونرى أسبقيته هذه حتى الآن تستمر وانه لا يزال يعتبر اعظم شاعر عربي في الهند .

خلف المولوي آزاد البلجريامي المولوي فضل حق الخير آبادي المتوفى ١٨٦١ م وكان خير آبادي كاتبا بارعا وخبيرا ماهرا في العلوم الإسلامية مع التخصص في علم المنطق وان خدماته في مجال هذا العلم مسلمة في الاوساط العلمية والدينية وان أدباء العرب قد اعترفوا بمساهمته القيمة في العلوم الإسلامية وفيما يتعلق بقصائده العربية فانها تتميز بالاساليب الرائعة وانه استخدم كثيرا من الكلمات الشيقية والتركيب الجميلة وان ديوان شعره المعروف باسم مجموعة القصائد ينطوي على قصائد رائعة ومنظومات جذابة .

والشعراء الذين جاءوا بعد المولوي فضل حق الخير آبادي هم فيض الحسن السهارنفورى والمعلم عبد الحميد الفراهي ومولانا أنور شاه الكشميري ومولانا اعزاز على ومولانا السيد علي نقوى وعلي عباس التشيرياكوتى ومولانا احمد حسين الاعظمى ومولانا عبد العلي وأمثالهم كثيرون . ومن الجدير بالذكر ان قصائد فيض الحسن العربية تملأ بالكلمات المشكلة والتركيب الثقيلة والاستعارات العويصة ومع هذا فان مجموعة قصائده طبعت ونشرت بمدينة حيدر آباد في سنة ١٩٠٤ م .

اما شعر المعلم الفراهي فيستحق ان نتوقف عنده قليلا وذلك لأن قصائده العربية أكثر تشابها بقصائد حافظ ابراهيم واحمد شوقي واحمد محرم في القوة والسموالة والموسيقى وأن أبياته تمتاز بجودتها وروعتها ومتانة أسلوبها كما تفوح برائحة الأفكار الإسلامية السليمة ولا مجال للشك في أن المعلم الفراهي كان يتمكن من اللغة العربية تماما كاملا ومن هنا

□ تطور الشعر العربي في الهند □

نلاحظ في اشعاره تدفقا طبيعيا وروعة خلابة وأثناء مطالعه ديوانه ، « ديوان الحميد » نستشعر ان جدول يجري في وسط المناطق الجبلية في حين يزخر المكان بخريره الساحر الجذاب . يقول أحد النقاد بعد تحليل عناصر شاعريته :

ان قصائد الفراهي سهلة الى حد انه لا يمكن نظم مثلها الا بعد القدرة الكاملة على اللغة والفاظها وأساليبها .

ومع ان قصائد الفراهي تتسم بالسهولة والبساطة ولكن هاتين الصفتين ، طبقا للاديب الاربي عبد الله بن المفعع شعار تمتاز به كتب الادباء الكبار ، ودواوين الشعراء العظام وعلى اساس هذا الرأي يمكن لنا ان نعتبر المعلم الفراهي من ابرز الشعراء الهنود في السنوات الاخيرة وان أبياته التالية خير شاهد على موهبته الشعرية وبمناسبة هذا المكان نشير الى ان المعلم الفراهي قد نظم هذه الابيات اثر استيلاء المسيحيين على مدينة طرابلس وقد هز هذا الحادث المؤلم أحاسيس المعلم الفراهي الى حد انه صرخ قائلا :

كيف القرار وقد نكس
اعلامنا بطرابلس
كيف القرار وحولنا
الاعداء ترتفب الخلس
يفسون قسطنطينية
وبعدها ارض القيس

وبعد المعلم الفراهي انضم الى رعيل الشعر العربي طائفة كبيرة من الشعراء الهنود غير ان شاعريتهم تحتاج الى مزيد من الوقت للحصول على النضج والكمال ومن المرجو ان الشعر العربي في الهند يزدهر ويتطور في السنوات القادمة نظرا لاتصال الهنود المباشر بالعرب وذلك بفضل وسائل الاتصالات الحديثة .

ونختتم هذا المقال في حين نستدعي الشعراء الهنود ان يهتموا
بادخال الافكار والاخيلة والاساليب والاستعارات الهندية في منظوماتهم
العربية وذلك لأن مثل هذه المحاولة ستلفت انتظار العرب الى أعمالنا
الادبية والشعرية . واقول هذا القول بناء على تجاربي التي ادخلتها أثناء
اقامتي بمصر العزيزة في بداية الثمانينات وفي ذلك الحين تباحثت مع
اصحاب الادب والشعر هناك في الشعر العربي الهندي وخصائصه
واستنتجت من اقوالهم ان لهؤلاء العرب رغبة شديدة في الالام بالشعر
العربي للشعراء الهنود ولا سيما الشعر الذي يحوي الافكار الهندية
ويزين بالتشبيهات والاستعارات الخاصة بآداب الهند وأشعارها وان
يغتنى شعراً وفقراً بهذا الجانب لتجذب قصائدنا العربية مزيداً من
الاستحسان والتقدير من اخواننا العرب مثل السيوف الهندية التي
كانت ذات شهرة واعجاب في المجتمع العربي ما قبل الاسلام .

عن ثقافة الهند

المجلد ٣٧ - العدد ٤ - ١٩٨٦

* * *

المخطوطات العربية في شبه القارة الهندية

راصة المعارف الهندية

من الانصاف والمرؤة ان نعترف بما كان للعقربية الهندية الفائقة من الفضل الكبير على نمو الحضارة العربية وتقديمها في جاهليتها واسلامها فكان لعقل النبالة الهندو ولجهود علمائهم الجباره ومبتكرات اساطيرهم في شتى الفنون والمعارف والفلسفة والتأثير العظيم على توسيع آفاق العلوم والحكمة العربية وسائل الفنون الاسلامية حيث تعلم العرب من الهند كثيراً من المعارف الهندية الجليلة ، كالنظام العشري في الترميم فساروا فيه على أساس القيم الوضعية ، وكان هذا من أهم معارفه العالم ، والى هذا النظام يعزز العلماء بروزهم في الحساب والجبر وبراعتهم فيها ، وكذلك الرموز في الحساب والجبر والأشكال المتعددة للاعداد والمعادلات الشيالية (او غير المعينة) واستعملوا طرقاً مبتكرة في حلها واعتمد العرب على هذه الطحول في بدء نهضتهم كما اعتمد عليها علماء أوروبا في عصر الاحياء .. الى غير ذلك من المبتكرات .

□ المخطوطات العربية □

وفي الهندسة عرف الهنود ما يتعلّق بإنشاء المربّعات والمستطيلات والعلاقات بين الأقطار والأضلاع والأشكال المتكافئة ، ومن المسائل التي وردت في مؤلفاتهم إنشاء مربع يساوي النظرية العلمية الفريدة في الهندسة والثلاث وعلم الفلك والنجوم والطبيعيات والكيمياء والطب والفلسفة والمنطق والالهيات والعقائد والتصوف والادب وما يتبعه من فنون مما يخرج عن نطاق هذا المجال .

وقد تجددت الصلة العلمية بالهند في عهد البرامكة وزراء الرشيد العباسي ، تلك الصلة التي يرجع أساسها إلى الفترة التي عرف بها العرب الهند قبل الإسلام بألفي سنة ، فلقد كان بعض أجداد البرامكة من سدنة بين النوبهار ببلخ ، والنوبهار – على ما يحدّثنا به المستشرق أدوارد ساخو – معبد بوذى ، فلما انتقلت الخلافة إلى الأسرة العباسية غنى هؤلاء البرامكة باستقدام العارفين باللغة السنسكريتية واستخدامهم في نقل كتب هندية عديدة في الفلسفة والفقه والطب والصيدلة والرياضيات ، وتركـت الفلسفة الهندية أثراً ملحوظاً في أدب التصوفة العربي .

وكان اهتمام المؤرخين والمصنفين والرحالين والعرب بالهند عظيماً ، فدونوا من شؤونها وفنونها الشيء الكثير ، وقد بزّهم جمِيعاً في هذا الباب أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني (٩٧٣ - ١٤٠٨ م) الفيلسوف المؤرخ الفلكي الطبيب الذي أقام في الهند زمناً فجاز أنحاءها وتبصر في علومها ، ثم ألف كتابه الشامل (تاريخ الهند) الذي استقصى فيه ما يتصل بها من دين وفلسفة وأدب وجغرافية وفلك وتاريخ وعادات وطبائع .

ولقد نفذت الثقافة العربية إلى الهند بدخول الإسلام ، فأصبحت اللغة العربية إلى جانب اللغتين الفارسية والآردية ، لغة العلم والادب في الأقاليم الإسلامية .

□ المخطوطات العربية □

وبرز كثير من العلماء الهنود ، فوضعوا التصانيف في التفسير والحديث والفقه والنحو والبلاغة واستمرت حركة الكتابة والتاليف باللغة العربية مزدهرة طيلة ثمانية قرون متواصلة ، ولهذا فلا نستغرب أن نجد اليوم في الهند أكثر المكتبات الكبرى تضم الملايين من المخطوطات العربية الموزعة في شتى أنحاء الأقاليم والمحافظات وتوابعها ، وان الكثير من هذه المخطوطات نادرة وذات قيمة فنية عالية .

ونستعرض فيما يلي بعض أسماء خزائن الكتب المليئة بالتراث العربي في أنحاء الهند .

- ١ - مكتبة المخطوطات الشرقية في اجين UJJAIN .
- ٢ - مكتبة كجرات فديا سبحا Gujarat Vidya Sabha ، في احمد آباد AHMADABAD بولاية كجرات .
- ٣ - مكتبة بير محمد شاه في احمد آباد أيضا .
- ٤ - مكتبة متحف الله آباد ALLAHABAD .
- ٥ - مكتبة المتحف الحكومي في الوار ALWAR .
- ٦ - مكتبة اوچ (بهاول بور) (UCH . Bahawalpur) .
- ٧ - مكتبة بنجسكي Panchakki Library في اورنك آباد AURANGABAD .
- ٨ - المكتبة الشرقية في بتنا ، وتسمى ايضا - مكتبة خدابخش - وهو مؤرخ هندي - كان قد وقفها في مدينة بتنا PATNA وتعتبر من اهم المكتبات في الهند .
- ٩ - مكتبة سراسفاتي بهاندر Sarasvati Bhandar Library في مدينة اودبور UDAIPUR .

□ المخطوطات العربية □

- ١٠ - مكتبة مسجد جامع Jam'e masjid Library في بومباي BOMBAY ، فيها ما يقرب من سبعمائة مخطوط عربي وقد أعددت فهرساً شاملاً لكل هذه المخطوطات يصدر قريباً من دائرة المعارف الهندية في بومباي ، وفي هذه المكتبة بعض الكتب النادرة والثمينة .
- ١١ - مكتبة معهد كاما الشرقي K. R. cama Oriental Institute فيه ما يقرب من ثمانين مخطوطة عربية ، عملت لها فهارساً وصفياً نشر في مجلتنا (الموسن) العدد ٣-٢ (١٩٨٩) ص ٣٩٧ - ٤١٨ .
- ١٢ - مكتبة جامعة بومباي ، فيها مخطوطات عربية قليلة غير أن مجموعة مكتبة فيضي التي أضيفت فيما بعد فيها الكثير من المخطوطات العربية ، اذكر أنني سجلت من نوادرها كتاب مقتل الحسين وكتباً أخرى تخص الطائفة الإسماعيلية في الهند .
- ١٣ - مكتبة الجمعية الآسيوية الملكية Royal Asiatic Society في بومباي ، هذه المكتبة ومكتبة متحف الحكومة في بومباي أيضاً تحتوي على مخطوطات قليلة وفي المكتبة الأخيرة مجموعة من اللوحات الفنية التي تعبر عن حياة العرب وصلاتهم بالهند ، وهناك الخطوط العربية التي تزين بعض نوادر التحف والسيوف التي يعتز بها هذا المتحف .
- ١٤ - مكتبة معهد بحوث كلية الدكن Deccan College Research Institute في بونا POONA فيه مخطوطات قليلة .
- ١٥ - مكتبة الجامعة العثمانية Osmania University في حيدرآباد HYDERABAD . فيها أكثر من ألف مخطوط عربي وفي هذه الجامعة كرسى لغة العربية يمنح الشهادات العليا ويهتم بالدراسات العربية المختلفة .

□ المخطوطات العربية □

- ١٦ - المكتبة الاصفية Asafiyah Library في حيدر آباد وقد اهتمت بها الحكومة وأودعت محتوياتها الخطية العربية في بناء خاص ، أُسست المكتبة عام ١٨٩٠ ولها فهارس مطبوعة بالاردية والانجليزية .
- ١٧ - المكتبة السعيدية في حيدر آباد ، مكتبة مهمة فيها نوادر الكتب تقع في محلة (جام بازار) وسط المدينة المزدحمة ، ولها فهرس جاء فيه ذكر بعض نفائسها غير أن حالتها بحاجة عاجلة للصيانة والانقاذ .
- ١٨ - مكتبة متحف سالار جنك في حيدر آباد Salar jung National Musenmand - Library ، مكتبة تضم الكثير من الكتب العربية الثمينة التي ترقى الى عهود متقدمة ولها فهارس مطبوعة وفي حيدر آباد ثروة هائلة من المخطوطات لا نستطيع استقصاء أسماء المكتبات التي تضمنها في هذه العجلة ، مثل مكتبة قسم تاريخ الطب بكلية الطب العثمانية ، ومكتبة ادارة أدبيات الاردو ودار وثائق الدولة ، ومكتبة كلية الطب اليوناني ومكتبات الجامعات والمدارس الدينية الكثيرة الاخرى .
- ١٩ - مكتبة المعهد الهندي للدراسات الاسلامية بدلهي .
- ٢٠ - المكتبة النظرية العامة في دلهي .
- ٢١ - مكتبة دار العلوم ، في ديواند Deoband .
- ٢٢ - مكتبة الرضا في رامبور RAMPUR .
- ٢٣ - مكتبة جامعة عليكرة ALIGARH من المكتبات المهمة ولها فهارس عديدة مطبوعة ، بالانجليزية والاردية .
- ٢٤ - مكتبة الجمعية الآسيوية Asiatic Society في كلكتا CALCUTTA .
- ٢٥ - مكتبة مدرسة كلكنا CALCUTTA Madrasah .

□ المخطوطات العربية □

٢٦ - المكتبة الناصرية في لكتو LUCKNOW من المكتبات الحاوية
لثاث الكتب العربية المخطوطة ، أسسها المرحوم ناصر حسين العقاني
المؤرخ والمحدث المشهور في عصره المتوفي سنة ١٣٠٦ .

. LUCKNOW UNIVERSITY LIBRARY مكتبة جامعة لكتو

٢٨ - مكتبة المدرسة الناظمية في لكتو .

٢٩ - مكتبة مدرسة سلطان المدارس في هكتو .

٣٠ - مكتبة ندوة العلماء في لكتو .

. Sultan Mysore Library مكتبة سلطان ميسور في ميسور

٣٢ - مكتبة بانكي بور في عظيم آباد بولاية بيهار .

٣٣ - مكتبة ذاكر حسين في الجامعة الملة الإسلامية في نiodلهي .

FIRST DASTUR MEHERJE مكتبة دستور مهر جارانا الاول

. NAVSARI RANA LIBRARY في نفساري

GOVERNENT مكتبة الحكومة للمخطوطات الشرقية في مدراس

ORIENTAL MANUSCRIPTS LIBRARY, MADRAS.

Tonk ٣٦ - مكتبة معهد الابحاث العربية والفارسية في تونك

Rajasthan راجستان

وهذا عدد قليل من المكتبات التي استعرضناها في كتابنا (معجم
الهند) الذي هو دليل القارئ العربي ومرشدہ بل مفتاح هام للدرس
والباحث العربي عن الهند وكل ما يمت اليهاصلة .

□ المخطوطات العربية □

وانما ذكرنا ذلك على سبيل الاستشهاد لما بذله اخواننا الهنود في الحفاظ على تراث العرب في خزائن كتبهم المشيدة وما صرفوه من الاموال الطائلة للحصول عليها وصيانتها والاستفادة منها ، ولا ريب أن الكثير من علماء الهند وأدبائهم اهتموا بمعالجة التأليف باللغة العربية ، وقد ذاعت مؤلفاتهم في الوطن العربي ، ثم قاموا بإنشاء دور الطباعة العربية ، منذ ظهور الطباعة وقد أحيت دور الطباعة الهندية ، عددا غير قليل من نفائس الكتب العربية من الأصول القديمة في مختلف فروع العلوم والفنون، وكانت لها عنابة خاصة بنشر مؤلفات اعلام المسلمين ، في الفقه ، والحديث ، واللغة ، والتفسير ، والتاريخ ، وغير ذلك ، وأشهر مدن الهند التي عنيت بنشر مؤلفات العرب والمسلمين لكنو ، وكلكتا ، وبومباي ، ودلهي ، وحيدر آباد وغيرها من المدن الهندية ، وقد طبعت أكثر الكتب الجامعية للحديث وكتب الصحاح ، وعدة كتب للزمخشري ، والسيوطى والبىرونى والرازى والسمعاني وابن حجر والذهبى وكتب الواقدى والازدى البصرى فى الفتوح والمفازى وبعض مؤلفات العلامتين نصیر الدین الطوسي وبهاء الدین العاملی رحمة الله ، ودواوین أشهر شعراء العرب - بعد الاسلام - ومنها دیوان المتنبی ، وابو تمام والشیری الرضی ، وابو العلاء المعربی وغير ذلك، وتمكنت الهند من السبق في طبع تلك المؤلفات لتتوفر مكتباتها على النسخ المخطوطة الصحيحة والنفيسة المضبوطة فجاءت مطبوعاتها غاية في الاتقان في ذلك الزمان مما كان يفتقر اليه الوطن العربي ، لذلك اشتهر مطبوعات الهند من التراث العربي وخاصة مطبوعات دائرة المعارف العثمانية في حيدر آباد التي بلغت مطبوعاتها ١٥١ كتاباً عربياً في ٤٦٤ مجلداً .

وكتموج من المخطوطات العربية التي تزخر بها مكتبات الهند هذه جمهرة من المخطوطات التي وقفنا عليها في مكتبة متحف سالار جنك الوطني:

□ المخطوطات العربية □

- ١ - تهافت الفلاسفة ، لابي حامد الفزالي المتوفي ٥٠٥ هـ نسخة كتبت سنة ٥٠٧ هـ (بعد وفاة المؤلف بستين) .
- ٢ - شرح مختصر في الجبر والمقابلة (المختصر للخوارزمي) ، الشارح أبو بكر بن محمد اليفريزي ، نسخة من القرن الحادى عشر الهجري ، فيها رسوم وأشكال هندسية .
- ٣ - خواص الحشائش ومنافع الحيوان ، النسوب الى جالينوس ، نسخة نفيسة كتبت سنة ٦٢٩ هـ ومحللة بصور ملونة ودقيقة وهي معروضة في خزانة زجاجية .
- ٤ - بلقة الطبيب ونرفة الاريب : لبدر الدين محمد بن القاسم الجزري نسخة كتبت سنة ٦٨١ هـ ، وهي معروضة في خزانة زجاجية .
- ٥ - تحرير أصول أقليدس ، لنمير الدين الطوسي المتوفي ٦٧٢ هـ ، نسخة كتبت سنة ٧٤٣ هـ ، فيها اشكال هندسية، وهذه النسخة معروضة في خزانة زجاجية ، وبهذا المتحف اكثرا من مخطوطات معروضة في خزائن زجاجية كتبت او اخر القرن السابع الهجري بخط ياقوت المستعصمي المتوفي ٦٨٩ هـ .

* * *

بقية قصة «الشرطي جمال»

كان الليل قد انتصف وكان سابو وبوتسامي قد دخنا وشربا وأكلنا بشكل كاف فاقترحت أن نختم الليلة ونفترق قبل أن تثير ريبة الجيران من المصبح المضاء في غرفة الحطب المهجورة فوافقا ورافقتهم إلى البوابة وانتظرت حتى غابا عن ناظري وراء الزاوية عند عامود النور ثم مشيت نحو جناح الضيوف محاولا أن أوازن خطاي بقدر المستطاع . كانت الشوارع معتمة وخالية ولا صوت فيها سوى صوت الكلاب التي كانت تتمرغ فوق أوراق الموز عند حاويات القمامات التي رمتها ربات البيوت بعدوجة المساء . النجوم كانت تلتلمع وكأنها غسلت للتوكان شعوراً لذى ذلك الذي أحسست به عندما داعب نسيم الليل جسدي . تزايد شكي وأنا أقترب من جناح الضيوف فالغرفة الرئيسية التي كانت تحجز عادة لاصحاب المكانة العالية كانت مضاءة وكانت استطيع رؤية مروحي السقف من خلال فتحتي التهوية . اقتربت من شجرة «الفلمور» الباسقة قرب الجناح حيث تمتد فروعها فوق الفناء . كانت مليئة بزهور الصيف والصراصير كانت تطلق صريرها في برودة الليل فكرت بهم «أندال سعداء ، كم هم احرار وبلا مسؤولية على عاتقهم ، يأكلون ويشربون بحرية من الطبيعة الام ويصفرون طوال الليل كالمتشرددين . ولكن على أي حال فهم لا يعرفون متاعة الفانجا ولا السعادة التي تنجم عن كون المرء رجل شرطة » . انقطعت أفكاري بصوت فتح باب الغرفة الرئيسية حيث خرج جوزيف الخادم يحمل صينية عليها أطباق فيها بقايا الطعام قام بافراغها فتمكنـت من رؤية عظام دجاج وشرائح شمندر وخيار ، وانساب عبر الارز الفاخر الى أنفي . عاد جوزيف الى الداخل وسرعان ما خرج حاملا زجاجتين ، بدأ قلبي يدق بسرعة، بالرغم من ان روئتي كانت ضبابية لكنني تمكنت من ان اعرف انهما كانا زجاجتي وسكي مستورد

وضعهما على الأرض بجوار باب المطبخ حيث وضعت بعض زجاجات الصودا الفارغة . لم يفلق باب الغرفة الرئيسية تماماً لدى خروجه فتمكن من سماع أصوات رجالية ونسائية ثم خرجت امرأة لم أرها من قبل كانت ترتدي ساريًا أزرق من الحرير والكثير من الأساور الفضية . وجهها كان سميكة عند الخدين لكنه كان ناعماً وعطرًا إذ استطاعت أن اسم عبيراً خفيفاً ، شفتاها كانتا ممتلئتين وكانت تمضغ « التامول » وما فتئت تسوى الساري على كتفها مما مكنني من رؤية ما وهبت من مفاتن جسدية يحلم بها أي رجل . عاد جوزيف من المطبخ وهو يجري فقالت له « القاضي يريد قهوته بعد ساعة أما الآن فاحضر زجاجة من الصودا » انسحب جوزيف ووقفت المرأة الجميلة عند الباب وأساورها تخشخش .

انسابت بعض قطرات العرق الساخنة تحت ابطي وتتابعت قطرات كجدول . هل يمكن ان تكون عشيقة ، « سعادتكم » هل يمكن ان يكون من أكلة اللحم وشربة الوسكي المستوردة بل وعشيق امرأة مجهرة؟ انحنىت أكثر وكأنني أثقلت بهذه الافكار المحيرة ودارت رأسي أكثر الآن بعد أن جاء هذا ليؤثر بي بالإضافة الى الفانجا والتودي ..

خرج أحدهم من الغرفة وأحاط خصر المرأة بيده التي كانت قائمة الثور . ثم جاب بيده أرجاء جسدها كافة وحاول الوصول إلى فمه حيث كان ذلك صعباً من زاوية جسدها تلك ، ثم أخذ يطبع القبل على وجنتيها . كان قميصه خارج بنطاله ... احمررت خجلاً بشكل واضح ، لم أكن أرى بشكل جيد ولم أرد ذلك . خيال أشبه بالثور كان كافياً بالنسبة لي كي أنسحب . ما الذي كان ينبغي علي فعله؟ فأنا موظف محلف على احترام

هذا البلد وسيادته، ولكن لا أحد ولا حتى والدي قال لي ما الذي يتوجب علي فعله عندما أجد قاضيا في مثل هذا الوضع ! عدت الى المنزل وقد تملكتني شعور عميق بالذنب الى حد أدنى بذات أسلبي عقلي الهائم وأحاول اقناع نفسي بأن الذي رأيته لا يمكن أن يكون « سعادتكم » ، لم استطع أن أفكر أكثر من ذلك . وربما كانت رحمة من الفانجا أنها كانت تدعو جميع أعضاء جسدي الى النوم . تركت جميع مسؤوليياتي في حفظ الله لأسوي الاضطراب الذي كنت أعانيه بطريقة ما أثناء النوم .

في الصباح الذي تلى كان لدى احساس بأن الامسية الفائتة كانت مجرد كابوس وكانت بالكاد استطيع تذكر الاحداث بشكل منطقي .

في الخارج كانت الشمس قد احتلت قبة السماء وانتبهت مجفلا الى أنه كان علي أن أحضر قهوة « سعادتكم » الصباحية، فأسرعت الى الفندق وعندما عدت كان القاضي يجلس في القاعة مع مساعد قائد الشرطة ، وقد أحضر لهما أحد ما طعام الافطار والقهوة . حبيت سيدى الذي نظر إلي شررا بينما قرع جرس قاعة المدينة معلننا الساعة الحادية عشرة ، لقد نمت طويلا .

بعد نحو أسبوعين وفي نهاية يوم عادي في المحكمة اتيت لاجمع الملفات وأحملها فناداني القاضي الى غرفته وقال « جمال عندي أخبار سارة لك ، انت تعمل بخدمتي منذ عام تقريبا و كنت متدربا جيدا ، لذا قررت تقلك الى غوندلوبيت مع ترقتك الى شرطي بمرتبة شرف » .

احسست أن قلبي قد فتح وأغلق كالباب الذي يفتح باتجاهين في غرفة القاضي ، اذ كان يقول الكلمات التي انتظرتها منذ زمن بعيد . ان أرقى الى شرطي نظامي وبوتصية خاصة من القاضي كان بالفعل خبرا سارا جدا . وبعد حادثة جناح الضيافة كان الخوف يساورني من أن يكتشف أمر تجسي وأطرد من الخدمةوها أنا ارقى . تابع

□ الشرطي جمال □

القاضي مولا سيل أفكارى « الآن يا جمال هنالك شيء أريد قوله لك . من المهم من أجل مستقبلك ان تكون حازما مع نفسك تجاه عاداتك الليلية فقد علمت بأنك تدخن الفانجا وبشكل كبير والتدخين الكثير يؤدي الى مانسميه بلغة القانون هلوسة ، وهي ظاهرة اعتيادية بين المدمنين ، ولدي هنا من المجلدات القابعة على الرفوف من القوانين الصادرة عن انكلترا ومحكمة الهند العليا ما يرد فيه الكثير حول هذه الظاهرة » .

توقف لالتقاط انفاسه ثم عاود الكلام قائلا :

« في حالة سيد وخدم تظهر الهلوسة بشكل عداء مكتوب لدى المستخدم لسيده مما يدفعه كما يشرح النفسيون لتخيل أمور وتلقيها حسيا في عقله ويعكسها على حياة سيده الخاصة . الخادم تحت تأثير مخدر كهذا يبدأ بالاعتقاد بأن هذه الامور الملفقة حقيقة لدرجة انه يصدق فعلا انه شهد حدوثها . أنا اعلم بأنك رجل جيد وأنك سليم العقل والجسد ، لذا فاني انصحك ان كنت قد عانيت من مثل هذه الظاهرة خلال فترة تدريبك عندي ان تتوقف عن تدخين الفانجا في الحال . على الأقل الى ان تستقر في غوندلوبيت وبعد هذه المرحلة عليك أن تستخدم ضبط الذات عندما تضطر للانحراف في مثل هذه الهوايات » وابتسم برقة . كنت عاجزا عن الكلام ، كيف أمكن له أن يكتشف الامر ؟ هل من الممكن أن يكون ما رأيته لم يحدث فعلا ! كان « سعادتكم » يبدو ظاهراً جدا وهو يحدثنى . مرتد يا عباءته السوداء وقلنسوته . انه لرجل حاذق ومليء بالقانون والوجاهة ، لا يستطيع المرء ان يصبح قاضياً مجرد كونه براهما ، فعلى المرء ان يولد معه هذه الموهبة . لم يكن عليه ان يكون كريما معي لو لم يكن قد فرأ حول هذا الموضوع حقيقة في كتبه . أنا ادخن الكثير من الفانجا ولست استطيع ان اعرف متى أهلوس ومتى لا أهلوس . ولو كان يسعى للانتقام لطريدي ولم

□ الشرطي جمال □

يرقني ! فانه أمر لا يعقل ! كما سمعت المحامين يقولون عندما يتجادلون حول القضايا . « سعادتكم » انسان جيد وعطوف فان كانت كتب القانون تقول ان تلك هلوسة فهي كذلك ومن أنا لاطعن في صدق تلك الكتب ؟ الجهل بالقانون ليس عذرا حتى لو كان القانون مكتوبا بالإنكليزية !

عرفانا مني سجدت بكمال طولي ولمست حذاء « سعادتكم » وذهبت لازف الخبر للسيدة « القاضية » التي فرحت لاجلي وقالت لو كنت مكانك لاحسنت التصرف في « غوندلوبيت » توقفت لثانية ثم سألتني قائلة : « قل لي يا جمال هل لاحظت شيئا غريبا أو سمعت عن شيء غريب في جناح الضيوف أثناء غيابي ؟ » ارتجفت لسؤالها لكنني استردت سيدتي على نفسي وأجبت بالنفي فنظرت الي نظرة غريبة كما تفعل النساء عندما يفكرن بأمور لا يمكن معرفتها .

في اليوم التالي كانت هناك علامة خضراء على صدغ القاضي اليمن ثم تحولت الى الوان شتى ، وفي النهاية انتبهت كالقرن ، أما انطباع الناس حولها فقد كان ايجابيا حيث قال موظفو المحكمة انه لابد وان رأس القاضي ارتطم برف من رفوف المكتبة ليلا وهو يحاول الوصول الى كتاب ثقيل جدا . لكن القرن بدا وكان أحدا ما وضعه هناك .. لم اشا أن افكر طويلا في ذلك الموضوع لئلا اقع في الهلوسة من جديد .

جاءت اوامر نقلني . وقبل يوم من مغادرتي لم استطع ان اقاوم اغراء حفلة وداع تجمعني بأصدقائي والفانجا خصيصا مع اصرار بانياما . كانت حفلة جيدة لكنني كنت راحلا ولانني طلبت من بانياما ان تدعوني انا في العانة تلك الليلة ، لم اكن خائفا من الهلوسة . سابو وبوتسامي كانوا في مزاج مرح تلك الليلة وعلق سابو على تلك الليلة معتبرا بأنه كان مخطئا فقد كان هناك ضيوف من « بانفالور » وجوزيف كان يطبع لهم . وقد جاء القاضي ومساعد قائد الشرطة لتحييهم وسرعان ما ذهبوا لاجراء تفتيش على الرجال . لم اعرف ما الذي ينبغي تصديقه . في الصباح ذهبت

الى باب منزل القاضي الخلقي لاقدم احترامي للسيدة «القاضية» وأودعها. وقفت وراء باب المطبخ بشكل جانبي وكأنها لم ترغب في أن أراها بشكل كامل وأهدتني شمسية «سعادتكم» لتكون هدية وداع وكانت ثلاثة من اعمدتها مكسورة لكنها لاتزال هدية قيمة. كان «سعادتكم» نائما. وما الذي يدفعه للاستيقاظ ليودع شرطيا؟! حملت أغراضي ومشيت الى موقف الحافلات.

غادرت الحافلة الى غوندلوبيت في المساء بدلا من العصر لوجود ثقوب في جميع الاطارات الخلفية . مما اضطر منظم الحركة لانتظار حافلة اخرى لتصل من أجل الرافعة . عندما غادرت الحافلة البلدة لم استطع مقاومة شعور بالدفء الحزين . في الضوء الاصفر بدت البيوت وكأنها بيوت في قصة خرافية . مررنا بالسوق ومركز الشرطة ومنزل القاضي ، بدت البوابة مهجورة بدون وجودي عندها ، تخيلت كيف كنت سأبدو لاي عابر او مسافر في الحافلة ، وقطعنا منزل القاضي لنصل الى آخر مبني في البلدة ، وهو جناح الضيوف الذي عادة ما يكون فارغا في مثل هذا الوقت ، عدا بقرتين تجتران في الانفاء . لابد أن جوزيف في السوق الآن . كان هنالك بعض الصبية على فروع الشجرة التي كانت تتمايل مع حركاتهم . الارض تحتها كانت مفروشة بالزهور، كل شيء في ناجانفور بدا متوائما وسارا حتى الفبار الذي استثارته الحافلة بمرورها على الطريق اسفى رونقا خاصا .

استغرقت في اغفاءة ساعدها على التمكן مني ايقاع سير الباص المنظم ورتابة صوت ثرثرة الفلاحين . ربما انقضت ساعات حين استيقظت عندما مرت الحافلة فوق حفرة في الطريق . ما رأيته في المقعد الامامي أسقط قلبي من مكانه . كانت المرأة المجهولة التي رأيتها في جناح الضيوف تجلس مع سيدة أخرى . كانت جميلة كما هي واساورها الفضية الفالية كانت تصلصل عندما تحرك ذراعها واستطاعت ان اشم ذلك العبير ذاته . لا بد انهم صعدتا الى الحافلة من مكان ما على الطريق ، الى اين كانتا

ذاهبتين ؟ من أين أتا ؟ هل هما حقيقيتان ؟ بذات الأسئلة تجوب رأسي كالسيل الجارف . وكزني الرجل العجالس بجانبي وغمزني غمرة ذات معنى ، كانت أسنانه سيئة وما بقي منها كان غارقا في عصير «التمول» . المرأة المجهولة لم تنزعج مما أوحى به الرجل بل سرها ذلك .

في غوندلوبيت كانت هناك أجنبية ضيوف ، وكنت أرى نساء مثلها من حين إلى آخر عندما أمر بتلك الأجنبية أثناء تأدبة واجبي . كن يشبهنها بلباسهن وجمالهن . والدي كان يقول « الفم المفلق ليس قادرًا على الصمت فقط بل قادر على أن يضفي على وجهك ميزة يجعله حاضرا في الذاكرة عند الحاجة » . عندما أريد تدخين الفانجا كنت أذهب إلى صاحب دكان الدراجات كاودا الذي كان لديه كوخ خلف الدكان وندخن هناك بسلام دون إثارة، وبعدها أنام حتى الصباح . الضابط المسؤول عنني كان برتبة محقق ثان ولم يكن براهميا وهو يحترم خبرتي ويعتمد على معرفتي بالقانون في الكثير من القضايا . لم تكن الحياة سيئة هناك فالناس بدأوا يعتادون علي ومدير فندق موقف الحافلات بدأ يدعوني لتناول ما أشاء من الطعام . نانجانفود أصبحت الآن ذكرى تضمحل شيئاً فشيئاً أصبحت مجرد درجة صعدت عليها فيما سبق على سلم الترقى المهني . زملائي يقولون فيما بينهم بأنني قريبا سأرقى لأحل مكان أبي « جمال الأكبر » « دافيدار الدافيدارات » .

* * *

جي. اس . شارات تشاندرا لغوي طليق في خمسة من اللغات منها السنسكريتية ، ولد عام ١٩٣٥ في بلدة نانجانفود قرب مدينة مايسور في الهند . كان دائم الاهتمام بالكتابة ، ولكنه تلقى تعليمه كمحام ودرس القانون حتى عام ١٩٦٧ عندما انتقل إلى تدريس الأدب الانكليزي والكتابة الابداعية . نشر شعره في المجالس الدورية حول العالم ، وهو جديد نسبياً في مجال القصة القصيرة وقد ظهرت قصصه في العديد من البلدان .

The spirit of Islamic Culture

in this article Iqbal discusses cultura as a criteria in Islam. He argues that the philosophy of Islam was not a continuation to the Greek Philosophy ; rather it was kind of revolution to many of its concepts. He also alafies the logical and almost scientific tendencies en the Islamic philosophy particularby in its concepts of place, time the finite and the infinite. The conclusion is that Islam was net a mere followuf to what has preceded it ; rather tet coas an essentially new philosophy and new culture with new bases for explaining and understandiug the Cosmos.

Muslim Ethos in Indian literature

Summary by Ibraheem Yahya Shihabi (Ph. D.)

Literature is the conscience of a nation. Hence the cultural ethos of a community is perhaps most faithfully represented in literature, particularly in poetry.

The Muslim impact on Indian languages and literatures could be well perceived in the frame of the following concepts :

1. The word « Muslim » denotes a much wider cultural domain than « Islam ».
2. Muslim contribution to the Indian literatures was basically secular and cosmopolitan.
3. Muslim contact with Indian peoples was not primarily through administrations or rulers but mainly through traders, sufi saints, scholars and mercenary soldiers.

Thus the Indian Muslim writers' Contribution to various modern Indian languages and literatures is two - fold : first in creating a secular and cosmopolitan literary idiom, and second in forging anew syntactical conciseness and a close - knit poetic and literary expression mainly brought about as part of this Turco - Iranian impact.

This clearly means that the Muslim Contribution to Indian languages and literatures have been a source of strengthening its cosmopolitan links and giving it modern, secular and

worldly look. This literary contribution was a part of the composite culture which brought the diverse religions and regional identities together and tried to develop it into a national culture.

Serious impediments interrupted this process, Such as the long spell of British rule which resulted in the Partition of the country and thereby undermined the very basis of this emerging synthesis, the recurrent communal Hindu - Muslim riots which bred extremists on both sides, the rise of fundamentalism, the rule of Pakistani military dictators and the reign of orthodox papacy of Imam Khomeini of Iran.

Therefore, struggle against these impediments can't be won without much wider cooperation and support of the people, And it is for this that writers, and among the Muslim writers, thought it fit to break the conventional framework of communication media and reach the common man through street theatre, Habib Tanvir and Saifdar Hashmi are prominent figures among those who carried out that idea and addressed the masses on topics directly connected with their own lives.

I. Y. SHIHABI (Ph. D.)

Damascus on 23/7/1990

An Introduction to Pakistani Literature

The article discusses the formation of a Literary identity after the creation of Pakistan in 1947 and sheds an important light on the advantages of a homogeneous Muslim culture in Pakistan as opposed to the previously unhomogeneous Society of Muslims, Hindus and seikhs in the subcontinent. It also deals with the most prominent literary strands which prevailed in the writings of Pakistani poets and writers. The Islamic identity provided an opportunity to a more homogenous Society to produce more homogenous works. The article also deals with the appearance of the Ordo language and the impact of socio-political events on the literary productions of most writers, particularly the short - story writers. Also there are writers who write in ordo and others who write in English, The article suggests that Pakistani literature is a rich Literature because many languages and many cultures coexist in it almost independently.

Arabic Poetry in India

This is a mini - anthology of few Arab poets in India with Samples from their poetry with an enlightening introduction. The editor. Muhamad Said Al Toriehi has filed an anthology under the Same title.

Nathar Al Islam

This is an interesting article about the poet Nathar Al Islam from Bengladish. The article unravels the Literary and « revolutionary » merits of the poet, particulany in comparison with his renowned Contemporary the poet Tagour. According to the writer of the article it is important to remember that Tagour who dimmed the Light of all his contemporaries was notable to do so to Natuhar Al Islam who has enough originality and enough power to stand in his own right. There is a brief biography of the poet, a critical view of his work and samples from his poems.

Muslim Contribution of Hindustani Music

by : Najma Perveen Ahmed

summarized by : Khaled Haddad

During its long journey through history, Hindustani music has passed through several stages and was liable to many influences. When the Muslims came to India, during the medieval period, the north Indian music went through a process of blending with the Muslim music. The Muslim influence began with the establishment of the Khilji dynasty in the 13th century. Amir Khusrau was the first representative of the Indo-Muslim society which flourished during this reign. After the establishment of the Muslim rule in northern India the Sufis started coming to India, and music played its central role in their meetings. Sufis, moreover, have left a great imprint on Hindustani music by their innovations, which led to new forms and styles. The contribution of Muslims in the development of instrumental music and in introducing new musical instruments is equally significant. Music, therefore, has brought together in its fold Hindus and Muslims, and functioned as a powerful instrument of cultural integration and social harmony.

Muslim Women in India

The widespread view that Muslim women are among, the world's oppressed is due to two elements promoted in the West: the veil and a Muslim's right to have four wives. The legality of polygamous was always a symbol of man's superiority whether in ancient China, India, Korm or modern Bhutan.

The veil (burkha) was simply a means of covering face and body from public gate. The Prophet Mohammad Clearly laid down a list of male relations in a family before whom a woman could be unveiled . 50, the veil was not for seclusion of women.

After the emperor babur (1483 - 1530) the Islamic rule rettled down in India. Many women at that time were poets and literateurs. They went to wars, lived most of their lives in camps, and in their long obite rokes of pilgrimage, they dared the rigours of travel by sea and land.

Under the prophet's laws, from the 7 th century A D , for the first time in human history, women's rights were safeguarded. The Prophet gave equal importance to dawghters as to sons, the right to maitenance by parents, the right to as to sons, the right to maitenance by parents, the rigt to Muslim men and women.

There were many prominent Muslim women in India also had remarkable positions throughout history. Mamy examples

can be quoted , women who are professors in universities , lawyers vice, - president, editors, school teachers, writers, poets, musicians, novel stars etc. They are active today in every field, some are still in their traditional veil, and some have forgotten decades ago how to wear it.

In conclusion we can say that the Muslim threads in the fabric of India have been a part of a grand design that has made this country so full of variety and vitality. The veil, as much has been only a chimera, few Muslim women have an integral part of Indian Public life.

By : Taral Ali Baig

Translated by Amal Mouradi

The development of Arabic Poetry in India

The article explains that although Arabic Language was never an official language in the Subcontinent, yet it had always been considered a Prime Source for Mastering Islamic culture. The article draws an important distinction between Arabic Poetry and Indian Arabic Poetry and stresses the significant strands of the latter, it provides samples and interesting analysis of the poetry of some Indian Arabic Poets.

Jamal The Constable

G. S. Sharat Chander

This Fetching story of how to succeed, brings to mind the old saw « Silence is golden ». It also reflects the Muslim - Brahmin caste problems.

Constable Jamal, a gullible Muslim young Man , tells his story since he was an apprentice constable till he became a regular one , meroly by keeping his mouth shut.

**Translated by
Inal. A. Ersan**

المحتوى

- ١ - كلمة التحرير
- ٢ - نحن وأخوتنا والشرق - علي عقلة عرسان
- ٣ - «روح الثقافة الاسلامية» ، محمد اقبال من كتابه تجديد التفكير الديني في الاسلام
- ٤ - الروح الثقافية للمجتمع الاسلامي في الادب الهندي ، محمد حسن ترجمة د. ابراهيم الشهابي
- ٥ - مدخل الى الادب الباكستاني ترجمة واعداد عبد الكريم ناصيف
- ٦ - قصائد من الشعر الباكستاني اختارها وترجمتها عن الانكليزية ممدوح عدوان
- ٧ - «الشعر العربي في الهند» محمد سعيد الطريحي، بومباي
- ٨ - «نظر الاسلام» شاعر البنغال الذي شارك طافور مجده الشعري - دائرة المعارف الهندية
- ٩ - ديوان وادي سيناء ، فيض احمد فيض
- ١٠ - المساهمة الاسلامية في الموسيقا الهندستانية نجمة برفيں احمد
- ١١ - «الاهانة» قصة قصيرة تأليف سعادت حسن مانتو ترجمة علي كنعمان
- ١٢ - «الدودة الالفية» قصة قصيرة تأليف خالدة اصغر ترجمة اسامه اسبر سعيد
- ١٣ - الشرطي جمال - جي. اس. شارات تشاندرا ترجمة إينال عرسان
- ١٤ - النساء المسلمات في الهند - ثارا علي بيج ترجمة أمل مرادي مراجعة الدكتورة ماجدة حمود
- ١٥ - تطور الشعر العربي في الهند بقلم د. محمد اسلم الاصلحى
- ١٦ - المخطوطات العربية في شبه القارة الهندية دائرة المعارف الهندية

CONTENTS

Editorial by Dr. Bouthaina Shaaban	3
Introduction by Ali Okla Orsan	5
1. The Spirit of Islamic Culture Muhamad Iqbal	17
2. The cultural Spirit of Islamic Society in Indian Literature, Mohamad Hassan. Translated by Dr. Ibrahim Shihabi	44
3. An Introduction to Pakistani Literature by Abdol Karim Nasif	60
4. Poems from Pakistani Poetry, Selected and translated by Mamdouh Odwan	79
5. Arabic Poetry in India, Muhamad Said Toriehi Bombay	106
6. « Nathar Al Islam », The Bangali poet who shared Tagour his literary glory.	134
7. The Collection of Siana Valley, Fied Ahmad Fied	140
8. Islamic Contribution to Hindostani Music by Najma Barvin Ahmad, translated by Khalid Hadad	154
9. « The Insult », a Short Story by Saadat Hassan Manto, Translated by Ali Kanaan	169
10. « Millipede », a short story by Khalida Asghar, translated by Ossama Isber Said	194
11. « Jamal The Constable, by G. S. Sharat Chandra. Translated by Inal. A. Ersan	204
12. Muslim Women in India, by Tara Ali Baig, tr. by Amal Muradi	214
13. The Development of Arabic Poetry in India by Dr. Mohamad Aslam Alislahi	237
14. Arabic Manuscripts in the indian Subcontinent	249

AL-ADAB AL-AJNABIYYA

(Foreign Literature Quarterly)

No. : 65 — 17 — SUMMER AND WINTRE 1990

Responsible Director

ALI OKLA ORSAN

Editor - in - Chief

ADNAN BAGAJATI

Editor

Dr. BOUTHAINA SHAABAN

Editorial Board

Dr. NADIA KHOST

Dr. ABDO ABOOD

AISSA ASFOUR

RAFAT ATFI

أقْمَشْتَنَا السُّورِيَّةُ الْزَاهِيَّةُ
تَضَعَّكَ طَنِيْجٌ مَجْبَالٌ
الْآخِتَ سَيَارُ الْأَفْضَلِ .. إِلَى!



مَنْ أَجْهَلَكَ ..
وَمَنْ أَجْهَلَهَا ..
وَمَنْ أَجْهَلَ الْجَمِيعَ ..

نَحْنُ نَحْكُولُ اقْطَانَنَا
الْأَدْفَعُ وَسَعَادَةٌ
دَائِمَّةٌ ..

المُؤسَسَةُ العَامَّةُ لِلْجَلْجَوْنَ وَتَسْويقِ الْاَقْطَانِ
سُورِيَّة - حَلَب - ص. ب ٧٢٩ - بِنْقِيَّا: تَصْرِيرِ اِنْطَانَسِ.

هَاتِف: ٣٩٤٩٥ - ٣٨٤٨٦

حُسْنُوكِي

التَّارِيخُ - الْجَمَالُ
الْجَمَالُ - الْجَمَالُ
تَقْتَلُ ذَرَاعِيهَا الْأَسْتَدُورُ، وَتَقْتَلُ
مَنْ كَافَةُ الْمُحَاجَاتُ كَافَةً

بِرْسَرْسِيَّةِ بِرْسَرْسِيَّةِ بِرْسَرْسِيَّةِ

مَنْعِ مُخْتَسَاتٍ وَزَارَةُ الْأَمْمَادِ